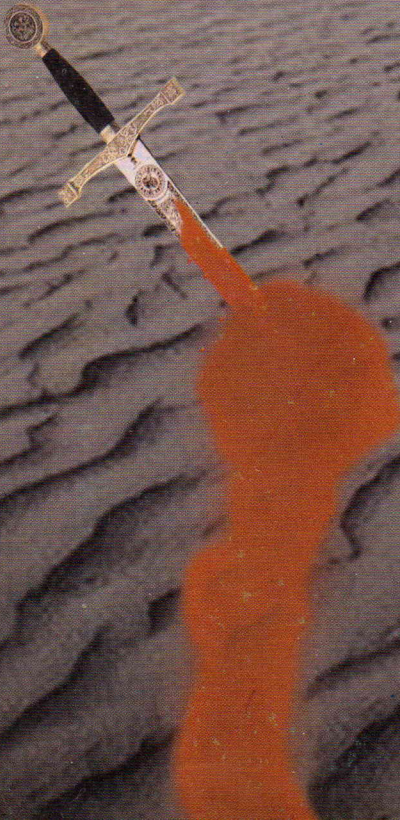


الشيخ علي سليم سليم

زيد الشهيد

بين الإمامية والزيدية



مكتبة الفقيه

بيروت



زيد الشهيد

بين الإمامية والزيدية

الشيخ علي سليم سليم

زيد الشهيد

بين الإمامية والزيدية

مكتبة الفقيه

بيروت

الكتاب: زيد الشهيد
المؤلف: الشيخ علي سليم سليم
الناشر: مكتبة الفقيه - بيروت
تنضيد: فقيه نت
تصميم الغلاف: أحمد فقيه
الطبعة الأولى 1425هـ - 2005م
جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الفقيه

حي ماضي - شارع معوض - بيروت - لبنان

طباعة - نشر - توزيع

هاتف: 01/277139 - 07/260246 - 03/811978 فاكس 01/277125

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، وصلواته وسلامه على خاتم رسالاته، وخيرته من خلقه عبده ونبيه محمد وأهل بيته المصطفين الأبرار، قادة الأمة وتلامذة القرآن وبناء المجد لأهل الأرض، وصحبه الميامين، والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

تختلف دوافع الناس في الكتابة في أي موضوع، فمنهم ما يكتب بدافع البحث عن الحقيقة، الى مدافع عن فكرة معتقداً أنها تمثل الصواب، ومنهم من يبحث ويحلل، ويناقش ويستنتج، ليدعم ما يؤمن به مسيقاً وآخر يكتب ما خلص اليه من نتائج بعد تدقيق وثبت، ليأتي منسجماً مع الهدف والقناعة الراسخة بأن الكثير مما كتب او نقل مما وصل اليها يحتاج بالتأكيد

الى التأمل وإعادة النظر فيه في بعض مفاصله، لأنها الأرضية الصالحة للعبث فيها دون أن يشعر المرء بذلك لخفاء ملابساتها، وهنا مكنم الخطر.

وهذا ما يحتاج فيه الإنسان إلى بذل العناية في سبيل الوصول الى ما يقنعه ويرضي فيه حس الأمانة والموضوعية بعيداً عن التعصب الذمير ومجانبة الحق والتكبر عن السلوك في ركب الأدلة بعد استنطاقها بواقعية. قد يخدع الإنسان فيكون من السهل اكتشاف الخديعة والوقوف على حقيقتها، وتبين أمرها، وتفهم بواعثها ومراميها؛ أما أن يخدع الإنسان نفسه فأمرٌ غارق في الأعماق مغلف بألف حجاب وحجاب. ولكن على المرء أن يبذل جهده في تعرف الحق، وتحري الصدق، وملازمة الدقة، ليبرئ نفسه ويريح ضميره، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

إن تفسير الظواهر واستنطاق القضايا بلاريب حافل بتذبذب، لأنه يحمل التفاوت في فهم القضايا، إذ أن التاريخ هو المادة التي يمكن من خلالها معرفة الشعوب والأمم، أو فقل هو قصة الحدث، وهو بذاته دليل لا بأس به للتعرف على الحوادث والقضايا التي مرت على البشرية منذ نشأتها. ولاريب ان نقل الحوادث غير تفسيرها، لأن الأول عادة لا يخضع لضابطة التحقيق، إنما التحقق، ولا إلى مقتضيات التدقيق، إنما الدقة، لأن في خضم تفسير الحدث تكون المفاهيم التاريخية مادة علمية تُخصّص وتُعمّم مصاديق بحثها.

وعليه فينبغي لدى معالجة مفردات الأحداث، تحليلها واستكناه مراميها وأبعادها والخوض في أعماقها واستخلاص نتائجها. إذ أن الغرض

ليس مجرد ولع برصد الحقائق التاريخية وحسب، وإنما الهدف يكمن في الإحاطة والشمولية لكل أبعاد الحدث لتظهر خلفياته وتستبين منطلقاته ولتكون الحقيقة جلية. ومعه تبقى الحاجة قائمة في كل الأحوال للتمحيص لأجل فهم القضايا الشائكة والمتداخلة في كثير من الأحيان.

من هنا كان بالإمكان لكل فرد أن يكون صانعاً للوقائع والحوادث سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، عن طريق مساهمة الفرد بدفع الواقع باتجاه معين من غير اكتراث، أي أن عدم الإكتراث هو أيضاً طريقة من طرق صنع الحدث أو المساهمة في صنعه. وربما كان هذا موازياً لمواقف بعض الأفراد الذين يقومون بتوجيه الأحداث كالأبطال والعظماء وقادة الثورات وحركات التحرر والتغيير الاجتماعية على امتداد التاريخ.

لقد جسّد رسول الله(ص) المنهج الإلهي في واقع الحياة، وجعل المفاهيم والقيم الإسلامية حقيقة حركية لتقتدي بها الأمة وتقوم بأعباء الرسالة وقيادة الإنسانية قيادة نموذجية في تصوراتها ومواقفها لتستمر المسيرة ويتوالى التغيير والبناء حتى يكون المنهج الإلهي هو المنهج الوحيد في العالم الإنساني الذي تمثل بأئمة أهل البيت(ع) ليكونوا القدوة في معتزك الصراع القائم بين الاسلام ورواسب الجاهلية، ولتقتدي بهم الأجيال في المراحل اللاحقة، ولتلتزم الإسلام روحاً وعملاً فهو منهج الله الأصيل ينهض بالإنسان ليقوم بمقام خلافة الله في الأرض، ليعمل ويتحرك في نطاق مايرضي الله. ومن المؤسف ان الإسلام قد نُحّيَ عن القيادة كمنهج وشرعية حياة، نُحّيَ عنها لتتولاها الجاهلية مرة أخرى في صورة من صورها الكثيرة وطرقها العسوف المصطنعة.

في هذا الكتاب نعرض سيرة حياة شخص قام بدوره وأدى ما عليه في هذا المضممار... وفي فصول عدة عرض لمباحث ذات صلة اقتضتها موجباتها، ولتأتي في سياقها الشامل الهادف الى استيعاب كل مفاصل الموضوع.

وقد اعتمدت في ذلك على مصادر قديمة وحديثة لدى المسلمين وغيرهم، طبقاً للمنهج العلمي في البحث، وأرجو الله ان أكون وفقت - وما توفيقي إلا بالله - في خوض غمار هذا المضممار، لاسيما ان هذا الكتاب يحمل بعض الآراء الشخصية التي لا أدعي كمالها مضافاً الى النتائج التي يمكن استخلاصها... وعلى الله قصد السبيل وهو الهادي والموفق.

علي سليم سليم

بيروت في ١٥ شهر رمضان ١٤٢٥ هـ.

٢٩ تشرين الاول ٢٠٠٤ م.

تمهيد

منذ بزوغ فجر البشرية، إرادة الخير تقابلها إرادة نقيضة لها، أيادٍ تبني صروحاً للخير وأيادٍ تحمل معاول الهدم، لتكتم الأمجاد التي أفنى المصلحون الأولون أعمارهم في سبيل إرسائها لتكون منارات هدى ومشاعل نور، تثير حنايا الليالي الحالكة.

لا شك أن التاريخ بمفهومه العام لا سيما القسم الإسلامي منه مضطرب جداً، سواء بما سجل من أحداث، أو بما فسرت به الأحداث، أم بما أصدر عليه المؤرخون من أحكام. وإذا علمنا أن مهمة الباحث في المواضيع التاريخية منصبة على بلوغ واقع التاريخ واستخلاصه من بين هذه الأفكار المتضاربة، ثم تفسير أحداثه تفسيراً منهجياً والحكم عليها حكماً متحرراً من خلفيات صاحبه جهد الإمكان، أدركنا مدى أهمية ما تعترضه من عقبات.

هناك الكثير من الأحداث عبر التاريخ قد دُوِّنت، ولم يغمط حقها بالحد الأدنى، ولكنها برزت بشكل هامشي، ومنها من لم يشأ الإفصاح عنها كما هو شأن البرغماتيين في سلم التعاطي معها على أساس ما تمثل من

مصالح ربما آنية أو مبدئية حسب آراء أصحابها وما يمكن أن توفر من نتائج. ونرى في زماننا كيف تتعامل وسائل الإعلام مع خبر أو حدثٍ ما وكيفية صياغته وإبرازه أو تجاهله، حسبما يقتضى الأمر، وحسبما تقتضى مصالح أرباب هذه الوسائل، والنهج الذي ينتهجونه، وهو أمر بات بديهياً.

هناك مؤاخذات على التراث التاريخي من وجهة عامة تضطر المرء بادئ ذي بدء إلى عدم التسليم بصحة كل ما ورد فيه وذلك لاعتبارات موضوعية. وأهم هذه المؤاخذات أن هذا التراث لم ينُج من تأثير واحد أو أكثر من العوامل النفسية والاجتماعية والسياسية التي يخضع لها المؤرخ اختياراً أو بصورة قهرية، مما يؤدي إلى انعكاس هذا العامل أو ذاك على مجمل مسيرة البحث عن الحقيقة.

ولعل أقوى هذه العوامل الأهواء المانعة من قبول الحق - على الأقل من وجهة نظر الباحث- والتي منها التملُّق إلى السلطان والتلَّف إليه طمعاً في عطائه أو خوفاً من بطشه. وعامل التعصب الأعمى والتلَّقي عن تقليد، وفرض الرأي المسبق بلا تحليل علمي أو موضوعي منصف. فكم من حقيقة مظلومة قابضة في حنايا الزمن، وكم من قمة من قمم الإنسانية السامقة غمطت الأقلام المأجورة حقها لمجرد سماع خبر ماثور وترك ما يخالفه مما هو متظافر في معناه، وكم من حثالة من البشر هي كالبهيمة بل أضل سبيلاً جعلت منها الأقلام الطامعة أو الخائفة رمزاً إنسانياً يشار إليه وتقرأه الأجيال المتعاقبة ولا تزال تقرأه رمزاً للعدل أو أمثلة في الحلم، أو كنزاً من كنوز العلم والمعرفة!

ولعل أسباب التضارب تعود إلى أمرين، أحدهما شعوري والآخر لا شعوري، والمقصود باللاشعوري: الباعث الذي يحرك بعض المؤرخين على التشويه للحادثة زيادة أو نقصان لا عن قصد واختيار منه وإنما يندفع إلى ذلك اندفاعاً تتبع عوامله من أعماقه دون أن يشعر بها فتكون الحادثة باللون الذي تريده هي لملاءمة مواضع العقدة منها فربما شذبت من الحادثة بالنسيان وربما أزدت فيها من عنديتها وصاحبها لا يرى حين تأديتها إلا أنه قائم بوظيفته في تأدية ما يعتقد أنه واقعاً.

وعامل الكبر - بما يصيب صاحبه من ضعف الذاكرة وكثرة السهو والغفلة - هو الآخر عامل لاشعوري في تشويه التاريخ، وربما يضاف إلى ذلك طبيعة ما تقتضيه عادة تنقل القصص التاريخية والأحاديث بين الرواة مع اختلافهم في الفهم وحسن التلقي من الزيادة والنقيصة اللذين ربما أبعدا مفهوم الحادثة عن واقعها.

وتاريخنا لم يكن بدعا من التواريخ ليسلم من هذه الآفات، وبخاصة تاريخ ما قبل التدوين، وهو الذي حفل بتسجيله الطبري في تاريخه وأمثاله ممن عنوا بتاريخ العالم من لدن آدم إلى اليوم وحتى في صدر الإسلام لم يُدَوَّن التاريخ، بل ظل ينتقل بين مئات الرواة أكثر من نصف قرن، اللهم إلا ما قلَّ من ذلك.

المقصود بالاشعوري: أن يعتمد إلى تشويه الحادثة أو اختلاقها وهو يشعر بواقع ما يقدم عليه من عمل استجابة لبعض العوامل والأسباب. وهذه العوامل، على كثرتها وتشعبها، ترجع بأغلبيتها إلى ثلاثة عوامل رئيسية:

أولاً: العامل الاقتصادي: الذي يبعث بصاحبه على المتاجرة بضميره في سبيل تحصيل ما يسد به حاجاته المعيشية. وتختلف موضوعاته باختلاف المساومين له، فقد تكون السياسة هي الطرف في المساومة، وقد يكون غيرها، كالعنصرية والقبلية وغيرهما. والسياسة كانت من أهم عوامل التشويه والوضع في التاريخ قديماً وحديثاً وبخاصة الإسلامي منه، وذلك بما اشترته أو ساومت عليه من ضمائر الؤضاع ، فالصراع بين الأمويين وأتباع أهل البيت(ع)، ثم بين آل الزبير وخصومهم، والعباسيين ومناوئهم، مادة من أهم المواد التي غذت التاريخ والحديث بصنوف من الكذب والدس من جهة، وإخفاء معالم قسم منه من جهة أخرى.

ثانياً: العامل النفسي: أن يندفع الإنسان إلى خلق الحادثة أو تحويرها ليستر جانباً من جوانب النقص فيه أو ليشبع أحد دوافعه واستعداداته الفطرية بما ينشأ عن ذلك من عواطف، خاصة اعتماد التاريخ في إثبات رأي، ونفي ما يناقضه، أو تصويب فكرة وتخطئة عكسها. فهي مسائل خاض فيها الأقدمون والمحدثون دون ان يصلوا الى ما يزيلوا شكاً او يبدد حيرة، أو يطمئن اليه فكر. وقد أوضح هذا الموقف المفكر الفرنسي بول فاليري بقوله: التاريخ يبرر كل ما يراد تبريره، فهو لا يُعلم، على وجه الدقة، شيئاً، لأنه يتضمن كل شيء ويعطي أمثلة عن كل شيء... التاريخ أخطر مستحضر أعدته كيمياء الذهن. وكان ابن خلدون قد أعطى خلاصة الفكر البشري في هذا الشأن بقوله: في باطن التاريخ نظر وتحقيق، وتعليل للكاننات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة، عريق، وجدير بأن يُعدّ في علومها وخليق.

التاريخ في الكثير من فصوله قائم على ملفات الدعاية المضللة التي قام بها مؤرخو السلاطين والملوك. حتى ضاعت علينا في التاريخ معالم البريء من غيره، واشتبه الأمر على المتتبع لتاريخه وأحداثه. بين الفاسد والمصلح الناقم الذي لا يريد من وراء ثورته غير إسعاد أُمَّته وتحطيم أغلال العبودية من أعناقها.

لم يكن لهؤلاء من غرض غير هذا، وكان السبب في أن تحل نقمة الحكام على هؤلاء الشرفاء. أحياء وأمواتاً، ويغدوا هؤلاء الأحرار خوارج وزنادقة بينما نقرأ في كتب التاريخ أخبار السلاطين السفاكين والعابثين بمقدرات الشعوب كقديسين يفرض علينا الإيمان بمتلهم واعتبارهم مثلاً أعلى للحكام العدول. ونقرأ نقمة الشعوب عليهم وثوراتهم وكأنها أحداث شغب للعبث بالأمن والخروج على سلطان الله، مع الإغفال الكامل والمطبق للأسباب الكامنة وراء نقمتهم على جور حكامهم. فليس من حقنا بعد ذلك أن نعد إلى دراسة الثورات في التاريخ مثلاً فنقبلها كما يريده الحكام لها، ثورات كان جلّها بدوافع استغلالية بشعة، ثم نظل نعنّى بدراسة جزئياتها وكأنها هي كل ما يهمنا من قراءة فصولها، أما دراستها كظاهرة اجتماعية لها بواعثها وأسبابها ثم لها مقدماتها الطويلة، فهذا ما لم نكن لنفكر فيه!

علينا أن نفهم أن الشعوب غالباً لا تثور حتى تضام وتسحق كرامتها سواء بإستذلالها أم بالتلاعب بمقدراتها والتحكم بحرياتها وعقائدها، وأن ثورتها غالباً لا تجيء قبل أن تسبق بمراحل من استفزاز الشعور والنقمة والتذمر، وأن مجيئها على الأكثر يكون وليد رد الفعل لتعسفات الحاكمين وظلمهم وأن الأمة التي لا تكثر فيها الحركات والانتفاضات التحررية، إما

أن تكون أمة سعيدة بعدل حكامها واهتمامهم بمختلف شؤونها، أو تكون أمة مستكينة لا تعرف إلى الحياة الحرة والكرامة أيما سبيل.

فليس إذاً مما يشين أمتنا كثرة قلقها وانتفاضاتها على الظلم سابقاً، حتى يكون جائزاً إغفال التعمق في دراسة هذا الجانب من تاريخها، لأن ذلك دليل حيوياتها ووفرة رصيدها من الشعور بالعزة والكرامة والإباء.

الإسلام خاتم الرسالات السماوية وأكملها وأتمها، أنزله الله عزوعلنا قرآناً عربياً مبيناً على خاتم الأنبياء محمد(ص)، انتشر الدين الجديد في شبه الجزيرة العربية بسرعة كبيرة. ولكن لم يتسنَّ للكثيرين إستيعاب تعاليم الإسلام بدقة. مما يؤكد أن التوجيه المستمر ضروري، وإن الإمامة تمثل استمرارية الرسالة بتوضيح معالم الطريق إلى الله. ومع اتساع الدولة الإسلامية والمنتسبين إليها تراكمت المصالح والمكتسبات الخاصة وتحولت إلى موضوع للنزاع. ولم يخلُ تاريخ البشرية القديم والحديث من صراع على السلطة، مع ما يكلف ذلك من حروب ودماء.

أصاب المرض السلطة الناشئة، مما أحدث مفاجأة ظن البعض أنها تطعن في قدرة الإسلام على التغيير. ولكن التغيير لا يتم بعنوان الدين فقط، بل بتبنيه وعيشه والالتزام بتعاليمه. والناس في هذا الأمر كغيره من كل أمور الحياة فريقان، فالإنقسام الطبيعي بين ثلة مؤمنة تحرص على حماية تعاليم السماء، ومجموعة أخرى تتقاذفها الأهواء، وتكون كما قال الإمام الحسين(ع) في كربلاء: الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم...

هنا يأتي دور الثلة المؤمنة لتقوم بواجب التبليغ والتعبئة وبذل الجهد والجهاد. لحماية الفكر وسلامة التطبيق، في مقابل المنحرفين والمنافقين الذين لن يوفروا جهداً لتحقيق أطماعهم وأمانيتهم ورغباتهم مهما كان الثمن. ولا ينحصر دور الثلة المؤمنة بأسلوب واحد في مواجهة الانحراف، فقد تتفع المهادنة في مرحلة، والصبر في مرحلة أخرى، والشهادة في مرحلة ثالثة، أما تقدير الأسلوب وخطوات التحرك فيعود إلى القيادة الشرعية التي تحدد سقف المواجهة وضوابطها.^١

أسس التغيير: إنَّ تعقُّدُ بُنى الحياة الاجتماعية، الآخذ في الإزدياد، يُظهر بشكل واضح تناقض مظاهر البذخ والفقر فيها، ويَعَسُرُ كل العُسْر إلغاؤها، وبالتالي يصبح العيش في مثل هذا العالم، عيشاً مُدنساً، اختفت منه روح الحمية والدين والأخلاق، وبدت الحياة وكأنها للمنعمين في الأرض فقط الذين فقد أكثرهم المزايا الإنسانية للوجود البشري. بيد أنه يجب ان يُعلم ان بقاء هذا التعقيد، وتلك المظاهر، يشكل خطراً على الحياة، ومقتضياتها بمجملها، فلا بد حينئذ من الحديث عن تكنولوجيا تغيير تكون ثمرة جهد يدرك الواقع ومآسيه، ويضع نهاية للبؤس والشقاء البشريين.

وعلى العلم، حتى يكون عاملاً من عوامل التغيير، أن يبدل اتجاهه المادي وأن يتجه نحو خدمة الانسان، وحل مشاكله، بدلاً من أن يكون وسيلة من وسائل الغطرسة، والتحكم في الشعوب، وإلا فإن الحاجات الملحة، والواقع الظلمي المأساوي، سيكونان كفيلين في النهوض، والثورة على كل ما صنعه العلم وأنجزه، وكان في خدمة الحكام.

^١ - نعيم قاسم، "عاشوراء مدد وحياة"، دار الهادي، بيروت ٢٠٠٢، ص ٥٧

فتغيير المجتمع المنحط، لا بد أن يستند الى حساسية جديدة، وطريقة جديدة في التفكير، بحيث يكون مقولباً بالشعور بالخجل من النفس على الأقل، مما هو مشين وسيء، وبالعَمَلِية التي تتيح له ان يصنع وجوداً قيماً، يحمل الإنسانية والروح المتعالية على كل شيء مادي، فيكون قوة سياسية تتجاوز تخوم معدة المحتكرين والمستغلين.

وهذه الحساسية الجديدة هي الإعلان عن حياة مستقرة ترفض الروح العدوانية، وتلغي الظلم والبؤس، وتتادي بالدمج بين الملكات الفطرية والحاجات الحسية المطلوبة، بما ينفع الانسان، فيغدو هذا الدمج قوة فعالة في الدفع نحو حياة أفضل، مضافاً الى محاسبة المسؤولين على الأخطاء التي ارتكبوها بحق الشعب والمواطنين.

ولبلوغ هذا الهدف، لابد من القضاء على الأسباب التي أدت الى الماضي السيء، والتي جعلت من تاريخ الشعوب، تاريخ سيطرة واستغلال وعبودية. فإن لهذه أسباباً طبيعية، سياسية، بشكل أساسي، سببت هذا الإستمرار التاريخي، الذي ليس بالإمكان قطعه إلا من خلال رجال أبطال، قادرين على ذلك، جسدياً وروحياً، وهذا لا بد أن يكون ضمن ثقافة وفكر معين، هو فكر الإسلام وثقافته، لأن الثقافة التي تحقر القيم والأخلاق السامية، هي ثقافة اللذة والنفع، ثقافة سفلى، مخربة، لأنها قضاء على روح الجَدِّ، والتضحية، والحشمة، والكرامة.

وهل يمكن لثقافة منحطة أن تكون صالحة لتقوية الحياة؟

ففي عالم لا وجود فيه لصلات روحية أو إنسانية، ولا لجمال أخلاقي، بشري، فإنه سيعرق في قذارات مادية وسموم، توسخ أيدي الناس، وتوسخ ألبستهم النظيفة، وهذا لن يخدم الإنسان أبداً.

الناس يتعارفون على أساس أنهم بشر، أخوة في الروح، وهذه الروح واحدة في معناها الرقيق، العميق، الخالد، ولكنها روح مربكة أحياناً، قلقة، عنيفة، أحياناً أخرى، نتيجة أوضاع أو ثقافة معينة.

البيض في أمريكا يتعارفون على أنهم أخوة في الروح ضد السود، والسود يتعارفون على أنهم أخوة في الروح ضد البيض، فالروح هنا بيضاء قاسية، والروح هناك سوداء عنيفة، وهكذا في روحية كل شعب اتجاه الآخر، نتيجة لثقافته، باستثناء الثقافة الإلهية المتعالية التي تصرع كل الثقافات، والروحيات العنصرية الضيقة.

فتعبرنا عن الحساسية الجديدة، يكشف عن مدى القطيعة الكبرى بين الحاجات الروحية والحاجات الجسدية التي تخلق عادة - إذا اندمجت - مجتمعاً حضارياً نوعياً، تنتظم فيه الحواس على قاعدة معينة من الإدراك الحسي المنتظم، الواعي للأشياء، والمتنوّق لها تنوّقاً مفيداً ونافعاً، في مجتمع يضع أفراداه في موقع تتخطى فيه كل الفروقات الثانوية، وفي كون واحد عام، من التجربة الواحدة، المتكيفة مع الحساسية الواحدة في هذا الكون الفسيح.

تتشكل بهذا ثورة في الإدراك والإحساس، وثورة في الواقع أو الكون المحسوس. وثور اليوم: شعوباً وأفراداً وجماعات، يريدون أن يبصروا الأشياء، ويشعروا بها على نحو مختلف عن ذي قبل. فالنصر أو التحرير، مرتبط بنبذ الماضي المؤلم، الظلم، وبإطالة جديدة على الواقع، ضمن الحساسية الجديدة للأشياء، والسمة الموضوعية لها، والعقلانية التي من شأنها أن تبعث على تغيير النظام القائم، الرفض لتلك الحساسية، التي هي من ضرورات التحرير الحقيقي، لا المصطنع. لأن بإمكان الإنسان أن يصنع لنفسه جنة، ولكنها ليست الجنة الحقيقية التي يحلم بها المؤمن، كما أن التحرير والاستقلال يمكن أن يصطنع ظاهراً وشكلاً، ولكنه ليس واقعاً وحقيقة. كما إذا كان النفوذ لدولة أجنبية أخرى، فالثورة على الواقع نصر، وتحريره أيضاً نصر، شرط أن يتمثل بالرفض الأكبر لكل القيود والأشكال التي تحيط به، وتحصره في دائرة معينة، كما أن الخطابات التي تصدر عن المسؤولين والقياديين في السياق السياسي، يجب أن تهدف إلى تحطيم الهالة التي تحيط بأولئك القادة والحكام الذين لا يفكرون إلا بمصالحهم الشخصية، لا أن تكون مجرد عبارات فيها من السفاهة ما يكفي للتعبير عن الثقافة التحتية التي يملكها المتكلم السياسي المناضل، فإن سفاهة الكلمات، كما أصبحنا نشاهد اليوم في الخطابات السياسية البرلمانية، والتي تحولت أحياناً إلى تلاكم بالأيدي، ليست مظهراً من مظاهر التحرير، ولا أسلوباً من أساليب الثورة على الواقع. إنها عريضة، وما كانت العريضة موضع قبول أو موافقة من أحد.

يجب علينا نحن الذين نملك الإدراك أن نفجر واقع ما يحدث حولنا من أخطاء، ولا نسكت عليها، لأن السكوت عنها إستمرار لها وتمادي بها،

وعندها تتوارى الحياة، لأنها تصبح بلا قيمة، وتتحول الى لاشيء، ويصبح وجودنا عليها كأصنام أو أشباح لا نفع لها، فينتقل وجودنا في هذا الكون من وجود مَيّت الى وجود آخر مَيّت يحلّ محله، كلما استمرت الأخطاء دونما مواجهة أو انتهاء، وتبقى الفظاعة، فظاعة السياسة التي لا تطهرها إلا الدماء.

فإذا أُبْطِلَ التَّحْدِي والشَّجْب وأُبْطِلَت المقاومة، فماذا يبقى غير العذاب والموت؟ وحين يغدو الواقع كله فظيعةً، ولا محل فيه للتمرد والإنكار، فإن الحساسية ستظهر بنحو سلبى محض ومن رجال لا يأبهون لشيء، لأن تأييد الحال، والوضع أمر مستحيل لدى الأحرار. ويتوسع الرفض، ويعلو صوت المقيهورين بالصرخات، وتصبح الثورة ذا فورية مرعبة، ينجذب فيها الجسد والروح معاً، لتقهر بهما سيمفونية الموت والشهادة والمفعمة بالدموع وأهازيج النائرين.

الأمر يتجه دوماً نحو إنكار أولي، فكري، مضاد، وهو موقف رفض فوري للحدث، مجرداً من أي سلاح أو عنف. لكنه يكبر ويزداد على المسرح الحي للأحداث، ضمن عالم الضرورة، وازدياد حجم الضرورة، التي تكشف عن الحاجات الأساسية للناس، وتُبْطِل ما هو بذخ في عالم الإحتكارات والمنافسات المضرة.

هذا الضغط الحاجوي الضروري، يولد عند المظلومين ثورة تسرع في الظهور والتَّقَشِّي وهي ليست عدوانية بمعناها العدوانى، لأن العدوانية تتسجم مع الحاجات الكاذبة، والأهداف الخاصة، وهي ليست كذلك، لأنها

تعرض على الأشياء الباطلة، والقيم الكاذبة، اعتراضاً فطرياً، وفي سبيل البقاء الكريم، المشرف، لا العيش كأسياد أو عبيد.

فتبدأ التحولات التي تؤدي الى التغيير، وتتزايد القوى الثائرة المنتظمة، التي تغدو وكأنها حفارة قبور للمستكبرين، ولا يعود للعمل السياسي، بما هو عمل توازني سلمي، أي أثر، لأن استراتيجيته يكون قد فات أوانها، ولم تعد لتتفع، ويحتل محله العمل السياسي بوجهه الآخر، بوجهه المُعَبَّر عن التوازنات العنيفة. والأساس في ذلك كله، هو الضمير، فالضمير عندما يستيقظ يكون هو الخطوة الأولى نحو التغيير، وظهور المجتمع الجديد، إذ هو بمثابة التربة لذلك الظهور والتجمع حول مطالب تنمّي الوعي السياسي وتساعد على القيام بدوره.

باكتشاف الناس للظلم والحرمان من خلال معاشتهم لها ومعاناتهم منها، يتشكل العامل الموضوعي المؤاتي للثورة، واكتشافهم للسبيل الآيلة الى التخلص من هذه الآفات يؤدي الى ان تنشأ من ضمن الناس الفئة المثقفة الواعية لهذه السبل ولكيفية قيادتها للناس باتجاه الثورة على الواقع المأزوم فيتشكل من هذه الفئة العامل الذاتي الحاضن للمشروع السياسي البديل.

إن نضوج هذين العاملين يعتبر امراً أساسياً في مسيرة الكفاح من اجل الانعتاق مما هو قائم، والسعي لانضاجهما يشكل جوهر النضال في مرحلة ما قبل الثورة.

فكلما نما الوعي السياسي، ازداد الإنعتاق من أسر الهوى والحاجات التي تستعبد الإنسان وتسترقه، وتجعله أسيراً لها. وقد ينسحق الوعي أمام الإغراءات المادية، فيشكل ضعفاً في الموقف، بل قد يؤدي الى تحول من صديق أو قريب الى عدو غير متوقع، فيقع الخطر، ولكنه مع قوة الإنتفاضة وصلابة الموقف، ينقهر كل أولئك الذين انسحق وعيهم، وباعوا أنفسهم للشيطان.

اكيد أن هناك من سيهرب من الساحة، عند المواجهة الحقيقية، وأن هناك من سيرر انسحابه، ومن سيلتزم المنزل ويعلن البراءة، لكن في حال صدق تعبير قيادة الثورة وطلائعها عن مصالح الناس والتصاقهم بهم وبهذه المصالح، فإن انهزام المنهزمين وتراجعهم عن البرنامج الثوري لن يؤثر على الحركة الثورية المصممة على بلوغ أهدافها مهما كلف الثمن.

وبناءً عليه، يجب إعادة النظر دائماً في كل ما تشتمل عليه الأوضاع الراهنة من تطورات عامة، لنكون في مكان ما في الكون الوجودي التاريخي، لأن العبور الى مستوى أعلى من التقدم والرفي، لايمكن ان يتم بهذه الطريقة، حيث النظرية النقدية للمجتمع هي الأساس في تحريك الأشياء وتطويرها. فعنصر التغيير الموجود في الإنسان كأساس غريزي، يمد البشرية في سعيها نحو الإرتقاء، فيغدو للتمرد الناتج عنه، أثره في بيولوجية الفرد وجبلته، فيصبح في مستطاع المتمردين التأثيرين، ان يضعوا استراتيجية للنضال الثوري الذي يحقق مشروع التحرير.

لا يمكننا ان نتصور وجود خط مشترك او قاسم موحد بين الظالمين والمعتدين في الأرض، لأن المعتدين في الأرض يحملون عمق الرفض لهم، واستراتيجية الصبر والكفاح، هي الأساس في حركتهم وجهادهم، فقواعد اللعبة التي تحاك ضدهم مرفوضة، لأنها مسبقة، لذلك لا يمكن لها أن تمر.

إننا لنشهد صراعاً متنامياً يزداد يوماً بعد يوم بمنهجية واضحة، هي منهجية القمع للمعارضة بالشرطة والسلاح والمحاكم، في كثير من أنظمة العالم التي تعيش غطرسة الحكم، والثراء الفاحش المخيف، وهذا ناتج عن الفعل وردّ الفعل المستمر، الناشئ عن نمو الحالة النقدية للمجتمع العاهر في حكامه وسياسييه، الذين يصنعون الكلام المُنمّق، ويقدمون الوعود الكاذبة، ولا يتساومون إلاّ عن رياء وكذب، فينشئون عالماً من الكلام المعسول والأمنيات الخيالية التي لا يمكن أن يعيش تحت ظلها الثائرون الأحرار. فلا غرابة ان تنشأ حينئذٍ الراديكالية الأخلاقية في كل تصرف يقومون به والناعبة من أدب الدين والنفس، وأن يبرز غزل المكافحة القائم على المعايير الثورية للأخلاق النوعية بأعلى مستواها التضحي.

ومتى كان النموذج النوعي موجوداً، كانت جذور الثورة مترسّخة، وفي أعماق أعماق الثائرين، الذين لا يجدون لسلطة الأسياد عليهم، محلاً ولا أثراً.

الثائرون، فكراً وروحاً ودماءً، هم على الدوام عامل الثورة الأساسي والتاريخي، بحكم مركزهم المؤثر في سير العملية الثورية التي ترتدي ثوب

الصراع الحقيقي في ساحة الممارسة الواقعية، والتي ينتج عنها بُعداً حيويّاً أساسيّاً هو النصر أو التحرير.

ثم ان للنشاطات الثقافية دوراً مسلكياً هاماً، من حيث توعية الناس، وكشف الصور البشعة لمجتمع يخفي عيوبه وأخطائه وراء حجاب يجب تمزيقه. وإيقاف هذه النشاطات ومنعها، هو رفض لحرية العمل السياسي، وفصل بين العقل النظري والعقل العملي الذي يبتغيه نظام السلطة دائماً ليبقى صدى صوت المعارضة في الهواء، دونما تأثير ولا حركة.

وهكذا يجرّ هذا الإيقاف والمنع، الى ما هو أبعد من حدود الأروقة والاجتماعات: نحو الشوارع، المدن، القرى، العواصم... مفسّراً كعصيان سياسي او مدني، يجب قمعه، خصوصاً ضد محترفي الإستشهاد، فيغدو استسلام المعارضة وتراجعها امام القمع، أمراً مبعوضاً ومشؤوماً، كيف وقد أخذت على نفسها حق الدفاع عن الحقوق المدنية، وحرية النفس وكرامتها!

وما دامت^٢ هذه هي الحال، فإن مجالات الأمل أمام المعارضة تكون ضئيلة، إذا لم تبذل جهداً مستمراً في بقاء التواصل مع الشعب، الأمر الذي يتيح لها ان تتنامى وتتزايد، وتملك فرصة أكبر من النجاح والإنتصار. فإن نجحت في إبقاء هذا التواصل قائماً وعملت على تعميقه وتأصيله، تصبح المعارضة في هذه الحال معبرة عن "الإرادة العامة" التي

^٢ - بسام مرتضى، "قيام الثائرين: دراسة حول الفكر الثوري الشيعي"، دار الهادي، بيروت ١٤٢٤هـ، ص ٤٣ (بتصرف)

هي إرادة الشعب، والتي بإمكانها إسقاط أي نظام، وإقامة النظام الذي يلي احتياجات الشعب ويحقق مصالحه الجوهرية.

وإذا لم يكن الفكر الذي تحمله المعارضة ويصنع إرادتها وحركتها ويحدد تكتيكاتها، نابعاً من مقتضيات مجتمعا وتناقضاته ويشكل فكرها الذاتي والوثيق الصلة بالمجتمع ووعيه ومصالحه التي يحددها بنفسه ولنفسه، فإنها حينئذٍ لن تكون معارضة حرة مستقلة ولن تصل الى أبعد مما وصل إليه كثيرون ممن خاضوا مجال المعارضة فساوموا وانحرفوا في أقرب منعطف ممكن.

الفصل الأول

عهد الأمويين

- مكانة بني امية
- معاوية الخارج على القانون
- السياسة الأموية
- الأحوال العامة للمدينة ومكة في العصر الأموي
- إلفات نظر

بعد هذا العرض الممهد للأفق الواسع لمفردة من مفردات الأحداث التاريخية التي حدثت في بعض مفاصلها، لا بد لنا من معرفة الأوضاع السائدة في المجتمع ما قبل ولادة زيد، الذي هو موضوع هذه الدراسة، لأن معرفة ذلك وربط الأحداث فيما بينها، يعطينا نموذجاً متكاملًا، ويبين لنا الحالة التي تعيشها الأمة بكافة ظروفها وأشكالها. وبما أن لهذه الأوضاع صلة في تفجر ثورة زيد، فلا بد من دراسة العصر الذي قامت هذه الثورة فيه، والإطالة على السياسة التي انتهجها الأمويون وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان، في التعاطي مع الإسلام وشؤون الأمة الإسلامية.

تحولت الخلافة الإسلامية بعد استشهاد أمير المؤمنين (ع) واستيلاء معاوية على الحكم إلى ملك عضوض سلك فيه معاوية مسلك الملوك والاكاسرة وحينذاك دخل العالم الإسلامي في نفق ضيق ومظلم.

إن أبسط كلمة كان يقولها معاوية: إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا. يا أهل الكوفة أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج؟ وقد علمت أنكم تصلون وتركون وتحجون، ولكني

قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم، وقد أتاني الله ذلك وأنتم له كارهون، ألا أن كل دم أصيب في هذه مطلول {مهذور} ويتابع مظهراً جبروته وتكره لما التزم به مع الإمام الحسن (ع) فيقول: وكل شرط شرطه فتحت قدمي هاتين. وهو الذي قال عنه النبي (ص) أنه سيطلب الإمارة فإذا رأيتموه فعل ذلك فابقروا بطنه. وقال عنه أمير المؤمنين (ع): معاوية فرعون هذه الأمة وعمرو بن العاص هامانها^٣

وقال الحسن البصري: أربع خصال في معاوية لو لم تكن فيه الا واحدة لكانت موبقة :

١-خروجه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها، الخلافة، بغير مشورة منهم

٢-استخلاف ابنه يزيد وهو سكير خمير يلبس الحرير ويضرب الطنابير

٣-ادعاؤه زياد وقد قال النبي (ص) الولد للفراش وللعاهر الحجر

٤-قتله حجر بن عدي^٤

عندئذ فليس غريباً أن يكون حكمه مليئاً بالبدع قائماً على القهر والاستبداد، ولكنه مع ذلك وجد من اصحاب الدنيا من يبرر له أعماله، من قتله حجر بن عدي واصحابه وقتل مالك بن الاشتر النخعي وقتله الامام السبط الحسن بن علي (ع).

وكان من المؤسسين لفكرة الجبر بعد عمر بن الخطاب عند فراره من حنين وقوله لمن مرّ به: إنه أمر الله، من أجل تبرير أعمالهم الشنيعة وإلقاء المسؤولية فيها إلى قضاء الله وقدره. وقد سألته عائشة أن يترك المبايعة

^٣- ابن طاووس، "الملاحم والفتن"، ص ٩٠

^٤- ابن الأثير، "الكامل في التاريخ"، ج ٣ ص ١٨٣

لابنه يزيد فأجابها قائلاً: "إن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم (ع)".

وقد استبد معاوية على جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سمّوه عام الجماعة! وما كان عام الجماعة! بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة! والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة غصباً قيصرياً. ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما رتبنا حتى رد قضية رسول الله (ص) رداً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً، في ولد الفراش وما يجب للعاهر، مع اجتماع الأمة أن سمية لم تكن لأبي سفيان فراشاً وإنه إنما كان بها عاهراً، فخرج بذلك من الفجّار إلى الكفار.

وليس مثل حجر بن عدي، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر وبيعة يزيد الخليع، والإستئثار بالفيء، واختيار الولاة على الهوى. وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة من جنس جحد الأحكام المنصوصة والشرائع المنصوبة، إلا أن أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه أشد.

ثم الذي كان من يزيد ابنه ومن عماله وأهل نصرته، ثم غزو مكة ورمي الكعبة، واستباحة المدينة، وقتل الحسين (ع) في أكثر أهل بيته مصابيح الظلام وأوتاد الإسلام. إلى أن قال الجاحظ: كيف نصنع بنقر القضيب بين ثنيتي الحسين (ع) وحمل بنات رسول الله حواسر على الأفتاب العارية والإبل الصعاب. وكيف نقول في قول عبيد الله بن زياد لاختوته وخاصته: دعوني أقتله، يقصد زين العابدين (ع)، فإنه بقية هذا النسل. خبرونا على ما تدل هذه القسوة وهذه الغلظة بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم ونالوا ما احبوا فيهم. أتدل على نصب وسوء رأي وبغضاء ونفاق، أم تدل على الإخلاص وحب النبي (ص)

وزعمت نابتة عصرنا، ومبتدعة دهرنا أن سب ولاية السوء فتنة، ولعن الجورة بدعة، والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه وابن زياد وأبيه.

إلا إنهم مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمناً متعمداً أو متأولاً، فإذا كان القاتل سلطاناً جائراً، وأميراً عاصياً، لم يستحلوا سبّه، ولا خلعه ولا نفيه ولا عيبه، وإن أخاف العلماء، وقتل الفقهاء وأجاع الفقير، وظلم الضعيف، وعطل الحدود والثغور وشرب الخمر، وأظهر الفجور، ثم مازال الناس يتسكعون مرة ويدهنونهم مرة ويقاربوهم مرة ويشاركوهم مرة، إلا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره! ثم أخذ الجاحظ يبين ما وقع ممن جاء بعد يزيد من فظائع تقشعر منها الأبدان، ولم يسمع بمثله في أي زمان. ولو أن المقام يحتمل ما في رسالة الجاحظ مما ارتكب بنو أمية من الظلم والبغي والقهر لجئنا به كاملاً؛ فليرجع إلى هذه الرسالة القيمة.⁵

وشاعت الأقدار لهؤلاء ليسوسون الأمة ويتلاعبون بالإمرة بعد فجر ليلهم الطويل الذي باتوا ينشدون فيه أملهم الضائع ويأسفون لحزبهم الفاشل.

هذه هي حقيقة الأمويين، وهذه هي مخازيهم التي جرت على الأمة الولايات والمصائب، والذل والهوان من جراء فضائحهم وجرائمهم.

وهذا هو معاوية الطليق ابن الطلقاء والمؤلفة قلوبهم، تألفهم النبي (ص) ليأمن آذاهم. فكانوا يأخذون الثمن لإسلامهم المزيف. الذي ما كان يوماً صحيحاً البتة، بل كان حقناً لدمائهم، فما وجدوا بداً من ذلك إلا أن

⁵ - من رسالة للجاحظ في تفضيل بني هاشم نقلاً عن كتاب "أبو هريرة" لمحمود أبو رية، منشورات دار الذخائر، قم، ص ١٦١

يلقلقوا بالسنتهم لينجون بحياتهم ومن ثم ليكيدون للإسلام ويتربصون به الدوائر، ويلتحفون به غطاء لأفاعيلهم النكراء باسم الإسلام. واستمر معاوية كذلك بهذا المنطق الجاهلي البغيض، فقال لسفيان بن عوف الغامدي عندما أمره بالإغارة على الانبار: اعلم أنك إذا أغرت على أهل الانبار أهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة، إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم، وتفرح كل من له فينا هوى منهم، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر. فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، واخرب كل ما مررت به من القرى، فإن حرب الأموال شبيه القتل وهي اوجع للقلب.⁶

ذاك هو معاوية الذي طعن في دينه الكثيرون ولم يقتصروا على تفسيره فحسب، فقالوا إنه كان لا يعتقد بالنبوة. وفي شرح ابن أبي الحديد رواية عن العلاء بن حريز القشيري أن رسول الله (ص) قال له: "لتتخذن البدعة سنة، والقبح حسناً، أكلك كثير، وظلمك عظيم".

ويذكر ابن أبي الحديد عند شرح قوله (ع): والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس. كلمة أبي عثمان الجاحظ وقول أبي جعفر النقيب: إن معاوية من أهل النار لا لمخالفته علياً، ولا لمحاربتة إياه، ولكن عقيدته لم تكن صحيحة، ولا إيمانه حقاً، وكان من رؤوس المنافقين هو وأبوه، ولم يسلم قلبه قط، وإنما أسلم لسانه. ويذكرون أن أبا الدرداء كان قد أنكر عليه لبسه الحرير وشربه في أنية الذهب والفضة، فقال له: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: الشارب فيهما ليُجرَّجِر في جوفه نار جهنم. فقال له معاوية أما أنا فلا أرى بذلك بأساً!

⁶ - ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، ج ٢ ص ٨٦

ونقلوا عنه في فلتات لسانه وسقطات كلماته ما يدل على الحقد الدفين على النبي واله (ع) الذي ورثه عن أسلافه، فروى الزبير بن بكار في الموفقيات وهو غير متهم في معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة لما هو معلوم من حاله من مجانبة الحق بانحرافه عن علي (ع)، قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علي معاوية، وكان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويُعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيتُه مغتماً فانتظره ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال:

يا بني! جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنأ يا أمير المؤمنين. فلو أظهرت عدلاً وبسطة خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما بقي لك من ثوابه، فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه؛ إن أبا كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات "أشهد أن محمداً رسول الله" فأبي حمل يبقی؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك، لا والله إلا دفناً دفناً^٧. والمغيرة بن شعبة من أقرب الناس إلى معاوية ومع ذلك تراه يشجب هذه السياسة، فهذه شهادة من لا يتهم "وشهد شاهد من أهله" والويل لمن كفره نمرود.

سار الحكام الأمويون على هذه السياسة، وبهذا الاتجاه، وكانت سياستهم قائمة على أساس التفرقة العنصرية بين طوائف العرب. لأجل تفتيت المجتمع الإسلامي ليتسنى لهم، على قاعدة "فرق تسد"، إحكام السيطرة على

^٧ - ابن أبي الحديد، "شرح النهج"، ج ٥ ص ١٢٩ و"الموفقيات" لابن بكار ص ٧٧، و"معالم المدرستين" للسيد مرتضى العسكري. وكانت العرب - قريش - تكني النبي (ص) أبا كبشة استهزاء به.

رقاب العباد، لذا ترى الحاكم الأموي - معاوية - يظهر أن ما يأتي به بقضاء الله ومن خلقه، ليجعله عذراً فيما يأتيه، ويوهم أنه مصيب فيه وأن الله جعله إماماً وولاه الأمر، وفشى ذلك في ملوك بني أمية.^٨

أجل هكذا كانت سياسة الأمويين وعمالهم، حتى أن الحجاج كذب القرآن فقال: ولأخطين منها المصحف ولو بضلع خنزير. وقال الحاكم النيسابوري عن الاعمش أنه قال: والله لقد سمعت الحجاج بن يوسف يقول: يا عجباً من عبد هذيل - يعني ابن مسعود - يزعم أنه يقرأ قرآناً من عند الله، والله ما هو إلا رجز الأعراب، والله لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه.^٩ حتى أن الحجاج - لعنه الله - لم يكتف في حربه لابن الزبير برمي الكعبة بأحجار المنجنيق حتى رماها بالعذرة.^{١٠}

هكذا كانت سيرة بني أمية وعمالهم، فإن الحكم الأموي لم يكن حكماً إسلامياً يستوي فيه بين الناس، ويكافأ فيه المحسن عربياً كان أو مولى، ويعاقب من أجرم عربياً كان أو مولى، ولم تكن الخدمة للرعية على السواء، إنما كان الحكم حكماً عربياً. والحكام فيه خدمة للعرب على حساب غيرهم. كانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية، فكان الحق والباطل فيختلفان باختلاف من صدر عنه العمل.^{١١}

^٨ - "رسائل العدل والتوحيد"، تحقيق محمد عمارة، ج ٢ ص ٤٦

^٩ - الحاكم النيسابوري، "المستدرک"، ج ٣ ص ٦٥٦، وابن منظور، "تهذيب تاريخ دمشق"، ج ٤ ص ٧٢

^{١٠} - ابن أعم، "الفتوح"، ج ٢ ص ٤٨٦

^{١١} - محمود أبو رية، "أبو هريرة"، ص ١٨٧

والأمويون تأكيداً منهم على كفرهم وطغيانهم وخروجهم على كل المقدسات قد استباحوا مدينة الرسول(ص)، وسموها "نَتْنَة" بعد أن سماها رسول الله(ص) "طيبة"، وقتلوا ألوف الناس وفيهم جمع من الصحابة وأبنائهم، وهتكوا الأعراض وانتهبوا الأموال^{١٢} وعقبوا ذلك بالهجوم على الكعبة وحرم الله الآمن بقيادة الحصين بن نمير، فأحرقوها وهتكوا حرمتها، وسفكوا الدماء فيها، ولم يرقبوا فيما عملوه أيام حكمهم الدموي كرامة لأحد ولا حرمة لشيء مقدس.

وقد تعصب الأمويون تعصباً قليلاً لقريش على سائر القبائل العربية حتى قال سعيد بن العاص في الكوفة: "إنما السواد - العراق - بستان لقريش، ما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركناه". ويذكرون أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك عندما قرأ قول الله تعالى: "واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد"^{١٣}، فرمى المصحف الشريف بالسهم وهو يقول:

تهددني بجبار عنيد فها أنا ذا جبار عنيد
إذا ما جنت ربك يوم حشر فقل يا رب خرقتي الوليد^{١٤}

وقد أوجز لنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي الفاسق الفاجر، الإسلام ويصوره بعقلية جاهلية على طريقة الأكاسرة والأباطرة، في خدمة العرش الأموي، بالأبيات التالية:^{١٥}

فدع عنك إذكارك آل سُعدَى فنحن الأكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناسَ قسراً نسومهم المذلة والنكالا
ونوردهم حياض الخسف ذلاً وما نالوهم إلا خيبالا

^{١٢} - محمد أبو الفضل إبراهيم، "أيام العرب في الإسلام"، القاهرة، ١٣٩٤ هجرية، ص ٤٢٠

^{١٣} - سورة "إبراهيم" الآية ١٥

^{١٤} - المسعودي، "مروج الذهب"، ج ٣ ص ٢٢٦، و الأصفهاني، "الاعاني"، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ج ٧ ص ٤٩

^{١٥} - الطبري، "تاريخ الأمم والملوك"، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ج ٥ ص ٥٤١

نعم ، هؤلاء القردة الذين نزوا على منبر رسول الله (ص) ولم يتلقوا تربية دينية وخلقية، ولم تنق رؤوسهم ولا نفوسهم من بقايا التربية القديمة، فظهر من ذلك ثلمات في ردم الإسلام لم تسد إلى الآن^{١٦} ومع ذلك ترى التاريخ يسمي هؤلاء خلفاء يحكمون باسم الدين والإسلام، يتوارثون هذا الحكم فيما بينهم، ويحكمون حكماً استبدادياً أموياً قليلاً أساسه الرهبة والضغط والقهر.^{١٧}

وقال ابن رشد أن معاوية، الذي ورث عن أبيه قوته وقسوته وكيده ودهائه،^{١٨} أقام دولة بني أمية وسلطانها الشديد، ففتح بذلك باباً للفتن التي لا تزال إلى الآن قائمة.^{١٩}

مكانة بني أمية:

أخرج نعيم بن حماد في الفتن عن ابن مسعود قال: إن لكل دين آفة، وآفة هذا الدين بنو أمية. وكذلك عن علي (ع) أنه قال: لكل أمة آفة وآفة هذه الأمة بنو أمية. وأخرج نعيم بن حماد أيضاً عنه (ع): ألا إن أخوف الفتن عندي فتنة بني أمية، إنها فتنة عمياء مظلمة. وعن الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد عن رسول الله (ص) أنه قال : إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو مخزوم. وأخرج الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن أبي برزة: إن أبغض الأحياء أو الناس إلى رسول الله (ص) بنو أمية. وقال فخر الدين الرازي في تفسيره: وهذا هو قول

١٦- أبو الحسن الندوي، "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢ هجري،

ص ١٣٢

١٧- محمود أبو رية، "أبو هريرة"، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م، ص ١٧٩

١٨- طه حسين، "علي وبنوه"، دار المعارف بمصر، الطبعة التاسعة، ص ٥٦

١٩- محمود أبو رية، "أبو هريرة"، ص ١٨٧

ابن عباس عن عطاء، ثم قال: أيضاً قول ابن عباس: الشجرة ملعونة في القرآن بنو أمية يعني الحكم بن أبي العاص.

وصح أنه (ص) قال لكعب بن عجرة: أعاذك الله من إمارة السفهاء، قال: أمراء يكونون بعدي لا يهتدون ولا يستنون بسنتي، وصح بلفظ هلاك أمتي على يد أغلطة من سفهاء قريش. وفي خبر رواه ثقات: لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول الحق إذا رآه وشهده فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق.²⁰

معاوية الخارج على القانون :

لقد اتخذت جوانب الصراع المسلح بين علي ومناوئيه صورة من أروع صور الصراع بين الحق والباطل. وقد شجعت فتنة الجمل - القاسطين الحائرين - معاوية وأصحابه على القيام بعصيان مسلح على نظام الحكم في البلاد، كما أنه أتاحت لهم فرصة التجمع وحشد قوى الشر والإرهاب لمحاربة مبادئ الدين الحنيف الممثلة في خلق الإمام وفي سياسته العامة. فقد حول الشام إلى مأوى يحتضن الجناة الفارين من وجه العدالة أمثال عبيد الله بن عمر قاتل الهرمزان ظلماً، ومعلقة بن هبيرة الشيباني وغيرهما، ويغدق عليهم في العطاء من بيت مال المسلمين، فيزرع بتصرفه هذا بذور الفساد في المسلمين ويشجع الناس على الخروج على مبادئ الدين.

²⁰ - محمد بن عقيل العلوي، "النصائح الكافية لمن يتولى معاوية"، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٦٦،

يقول الكاتب المصري صالح الورداني في كتابه "دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين" ص ٧٢: "أسهم في بناء الصرح القبلي الذي ساد بعد وفاة الرسول والذي ورثه معاوية في النهاية ليفرض على الأمة ديناً ونهجاً جديداً غير الذي جاء به الرسول".

لقد تمرد معاوية على الخليفة وتكرر لمبادئ الدين متظاهراً بالطلب بدم عثمان، مع أن الذي يحق له ذلك هو ابنه عمرو إن لم نقل الخليفة المبايع حديثاً. وقال الإمام علي(ع): "وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه".

وفي كتاب له عليه السلام الى معاوية يقول: "...ولعمري يامعاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجذني أبرأ الناس من دم عثمان...وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان اليك، فإني نظرت في هذا الأمر فلم أراه يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك... وقد أكثر في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إليّ أحملكم وإياهم على كتاب الله تعالى. وأما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في اول الفصال والسلام لأهله".^{٢١}

ومعاوية هذا هو ابن آكلة الأكباد، وأبوه أبو سفيان الذي حارب النبي(ص) ولم يسلم إلا حين لم ير من الإسلام بداً، وحين لم يكن إلا أن يختار بين الإسلام والموت. ولم تكن أم معاوية بأقل من أبيه تتكرراً للإسلام وبغضاً لأهله، حتى فتحت مكة فأسلمت كارهة كما أسلم زوجها كارهاً كما يذكر عبد الفتاح عبد المقصود الذي يضيف أيضاً: وكان على معاوية إذا فرضنا أنه يجوز له أن يطالب بدم عثمان، لو أنصف وأخلص نفسه للحق أن يبايع كما يبايع الناس.

٢١- "نهج البلاغة"، تحقيق الشيخ صبحي الصالح، منشورات دار الهجرة، قم، ص ٣٦٧ و٣٦٩

لقد أمت معاوية سُنَّة النبي (ص) بقبائح أفعاله وبوائقه الرذيلة ومن العجيب فيما يروى أنه كان يحتفظ بقلمة ظفر النبي كما في الكامل لابن الأثير: قال معاوية لما حضرته الوفاة: إن رسول الله (ص) كساني قميصاً فحفظته، وقلم أظافره قلامه فجعلتها في قارورة، فإذا مت فألبسوني ذلك القميص واسحقوا تلك القلامة وذروها في عيني وفمي فعسى الله أن يرحمني ببركتها.

وكان يفخر بقتله صحابة النبي الذين اجتمعوا على محور الحق: مالك الأشر الذي قال عنه (ع) لقد كان لي كما كنت لرسول الله، وعمار الذي قال عنه (ص): يا عمار ستقتلك الفئة الباغية. قام معاوية خطيباً بعد أن دس السم للأشتر وقال: أما بعد فإنه كانت لعلي يمينان فقطعت إحداهما بصفين وقطعت الأخرى اليوم، إشارة إلى عمار والأشتر.^{٢٢} وقد اجتهد وأمعن في تجهيل الناس في الشام التي أرادها أن تكون مملكة خاضعة له ومسدودة النوافذ لا يدخل فيها أمر إلا ما يهواه وينفعه في تدعيم نفوذه وإحكام سلطانه، وكان يولي الجانب الإعلامي اهتماماً شديداً حتى أن جماعة من قواد أهل الشام قد حلفوا للسفاح إنهم ما كانوا يعرفون أهل بيت النبي يرثونه غير بني أمية!

وفي وصية معاوية ليزيد: "وانظر أهل الشام وليكونوا بطانتك فإن رابك شيء فانتصر بهم فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فانهم إن أقاموا بها تغيرت أخلاقهم".

وحينما أرسل علي (ع) إلى معاوية كتاباً فيه:

²² - عباس محمود العقاد، "معاوية بن أبي سفيان"، ص ٧٤

محمد النبي أخى وصهرى
وحمزة سيد الشهداء عمى

قال معاوية أخفوا هذا الكتاب، لا يقرأه أهل الشام فيميلون الى علي.

وما اقترفه معاوية ودولته من بغي وعصيان وفتن لم يقف وصفه في المشرق فحسب، بل امتد الى ما وراءه من بلاد المغرب، وإليك بعض ما جاء في وصفه للفيلسوف ابن رشد الحفيد: إن أحوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من الصلاح، فكأنما وصف أفلاطون حكومتهم لما وصف في (جمهورية) الحكومة الجمهورية الصحيحة التي يجب أن تكون مثلاً لجميع الحكومات، ولكن معاوية هدم ذلك البناء الجليل القديم، وأقام مقامه دولة بني أمية وسلطانها الشديد.

وقال الدكتور أحمد أمين: فالحق أن الحكم الأموي لم يكن حقاً اسلامياً، يسوّى فيه بين الناس، ويكافأ فيه من أحسن عربياً كان او مولى، ويعاقب فيه من أجرم عربياً كان او مولى، ولم يكن الحكام فيه خدمة للرعية على السواء. إنما كان الحكم حكماً عربياً، والحكام فيه خدمة للعرب على حساب غيرهم، كانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية، فكان الحق والباطل يختلفان باختلاف من صدر عنه العمل، فالعمل حق إذا صدر عن عربي من قبيلة! وهو باطل إذا صدر عن مولى أو عربي من قبيلة أخرى.

أما الأستاذ عباس محمود العقاد فيقول: ...كانت له في حيلته التي كررها وأتقنها وبرع فيها واستخدمها مع خصومه في الدولة من المسلمين وغير المسلمين، وكان قوام تلك الحيلة، العمل الدائب على التفرقة والتخذيّل بين خصومه، بإلقاء الشبهات بينهم، وإثارة الإحن فيهم ومنهم من كانوا من أهل بيته ونوي قرابته، كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوي خطر على وفاق، وكان التناقص (الفطري) بين ذوي الأخطار مما يعينه على الإيقاع بهم.

ومضى معاوية على هذه الخطة التي لا تتطلب من صاحبها حظاً كبيراً من الحيلة والروية، فلو أنه استطاع أن يجعل من كل رجل في دولته حزباً منبداً لغيره من رجال الدولة كافة لفعل! ولو حاسبه التاريخ حسابه الصحيح لما وصفه بغير مفرق الجماعات ولكن العبرة لقارئ التاريخ في زنة الأعمال والرجال أن نجد من المؤرخين من يسمي عامه حين انفرد بالدولة (عام الجماعة!) لأنه فرق الأمة شيعاً، فلا تعرف كيف تتفق إذا حاولت الاتفاق. وما لبث أن تركها بعده تختلف في عهد كل خليفة شيعاً شيعاً بين ولاية العهود.²³

لبث بنو أمية بعد مصرع الحسين (ع) ستين سنة يستبّونه ويستبّون أباه على المنابر، ولم يجسر أحد منهم قط على المساس بورعه وتقواه ورعايته لأحكام الدين في أصغر صغيرة يباشرها المرء سراً وعلانية، وحاولوا أن يعيبوه بشيء غير خروجه على دولتهم فقصرت ألسنتهم وألسنة الصنائع والأجراء دون ذلك. فكانوا يستبّون علماً على المنابر وينعتونه بالكذب والمروق والعصيان، وكانوا يتحرّون أنصاره حيث كانوا فيقهرونهم على سبّه والنيل منه بمشهد من الناس، وإلا أصابهم العنت والعذاب وشهروا في الأسواق بالصلب والهوان....".

السياسة الأموية:

كانت سياسة معاوية سياسة انتهازية وصولية تسير على مبدأ أن الوسائل تبررها الغايات ولو كانت الغايات نبيلة عادلة تهدف إلى توزيع العدل الاجتماعي بين الناس، لكان هناك مجال أمام الباحث للدفاع عنها ولكنها: أهداف شخصية

²³ - محمود أبو رية، "شيخ المضيرة أبو هريرة"، ص ١٨٨

نفعية غرضها الظاهر التوصل إلى الحكم بمختلف الأساليب والوسائل، وهدفها البعيد تحطيم روح الإسلام والقضاء على مثله العليا في السياسة والأخلاق وتاريخه شاهد صدق على ذلك، ففي مجال تعداد مناقبه وفضائله لم يجد البخاري في صحيحه غير منقبة واحدة!

وقد نجح معاوية مع الأسف الشديد فيما كان يتوق إليه فاستولى على خلافة المسلمين وسار بها وفق أهوائه ومصالحه وخلف للمسلمين هذا التراث الاجتماعي البغيض وهذه العصبية الطائفية والقبلية المجرمة التي نكتوي بنارها في الوقت الحاضر.

ويكفي ما تركه من أثر مخلد يدل على نناء طبع وخساسة جوهر، أن يثبت لأبيه الزنا مؤكداً مخالفته لكتاب الله وسنة رسوله، وبعد أن كادت تنسى تلك الموبقة، ولكن يأبى الله إلا أن تفضح تلك الأسرة اللئيمة. وقد روى المسعودي ما قاله عبد الرحمن في ذلك من الشعر:

ألا أبلغ معاوية بن حرب	مغلغلة عن الرجل اليماني
أتغضب أن يقال: أبوك عف	وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن رحمك من زياد	كرحم الفيل من ولد الأتان

انهار النظام الإسلامي كله بوصول معاوية بن أبي سفيان إلى الحكم. فقد ارتد الخليفة الجديد في موضوع تعيين الحاكم وفي صلاحياته. وفي موضوع حقوق الإنسان، الأمر الذي عبر عنه بإقامة "الملك العضوض" بدلاً من الخلافة. فكيف مارس معاوية مهماته؟

لقد كان المعين لمعاوية في وصوله إلى السلطة قميص عثمان، إذ أن العامل الأموي على الشام ترك عثمان يحاصر ويقتل مع استعراضه له. وقد اعتمد على سياسة الخداع وإخفاء الحقائق عن الناس حتى إذا وصل إلى ما يريد، كشف عن أغراضه بكل وضوح.

وكان يستخف بحياة الإنسان استخفافاً ملفتاً، إذ فكر بإيادة جزء من الموالي من دون ذنب. يقول للأخنف بن قيس: إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت. وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق. وهو تماماً كما يفعله طغاة العصر من تقتيل وتشريد وإراقة دماء دون رحمة خدمة لمشاريعهم وعلى حساب الضعفاء تحت شعارات وعناوين كاذبة!

أما القتل فقد أصبح من أسهل الأمور عند الأمويين، حتى وصل الأمر بخالد بن عبد الله القسري عامل الأمويين على العراق أن يذبح الجعد بن درهم في أسفل المنبر يوم عيد الأضحى معلناً أنه سيضحي به، وذلك لأن الجعد يحمل رأياً لا يروق للسلطة، لا لأنه كافر أو مرتد إلى جانب إزهاق آلاف الأرواح بدون حق.^{٢٤}

لقد اختار الحكام الأمويون لبناء دولتهم أساليب العنف والظلم وقتل الأبرياء والصلحاء وتبذير الأموال في سبيل عروشهم وشهواتهم، ولحق العلويين وشيعتهم النصيب الأكبر.^{٢٥}

²⁴- د. محمد طي، "الإمام علي ومشكلة نظام الحكم" الغدير للدراسات والنشر، قم ١٩٩٧، ص ١٥٧

²⁵- هاشم معروف الحسني، "سيرة الأئمة"، ج ٢ ص ١٨٨

وعلى صعيد تطبيق المبادئ الشرعية، فقد عرف التاريخ لمعاوية استهتاراً وتعسفاً شديدين، فقد نال أتباع الشرعية الإسلامية في شخص الخليفة المبايع علي بن أبي طالب من التعذيب ما لم يعرفه التاريخ حتى تلك الفترة، فقد ولي زياد بن أبيه على العراقيين، فأخذ يلاحق أنصار علي تحت كل حجر ومدر. ثم جاء الخلفاء الأمويون من البيت المرواني وشريكهم الحجاج بن يوسف الذي طبقت شهرته في الآفاق في القتل والصلب والتقطيع والتخليد في السجون.

على أن جرائم معاوية لم تطل فقط من لم يكن مؤيداً له فهو كان لا يقيم وزناً حتى لذمة النبي(ص) فكان يأمر بالإغارة على أطراف العراق وعلى سواده بقصد القتل حتى لو طال القتل النصارى وهذا ما أنبّه عليه الإمام حيث قال: ويحك وما ذنب أهل الذمة في قتل ابن عفان؟

هذا وقد أعلن عدد من الخلفاء اللاحقين من بني أمية تعاليمهم على الناس وعدم قبولهم بما كان يتقبله أسلافهم، فقد ودع عبد الملك بن مروان القرآن عندما بويع له بالخلافة وقال: هذا آخر عهدنا بك. وصرح في خطبة له: والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه.

إن الأمويين بعد معاوية وبعد ما سنّ لهم استباحة الشرائع، أرسلوا تقليد نبش القبور والتمثيل بالجثث كما فعلوا بزيد بن علي.²⁶

وإنما أسهبنَا الحديث في هذا المجال عن معاوية باعتبار أنه من الشخصيات الإرهابية البارزة، والمؤسس أسس المنكرات، وقامع الصلحاء

²⁶- د. محمد طي، "الإمام علي..."، ١٦٣

ومبيد الأتقياء، والعايب بالدين بعقليته الجاهلية وغطرسته التي ورثها عن آبائه، وكان كل من خلف هذا المعلم، قد تخلّق بأخلاقه الأخلاق الأموية النميمة، وطباعها الأثيمة، فابتليت الأمة بهؤلاء الحكام. ونحن نضرب عنه الذكر صفحا ولا نزيد، لأن بحثنا ليس معقوداً لبيان تاريخ هذا الباغي.

وفي ظل هذه الأجواء المليئة بالجور والظلم والفساد، كان مولد زيد بن علي "رض"، ولا بد من إلقاء الضوء على أوضاع المجتمع الذي كانت قبل ولادة زيد، والتي كانت من العوامل الأساسية التي أدت إلى استنهاض زيد، وأدت بالتالي إلى خروجه مجاهداً لاجتثاث منكراتهم.

هذه بعض من الفظائع التي ارتكبتها هذه الطغمة الظالمة في حق الإسلام والمسلمين. حيث استرقوا وفرضت عليهم الجزية. وهذا غيض من فيض، ولو أردنا التسويد أكثر لملئت صحائف وصحائف، ولكن الغرض كان إطلاقة على بعض مشاهد هذه المسرحية الدموية، لإعطاء فرصة للتأمل في ترابط سير الأحداث التي توالى، حيث أنها لا شك ذات صلة بما كان يراه ويشاهده زيد بن علي.

لقد كان من الأسف وسوء حظ العالم البشري أن هذا المنصب الخطير ساسه رجال مفسدون، ظالمون، لا يراعون حرمة لأي أمر من الأمور ولم يريدوا للإسلام أن يحكم. ولم تنق رؤوسهم ولا نفوسهم من بقايا التربية القديمة، الجاهلية، ولم يكن عندهم من روح الجهاد في سبيل الإسلام ومن قوة الاجتهاد في المسائل الدينية والدنيوية ما يجعلهم يضطلعون بأعباء الخلافة الإسلامية وهذا الحكم عام يشمل خلفاء بني أمية وبني العباس، فظهر من ذلك ثلمات في ردم الإسلام لم تسد إلى الآن ووقعت تحريفات في الحياة الإسلامية.

ولم يكن رجال الحكومة والحكام أنموذجاً كاملاً في الدين والأخلاق العامة والإجتماع. وأصبحوا أسوة للناس في أخلاقهم وموائدهم وميولهم، وزالت رقابة الدين والأخلاق وارتفعت الحسبة وفقدت حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأثيرها، لأنها لا تستند إلى الملاهي والملاعب، وانغمسوا في الملذات والشهوات، واستهتروا استهتاراً.

وكيف تؤدي أمة رسالة الإسلام هذه حالها من الأخلاق المنحطة ومن الإنهماك في الملاهي والمجون؟

وكان هؤلاء في كل ما يأتون ويذرون ممثلين لأنفسهم وسياستهم فقط لا يمثلون الإسلام ولا سياسته الشرعية، لا قانونه الحربي ولا نظامه المدني، ولا تعاليمه. فقدت رسالة الإسلام تأثيرها وقوتها في قلوب غير المسلمين وضعفت ثقتهم به.^{٢٧}

ويمكن في المحصلة النهائية إبراز أهم السمات التي اتسم بها الحكام في تلك الحقبة من الزمن وهي:

١- السعي بجد لفصل الأمة عن المضمون الرسالي والعمل المركز على تجهيل الحقائق والحوول دون فهم الرسالة. وهكذا استمر الضخ الإعلامي عبر الوعاظ والقصاصين طيلة حكمهم، لذا نجد أن السلطات الجائرة عملت بكل قواها على إنتاج نمط مرتزق من الفكر كفعل معاوية والبطانة التي كانت من حوله من أمثال أبي هريرة والجعد بن درهم وسمرة بن جندب، وقد أوكل إليها

^{٢٧} - أبو الحسن الندوي، "ماذا خسر العالم باتحطاط المسلمين"، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ١٢٢

مهمة إفراغ الوعي عند الناس من كل ما يمكن ان يكون عنصر تحريض ضده واستبدالها بفضائل خائفة ذليلة تمجد الإذعان حتى اصبحت ثقافة الناس كذلك. إضافة الى بث الدعايات المغرضة وبث بذور الفرقة والشقاق بين المسلمين وإثارة الناس الغوغاء ضد كل ما يمت الى اهل البيت ليتمكنوا من القضاء على الإسلام.

٢- فصل الأمة عن القيادة الرسالية المتمثلة بأهل البيت(ع) من خلال التضييق وممارسة الضغوط. وهذه السياسة أدت الى ضياع قطاعات كبيرة من الناس عن الاهتمام بهدي أهل البيت المناط بهم إيصال الهداية الإلهية للناس.

٣- تعطيل الحدود وإسقاط السنن وممارسة التقاليد الجاهلية، وكم لذلك من شواهد تاريخية.

٤- التشجيع على الفساد واعتباره سلوكاً إجتماعياً مشروعاً، فانتشر في زمان الحكم الأموي وما بعده، الغناء والرقص وشرب الخمر، ومن أراد مزيد بيان فليرجع الى كتاب الأغاني للأصفهاني والعقد الفريد لابن عبد ربه ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ليجد فيها بلغته.

٥- من الأمور التي لعبت على أوتارها السلطات الحاكمة، التناقضات الموجودة بين القبائل، حيث أذكوا تلك الصراعات الموجوة أساساً، وأججوا نارها، وعملوا على إشعال الفتن المتقلبة، وعملوا على استمالة الأهواء وشراء الذمم.

إن الذي ساهم في رفع درجة قابلية التسليم لذلك الظلم وشيوع الفساد، هو قبول أصل النظام، والسكوت على منكراته، ما أدى الى تسلطهم على رقاب الناس ما يقرب قرن من الزمن.

الأحوال العامة للمدينة ومكة في العصر الأموي:

لعل أهم ظاهرة تميّز المدينة في العصر الأموي (٤١ - ١٣٢ هجري) أنها فقدت زعامتها السياسية. فقد كانت عاصمة للدولة الإسلامية - وإن كان هذا التعبير لا يخلو من حزاظة - تتبعها الولايات وتُصرف شؤونها. أما في هذا العصر فقد أصبحت تابعة لدمشق العاصمة، وأصبح الولاة يختارون لها فيها، بعد أن كانت هي التي تختارهم لها، وتقيمهم عليها وعلى غيرها من بلدان العالم الإسلامي ولم يقف الأمر عند ذلك، فقد أخذت تدفع إلى دمشق خراجها مما كان يسمّى الصوافي من الحنطة والتمر.

وقد ولى عليها معاوية (٤١ - ٦٠ هجري) مروان بن الحكم كاتب عثمان بن عفان، ثم أقاله، وولى عليها سعيد بن العاص، ثم عزله وولى مروان ثانية. ويستطيع من ينظر في مختتم السنين في الطبري أن يجد أسماء الولاة الذين توالوا عليها طوال العصر الأموي، وأكثرهم من الأمويين، ولم يولَّ عليها من الأنصار سوى ابن حزم في عهد سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز.

وكانت المدينة طوال العصر الأموي تقف موقف المعارضة من بني أمية. ومن المعروف أنه لما استولى بنو أمية على الخلافة قامت معارضة واسعة ضدهم، إذ كانوا من سلالة ألد أعداء الإسلام والمسلمين قبل فتح مكة، ولم يكن لهم سابقة في الإسلام، بل على العكس من ذلك كانوا يناهضون النبي أول دعوته إلا قليلاً منهم، ولم يسلم أكثرهم إلا بعد فتح مكة. فكان كثير من المسلمين يرون أنهم غاصبون للخلافة، ولم يكن أهل بيت الرسول وحدهم مغاضبين للأمويين، حتى الأسر الأخرى كأسرة أبي بكر وعمر بن الخطاب.

كان إذاً كثير من القرشيين الذين يعيشون في المدينة مغاضبين لبني أمية، وكان الأنصار كذلك، فهم الذين آووا ونصروا وأزروا النبي وبذلوا المهج دونه لم يرضوا بسياسة عثمان وعماله، وبعد قتله بايعوا علياً، ولما ذهب إلى العراق ذهب معه كثير منهم وعلى رأسهم أبو أيوب الأنصاري، وقد شهد صفين مع علي (ع) من أهل بدر سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعون من الأنصار، وشهدا معه ممن بايع النبي (ص) تحت الشجرة، وهي بيعة الرضوان تسعمائة.

ولما دار الزمان دورته وأصبح معاوية هو الخليفة كان يدّعي أن أهل المدينة هم قتل عثمان وأعداءه، ويقال إنه أرسل إليهم بسر بن أرطاة، فأقام عندهم شهراً يستعرضهم، ليس أحد ممن يقال هذا أعان علي عثمان إلا قتله.

ولم تكن المدينة ولم يكن الأنصار من هوى معاوية، وقد أرسل يزيد بن معاوية إلى كعب بن جعيل كي يهجو له الأنصار، فقال له: أرأيت أنت إلى الإشراك بعد الإيمان؟ لا أهجو قوماً نصروا رسول الله (ص). كانت المدينة خاضعة لمعاوية إذن عن قهر وموجدة.²⁸

كانت حياة المدينة زمن الأمويين، فيها من الأثرة ومظاهر الترف إلى حد الإسراف على ما تذكر كتب التاريخ. ولا يعني أن غنائم الفتوحات التي حازها المسلمون كانت تغدق على كافة أبناء المجتمع دون تمييز، فالثراء الفاحش الذي تمتع به من كانوا يشكلون الطبقة الأرستقراطية التي حاربها الإمام علي (ع) أبان

28- د. شوقي ضيف: "الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية" دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة ص ١٩ - ٢١

حكمه عندما بسط في العطاء بالعدل والمساواة -وناوأه الكثيرون لأجل تلك السياسة لأنها سياسة جديدة لم يكونوا قد اعتادوا عليها- قد عني الحجاز بالغناء في العصر الأموي عناية بالغة فقد اهتموا به اهتماماً شديداً. ومما لا شك فيه أن الحكام قد شجعوا على امتهان اللهو بكل أشكاله وروجوا له ترويجاً ساعد في انتشاره بدلاً من ترويج العلم وحفظ العقيدة مما كان يصيبها من التحريف والتشويه. "ولعلنا لا نغلو إذا قلنا أن الغناء كان أهم شيء في الحياة بمكة وغيرها من مدن الحجاز في أثناء العصر الأموي، فقد أقبل الناس عليه إقبالاً شديداً، ويخيل إلى الإنسان أن أيام الناس ولياليهم كلها أصبحت غناء، ففي كل مكان وزمان لا نسمع إلا أحاديث الغناء والمغنين"²⁹ وقد إقترن بحياة الترف هذه، إبان العصر الأموي، فراغ واسع إذ كانت الدولة منصرفه عنهم، فقلما استخدمتهم في شؤونها، لما عرفت فيهم من معارضتهم لها. وكان لابد أن يملأ هذا الفراغ بالإكثار بفنون من اللهو المختلفة.³⁰

إلفات نظر:

سوف يلاحظ القارئ التركيز على أمرين أساسيين، ابتداءً من المقدمة وإلى ما بعد منتصف الكتاب: الأمر الأول: سياسة الأمويين ومكانتهم. والأمر الثاني: التعامل مع نقل الحدث التاريخي وما يحيط به من ملابسات، بحيث يستحيل التعاطي مع تلك الأحداث بشكل نزيه وبريء، وذلك للأسباب التي ذكرناها سابقاً من التأثير العاطفي أو المذهبي، أو الهوى السياسي، الذي يعكس تلقائياً عدم التجرد والموضوعية ما يفقد أمانة الناقل، بل وخيانتة في أغلب الأحيان. كنت ذكرت سابقاً أيضاً الشهرستاني وولعه في الإكثار من تعداد الفرق والمذاهب، وكثير منها لا وجود له أصلاً في عالم الوجود، بل محض اختراع.

²⁹ - "الشعر والغناء"، ص ١٨٣

³⁰ - المصدر نفسه، ص ٣٦

والسيوطي في كتاب "تاريخ الخلفاء" يذكر الحكام والخلفاء والولاطين الذين حكموا بلاد المسلمين ويعد أسماءهم البالغة خمسة وستون وعندما يصل الى عهد الفاطميين يعقد فصلاً: الدولة الخبيثة العبيدية (الفاطمية) الذين حكموا ما يقرب من ثلاثة قرون. ثم يذكر قول الذهبي: فكانوا أربعة عشر متخلفاً، لا مستخلفاً، ولم أجده يذكر ذلك عند "الخلفاء" الذين رموا الكعبة وأحرقوها وأرادوا شرب الخمر فوقها، إضافة الى إقامة المنكرات في نواديهم ومع بطانتهم ما يخل القلم عن وصفها.

غاب عن السيوطي مذكره المؤرخون: اليعقوبي والطبري وابن عديريه وابن سلام وابن هشام، عن "الخليفة" يزيد ما فعله في المدينة في "وقعة الحرة" من إباحتها ثلاثة أيام حيث نهبت أموالها وهتكت حرماها وقتل فيها خمسة آلاف من المهاجرين والأنصار، وأخذته البيعة ليزيد على أنهم عبيد له وبعث برؤوس أهل المدينة الى الشام، وأن يغفل عن هذا، لهو من أشد الخيانات لله ورسوله.

ليس دفاعاً عن الفاطميين، فإن كان هناك ما يشينهم، فهم في نهاية الأمر سلاطين. وليس من وظيفتنا الدفاع عن الزلات والنزوات أيّاً كان مصدرها. ولكن لا يبلغ الأمر بنا أن يعمي التعصب بصرنا وبصيرتنا، ويجعلنا ننساق وراء أهوائنا. من هنا كانت مهمة البحث والتحقيق في قضايا التاريخ شاقة ومضنية، ومكلفة بعض الشيء، لأنها تأتي أحياناً على حساب الهوى، والموروثات التقليدية، إلا أن ما يهون الأمر، أن تذكر الأحداث كما هي دون إضناء الأمزجة المتلونة عليها، وهو ما نزعمه في مهمتنا، ونحن مع الدليل والبرهان.

الفصل الثاني

زيد من هو؟

- زيد في سطور
- زيد الشهيد عند الشيعة
- عصر زيد السياسي والاجتماعي
- في الأسباب والبواعث
- لماذا لايجوز الخروج على الحكام؟
- أسباب خروجه
- تبرئة هشام

زيد في سطور:

هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. كنيته: أبو الحسين، مدني، تابعي، جليل القدر، عظيم المنزلة، قتل في سبيل الله وطاعته. وقد ورد في علو قدره روايات يضيق المقام عن إيرادها.^{٣١} اختلفت الأقوال في تحديد زمن ولادته، والأرجح أنها كانت سنة ثمانين^{٣٢} من الهجرة الشريفة كما يستفاد من اتفاقهم على تاريخ وفاته وعمره يوم استشهاده، فأكثر الأقوال على أن استشهاده كان سنة ١٢٢هـ، في عهد هشام بن عبد الملك، وأن عمره يوم مصرعه اثنان وأربعون عاماً، ولازم ذلك أن تكون ولادته سنة ثمانين.

أما حديث شراء المختار بن أبي عبيدة الثقفي لأمه، وإهدائها للإمام زين العابدين عليه السلام لا يدل على أن ولادته كانت قبل سنة ثمانين، وذلك لأنه يوجد اتفاق على أن عمره يوم استشهاده كان اثنين وأربعين سنة مما يعني أن

^{٣١}- الأرنؤبلى، "جامع الرواة"، ج ١ ص ٢٤٣

^{٣٢}- زيد بن علي، ٨٠- ١٢٢ هجرى، دعا إلى الثورة فى عهد هشام بن عبد الملك ، وحدد منهاجاً لثورته، أهم ما جاء فيه: جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين، ورد المظالم. فشلت ثورته وقتل وإليه نسب المذهب الزيدى الشيعى. "المنجد فى الاعلام"، دار المشرق، بيروت ١٩٧٦ م، ص ٣٤١

عمره يوم استشهاده سيكون فوق الخمسين، وهذا لم يقل به أحد، فالمختار قد استشهد سنة ٦٧، وهذا مما قد يوحي بأن ولادته كانت في سنة الإهداء ولكن إهداء الجارية لا يستلزم ولادته في تلك السنة. هذا كله على القول بصحة الرواية القائلة بأن المختار قد اشترى جارية وأهداها إلى الإمام السجاد(ع). فقد ذكر المسعودي^{٣٣} أن الإمام(ع) كان يرفض هدايا المختار المادية لأغراض سياسية غير خفية.

أمه أم ولد، اسمها حورية أو حوراء أو جيد.^{٣٤} وله من الأولاد أربعة بنين ولم يكن له أنثى أصلاً.^{٣٥} عاش مع والده السجاد(ع) خمسة عشر عاماً، ومع أخيه الامام الباقر(ع) تسعة عشر عاماً، ومع ابن أخيه الامام الصادق(ع) ثمانية أعوام.

زيد الشهيد عند الشيعة:

في الحقيقة أن زيد بن علي هو من الشخصيات المرموقة ولم تكن شخصيته مثار جدل عند الباحثين والعلماء الإمامية، إلا في بعض التفاصيل الآتية في ثنايا هذا البحث، وإنما في بعض المصادر الأخرى عند الشيعة، تنسب إليه بعض المعتقدات والتوجهات السياسية التي يكتنفها بعض الغموض. ونحن لا نريد أن نحكم مسبقاً، أو نصدر النتيجة قبل أن نعرض الدلائل والوثائق التي تثبت على ضوءها سلباً أو إيجاباً، وهذا موكول الى هذه الدراسة كما سيأتي إن شاء الله.

^{٣٣} - المسعودي، "مروج الذهب"، ج ٣ ص ٨٣

^{٣٤} - أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سايمان بن عبد الله البخاري، "سر السلسلة العلوية"، منشورات

الشریف الرضی عن طبعة النجف ١٣٨١ هجري ص ٥٦

^{٣٥} - المصدر السابق، ص ٦٠، و"المعارف" لابن قتيبة، منشورات الشريف الرضي، ص ٢١٦، حيث ذكر

أن مقتله كان سنة اثنتين وعشرين ومائة، وقال الزبير بن بكار: قتل سنة اثنتين وعشرين ومائة وهو ابن

اثنتين وأربعين سنة، "سر السلسلة العلوية"، ص ٩٥

"هو أحد أباء الضيم، ومن مقدمي علماء أهل البيت، قد اكتتفته الفضائل من شتى جوانبه، علم متدفق، وورع موصوف، وبسالة معلومة، وشدة في البأس وشم يخضع له كل جامع، وإياء يكسح عنه أي ضيم، كل ذلك موصول بشرف نبوي، ومجد علوي، وسؤدد فاطمي وروح حسيني.

والشيعة اتفاقاً، لا تقول فيه إلا بالقداسة، وترى من واجبها تبرير كل عمل له من جهاد ناجح، ونهضة كريمة، ودعوة إلى الرضا من آل محمد، شهد لذلك كله أحاديث أسندوها إلى النبي (ص) وأئمتهم (ع)، ونصوص علمائهم، ومدايح شعرائهم، وتأبينهم له وإفراد مؤلفيهم أخباره بالتدوين".^{٣٦} وكان جمّ الفضائل، عظيم المناقب، من أهم ألقابه: حليف القرآن. وكان حسن العبادة، كثير الصلاة، يصلي الليل كله، ويكثر من التسبيح ويكرر هذه الآية الكريمة "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ"^{٣٧}

دخل زيد على الإمام الباقر (ع) فلما رآه تلا قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ"^{٣٨} ثم قال: أنت والله يا زيد من أهل ذلك.^{٣٩}

³⁶ - العلامة الأميني، "الغدير"، ج ٣ ص ٦٩، وهناك كثير من المصادر التاريخية من كتب الفريقين قد تعرضت لحياة زيد وراجع على سبيل المثال في مصادر الشيعة: "الأمالي" للشيخ المفيد ص ٣٢ و"وقعة صفين" للمنقري و"الأثار" للشيخ المفيد ج ٢ ص ٢٦٨ و"أعلام الوري" للطبرسي ص ٢٦٢. ومن كتب أبناء العامة راجع "تاريخ اليعقوبي" ج ٢ ص ٣٢٥ و"طبقات ابن سعد" ج ٥ ص ٣٢٥ و"سير أعلام النبلاء" للذهبي ج ٥ ص ٣٩٠ و"جمهرة النسب" للكلبي ص ٤٤٥ و"تاريخ الطبري" ج ٥ ص ٤٨١ و"فرق الشيعة" للنوبختي ص ٥٧ و"شذرات الذهب" للحنبلي ج ١ ص ١٥٨ - ١٦٣ و"الخطط المقرئية" ج ٢ ص ٤٣٧ و"الروض النضير" ج ١ ص ١١٢ و"تاريخ التراث العربي" ج ٢ ص ٥٢ و"نهاية الأرب" ج ٢٥ ص ٣٩٦ و"فجر الإسلام" ج ١ ص ٣٢٤ و"الاستيعاب" ج ١ ص ٢٢٨ و"أسد الغابة" ج ١ ص ٣٠٨ و"الفخري في أنساب الطالبين" للزورقاني ص ٣٨٧ و"فوات الوفيات لشاكر" المكتبي ج ٢ ص ٣٥ و"الأعلام" للزركلي ج ٣ ص ٥٩

³⁷ - سورة "ق" الآية ١٩

³⁸ - سورة "النساء" الآية ١٣٥، "الأغاني" ج ٢ ص ١٢٧

³⁹ - ابن طاووس، "الملاحم والفتن" ص ٣١ النجف الأشرف، و"عيون أخبار الرضا" للشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٤٩ طهران

ومن جملة الأحاديث الشريفة الواردة في حق زيد (رض) قول رسول الله (ص) للحسين السبط (ع): يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس، يدخلون الجنة بغير حساب.

أما آراء العلماء فيه، فهي كثيرة جداً، نذكر منها ما قاله الشيخ الصدوق (رض): إن قداسة زيد كانت من معتقدات الإمامية. وما قاله الشيخ البهائي في رسالة إثبات وجود الإمام المنتظر "عج": إننا معشر الإمامية لا نقول في زيد بن علي إلا خيراً. الروايات عن أئمتنا (ع) في هذا المعنى كثيرة. والقصائد لشعراء الشيعة كثيرة أيضاً نذكر منها عدة أبيات. قال الكمي:

يعز علي أحمد بالذي أصاب ابنه أمس من يوسف
خبث من العصبه الأخبثين وإن قلت زانين لم أقذف

ورثاء السيد علي النقوي اللكهنوي بقصيدة استهلها:

أبى الله للأشراف من آل هاشم سوى أن يموتوا في ظلال الصوارم
وقال الشيخ المفيد في إرشاده: كان زيد بن علي بن الحسين عين أخوته
بعد أبي جعفر (ع) وأفضلهم، وكان ورعاً عابداً فقيهاً سخيّاً شجاعاً، وظهر بالسيف
يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين (ع)^{٤٠}

ذكر العلامة المجلسي أن علماء الإسلام اتفقوا على جلالته، وثقته،
وورعه وعلمه، وفضله^{٤١} وعلى أنه كان يدعو إلى الرضا من آل محمد (ص)، وأنه
كان عازماً على أنه إن غلب الأمر فوضه إلى أفضلهم وأعلمهم.^{٤٢}

⁴⁰- الشيخ المفيد، "الإرشاد"، مؤسسة أهل البيت (ع)، قم ١٤١٣ هجري، ج ٢ ص ١٧١
⁴¹- الشيخ المامقاني، "تنقيح المقال"، ج ١ ص ٤٦٧، و"بحار الأنوار"، طبع دار أحياء التراث العربي بيروت، ج ٤٦ ص ١٩٠

عصر زيد السياسي والاجتماعي:

تميّزت الحقبة التاريخية التي عاش فيها زيد بمشاكل اجتماعية من نوع خاص، وقد تكون موجودة في أكثر الأزمنة الماضية، فتاريخهم حافل بفنون الفضاء، إلا أن بروزها آنذاك كان مكثفاً وكان للإمام زين العابدين (ع) دور كبير في معالجة الكثير من القضايا. ولم يقتصر الإمام السجاد (ع) نشاطه على الدعاء بل كان ممتداً في الجانب العلمي الذي تمثل في الرواة الكثيرين عنه، بحيث يمكننا القول بأن الإمام (ع) كان أستاذ تلك المرحلة الذي تخرج على يديه الكثيرون من أعمدة الحياة الإسلامية آنذاك. وقد تكون الصورة المأخوذة عنه في الاستغراق الدائم في العبادة بحيث تستغرق يومه ونهاره وتغزله عن المجتمع غير دقيقة. فإن دراستنا لنشاطه ولحديثه المتنوع في مواقفه وفي عناوينه، توحى إلينا بأن وقته كان يتسع لكل تلك النشاطات الكثيرة.⁴² بما فيها الشأن السياسي على ما يأتي إن شاء الله.

اعتمد الأمويون سياسة التفرقة العنصرية بين طوائف الأمة، والعصبية القبلية بين مختلف طبقاتها، محاولين بذلك تفتيت المجتمع الإسلامي، وتقطيع أواصر الوحدة بين أفرادها. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: إن عصبية الجاهلية نُسيت في أول الإسلام ثم عادت كما كانت، في زمن خروج الحسين عصبية مضر لبني أمية كما كانت لهم قبل الإسلام.

وتجاوزوا كل الأحكام الشرعية في التزامهم بأساليب الحياة العربية الجاهلية فتوغلوا في اللهو والاستهتار بالمحرمات والظلم والقتل، حتى تجاوزوا

⁴² - العلامة المجلسي، "مرآة العقول"، دار الكتب الإسلامية، طهران، ج ٤ ص ١١٨

⁴³ - السيد محمد حسين فضل الله: "تأملات في آفاق الإمام موسى الكاظم" دار التعارف، بيروت، ص ١٨

أعرافا عربية سائدة بين العرب قبل الإسلام، فخانوا العهد والذمة وهتكوا الأعراس.

قال د. صبحي في نظرية الإمامة: فيما كان الأمويون يقيمون ولكنهم على العصبية العربية عامة، كان زين العابدين يشيع نوعاً من الديموقراطية الاجتماعية بالرغم مما يجري في عروقه من دم أصيل، أباً وأماً، وقد أقدم على ما زعزع التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسلامي الذي أراد له الأمويون أن يقوم على العصبية.

وكون الإمام القائد المسؤول الأول عن هذا الدين وهذه الأمة، قام بأداء وظائفه وإرساء قيم الحق والعدالة وتأسيس القاعدة للانطلاق على أسس رصينة محكمة. وبما أن الإمام مسؤول عن كل ما يجري في العالم الإسلامي من خلال منصبه الإلهي، فقد قام بكل ما يستطيع وبكل ما يملك من أدوات الجهاد الممكنة والمتاحة له ووقف سداً منيعاً ضد عمليات التحريف التي كانت تهدد كيان الإسلام من الداخل وقد تمكن الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام من رفع الغشاوة عن كثير من الحقائق التي أريد لها أن تطمس، وخاصة ما يرتبط بحق أهل البيت. ويتضح ذلك من خلال تصدي الحكام: أمويين وعباسيين لهما، ما يعني أن ما قاما به يعدُّ فتحاً عظيماً في المعيار السياسي وأيضاً إنجازاً في قاموس الحركات الاجتماعية. خاصة تلك العصور المظلمة، وليس صحيحاً ما يقال من أن عصر العباسية عصر ذهبي بالنسبة إلى للإسلام على صعيد انتشار العلوم وبناء الحضارة، فيكفي الاطلاع على كتاب الأغاني والعقد الفريد لتشهد ذلك الجانب المزري الذي يصور الحياة العباسية الماجنة التي عاشها "الخلفاء"!

لقد عمل الأئمة(ع) على تعميق الثقافة في داخل المجتمع، وتسليح الأمة بالوعي والمعرفة، وثبتت قواعد العقيدة والإيمان ونضح بل سلخ ما أدخل عليها من مفاهيم وعقائد فاسدة مثل الجبر الذي أرادوه أن يكون أفيوناً للأمة. فعملوا على تهيئة الدعاة للوقوف بوجه التيارات الإلحادية، لذلك كان هذا العمل تحدياً معلناً ضد الحكومات الفاسدة التي كانت تروج للتيارات العقائدية الملحدة، والخارجة عن إطار العقائد الإسلامية، وتدعو إلى حياة التفسخ والانحلال والترف واللهو والفساد.

وقد استفاد زيد بن علي من كل هذه الجهود المضنية ومن هذه القاعدة التي مهدها الإمام زين العابدين(ع)، للحركة الجهادية التي قام بها زيد، وكان عمله دعماً لموقف الإمامين في تنفيذ خطط الإمام واستمراره بالجهود بغية تحقيق الاهداف.

إن ما قاموا به يعد في العرف السياسي أهم من حمل السلاح في تلك الفترة بالذات، لأن حملة لن يعطي نتيجة ولا تصب في مصلحة الأهداف.⁴⁴

والأمويون، نظراً لعدم إيمانهم الحقيقي برسالة الإسلام، كانوا أكثر جنوحاً إلى محاكاة هذه النظم التي هي جديدة بالنظر إلى العرب، فلما أنسوا من أنفسهم القوة، وجمعوا مقدرات الحكم في أيديهم، وعطلوا حرية الشعب، وقضوا على رقابته، مالوا بكليتهم إلى فرض النظم المقتبسة. وقد أصيبت الأدبيات الإسلامية بانحراف كبير، إن لم نقل إن الحياة العامة خرجت عن قاعدتها، وهذا ما يعلل نقشي المجون في مهبط الوحي وانتشار الحياة اللامية، كما تقدم ذكره مفصلاً.

⁴⁴- محمد رضا الحسيني الجلي، "جهاد الإمام السجاد(ع)"، ص ٢٩٤ بتصرف.

ولعلّ في درس حياة يزيد وصنوف اللهو التي دخلتها، وهو في بيت الملك، أو الخلافة كما يشاؤون تسميته، ما يوقفنا على مدى التجديف والانحراف الذي شمل الدولة الأموية أو قام معها أول ما قامت إلى أن توارت في استخفاء أبدي.^{٤٥}

لعل حزب الأمويين أخطر حزب استطاع أن يضغط على الجماهير ويتحكم فيها ويحدث الاضطراب. وأهدافه التي كان يعمل لها كانت من أخطر الأهداف، وهي تتناول الوضع السياسي والاجتماعي من كل أوجوه، وأهم نظرياته حصر السلطات العليا في أسرة، وتقرير مبدأ الملكية المطلقة في السلطة الأولى، ونظام الوراثة، وتسليط العنصر العربي على الشعوب، وفرض العرب طبقة أرستوقراطية، وفرض نظام إداري مقتبس من النظم الأجنبية أي غير مشتق من طبيعة الحياة العربية والتشريع الإسلامي الجديد، وتحويل نظام المال إلى ما يؤيد سلطتهم عليه وإطلاق أيديهم فيه وفرض الإقطاع، والقضاء على الطبقة الدينية المرموقة التي ساهمت في بناء الشريعة لأنها كانت تحول بينهم وبين أغراضهم، وتسميم المعنوية الجديدة التي خلقتها الديانة الجديدة، وتشجيع المجون والحياة اللاهية بكل أشكالها. هذه هي أهدافهم الرئيسية، وكانوا يعملون لها سراً في ظل الحكومات السابقة لحكومة عثمان ويتوسلون إليها بأساليب تجمع الإغراء والإرهاب، وقد ساعدتهم الخطوة التي رزقوها من الخلفاء على إعداد الجمهور.^{٤٦}

في الأسباب والبواعث:

دأب الفقهاء الرسميون على إصدار الفتاوى التي تحرّم على الجماهير الخروج على الحكم الفاسد، قال الشيخ عمر النسفي في العقائد النسفية: ولا ينغزل

⁴⁵ - عبد الله العلايلي، "الإمام الحسين"، دار مكتبة التربية، بيروت، ص ٣٣٥

⁴⁶ - عبد الله العلايلي، "الإمام الحسين"، دار مكتبة التربية، بيروت، ط ١٩٧٢، ص ٢٤٢

الإمام بالفسق - أي بالخروج على طاعة الله تعالى - والجور - أي الظلم على عباده تعالى - لأن الفاسق من أهل الولاية عند أبي حنيفة. وقد علل ذلك بأنه قد ظهر الفسق واشتهر الجور من الأئمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين، والسلف كانوا ينفقون لهم، ولا يرون الخروج عليهم.

وقال الباجوري في حاشيته على شرح الغزي: فتجب طاعة الإمام ولو جائراً، وفي شرح مسلم: يحرم الخروج على الإمام الجائر إجماعاً، وقتالهم حرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين. هل سمعت كلاماً أغرب من هذا الكلام ينسب إلى دين الله؟ ولا أدري كيف ينعتقد إجماع فيه مخالفة صريحة لكتاب الله، وكيف يستقيم إجماع وأئمة أهل البيت (ع) خارجون من إجماع المسلمين هذا! إن عشت أراك الدهر عجباً. ومن عجائب هذا الدهر يقول أحد الفقهاء في كتاب له "مجمع الأنهر وملتقى الأبحر": والإمام يصير إماماً بالمبايعة معه من الأشراف والأعيان، وبأن ينفذ حكمه في رعيته خوفاً من قهره وجبروته، فإن بويع ولم ينفذ حكمه فيهم لعجزه عن قهرهم لا يصير إماماً فجار لا ينعزل إن كان له قهر وغلبة، وإلا ينعزل!

لا أدري إن كان في هذا العصر من مستمع أو مستعقل لهذا الهذيان الذي لم يكن من أثر له إلا إدامة أمد الظلم والجور بسبب من تلك الفتاوى التخديرية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

إن كان ينبغي السكوت على فسق الحاكم والرضوخ لظلمه عند بعض المسلمين، فإن الأمر فيه يختلف عند مدرسة أهل البيت ومناصريهم. فقد نسب إلى أحمد بن حنبل والشافعي ومالك أنه يجب الصبر عند جور الحاكم كما ذكر الشيخ محمد أبو زهرة في كتاب المذاهب الإسلامية ص ١٥٥، وزعموا أن الخروج على

الحاكم المستخف بدين الله الجائر على عباده حرام، وبما رواه أبو بكر عن الرسول (ص) "ستكون فتن القاعد فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، إلا إذا نزلت أو وقعت فمن كان له أبل فليلحق بإبله ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه فقال رجل: يا رسول الله من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر.^{٤٧}

ونقل أبو زهرة من الصحيحين أن رسول الله (ص) قال: من ولي عليه والٍ فراه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصيته ولا ينزعن يداً من طاعته. وقال الحسن البصري: تجب طاعة ملوك بني أمية وإن جاروا وإن ظلموا، والله لا يصلح بهم أكثر مما يفسدون. ومن جملة المفتريات على النبي (ص): من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. إلى غير ذلك من وجوب السمع والطاعة للفساق والحاكمين، وجعله جزءاً من تعاليم الدين، فكيف والدين أمر الناس أن لا يقرّوا على سغب مظلوم ولا كظة ظالم؟

وهذه الأحاديث وأمثالها من الفتاوى هي التي فتحت باب حكومة الجبابرة بمصراعيه على وجوه المسلمين، وصانعت مصالح الظالمين. ومما روي أن النبي (ص) قال في آل أبي طالب: إن آل أبي طالب ليسوا بأولياء لي إنما وليي الله وصالح المؤمنين. وروى الأعمش أنه لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلخته مراراً وقال: يا أهل العراق أتزعمون أنني أكذب على رسول الله (ص) وأحرق نفسي بالنار؟ لقد سمعت رسول الله يقول: إن لكل نبي حرماً،

47 - مسند أحمد بن حنبل، ج ٥ ص ٤٠

وأن حرمي بالمدينة ما بين عير الى ثور فمن أحدث فيهما حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أن علياً أحدث فيهما! مع العلم ان عمر بن الخطاب في زمن توليه كان يضرب أبا هريرة بدرته ويهدده بالنفي من المدينة إن هو ظل يحدث الناس بما لم يحدث به الرسول. وبعد وفاة عمر أخذ يحدث بما شاعت له قريحته، حتى أن عائشة كانت تنكر عليه بعض مروياته كما هو مذكور في محله. ومن أراد المزيد فليراجع كتاب "أبو هريرة" للسيد عبدالحسين شرف الدين وكتاب "أبو هريرة شيخ المضيرة" للأستاذ أبو رية.

ومن تلك الأحاديث المفتعلة، إفتراؤهم على النبي(ص): "معاوية بن أبي سفيان أحلم أمتي وأجودها"! ولا أدري كيف كان حليماً وهو لا يتهيب من الإقدام على اقتراح أية جريمة من أجل أن يضمن ملكه وسلطانه، فمرس كل الأساليب الوحشية قتلاً وتعذيباً وتشريداً بقلب قاسٍ لا يعرف رحمة ولا شفقة لكل من ناوأه وخاصة شيعة الإمام علي(ع).

إن من الفروق البارزة بين الشيعة وأهل السنة أنهم قائلون بوجوب إطاعة الحاكم الجائر، على رأي بعضهم، غير أن الشيعة يعتقدون بوجوب مكافحة الظالمين، ولذلك كانوا عرضة لسيوفهم ورماحهم، وأنه ما كان سبب الثورات القائمة ضد الطغاة إلا ذلك الإعتقاد. وإن أول ثائر ثار في وجه الطغاة، هو أمير المؤمنين علي(ع) وكان شعاره: "الموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين" وإن كل ثورة شيعية يجري في عروقه الدم العلوي.⁴⁸ وقد قامت بعد ثورة علي(ع) ثورات متتالية في عصور متتابعة كان لها الأثر التام في إيقاف

48- محمد جواد مغنية، "الشيعة والحاكمون"، ص ٢٨

العقول، حيث ما كان الباعث على هذه الثورات إلا الشعور بالمسؤولية. بذلك رسموا بها طريق الخلاص من الذل والإستعباد.⁴⁹

لقد سخرت الأجهزة الحاكمة كل إمكانياتها، واستخدمت أخطر الوسائل لقلب الحقائق وتشويه المفاهيم، فعمدت الى وضع كمّ هائل من الأحاديث على لسان النبي(ص) عبر لجانٍ وُظِّفَتْ فاتقنت صناعة الكذب للغايات الساقطة والرخيصة، كل ذلك من أجل تبرير سقطات الحكّام ونزواتهم. فإذا كان النبي يُخطيء ويصيب على ما زعموا ويصدر منه بعض الزلاّت، فكيف بغيره، فإن الأمر حينئذٍ سوف يسهل ويكون مقبولاً عند الناس. يقول ابن عرفة المعروف بنفطويه إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغبون أنوف بني هاشم.

بلغ الحقد والعداوة واختلاق الأحاديث مستوى لا يطاق، مما كشف عن حقيقة الصراع الفكري المرير الذي جهد مرتكبوّه ان يفعلوه كيداً للإسلام حتى وصل الأمر الى التّدخّل في شؤون الشريعة وإفسادها وتخريب عقائد المسلمين من مثل فكرة الجبر والإرجاء لتبرير الظلم والجور الذي حاق بالبلاد والعباد، ونسبته الى الله تعالى ذكره، وبتلك الخطط الشيطانية المدبّرة والمدروسة، خدّروا الناس وأخضعوهم وأذلّوهم، فقلّما تجد معترضاً أو منتقداً، او حتى يفكر بالقيام بمحاولة تغيير واقع بلغ هذا الحد من الجور والتسلط نتيجة الخنوع والإستكانة. وقد كان الإصرار على عقيدة الجبر، التي هي من بقايا عقائد المشركين وأهل الكتاب، الأمر الذي يعني أن كل تحرّك ضد حكام الجور لايجدي نفعاً مادام الإنسان مجبراً على كل حركة، ومسيراً في كل موقف.

⁴⁹ - حسين همداني "الأمر بالمعروف..."، ص ٢٦٢

ثم هناك عقيدة: أنه لا تضرّ مع الإيمان معصية، وإن الإيمان اعتقاد بالقلب، وإن أعلن الكفر قالوا: الإيمان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا نية، وعبد الأوثان، أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك!

وهذه العقيدة، وإن كانت هي عقيدة المرجئة، إلا أنها كانت عامة في الناس آنذ، حيث لم يكن المذهب العقائدي لأهل السنة قد غلب وشاع بعد. ومعنى هذا، هو أن الحكام مؤمنون مهما ارتكبوا من جرائم وعظائم، بل انهم ليقولون: إن يزيد بن عبد الملك أراد أن يسير بسيرة عمر بن عبدالعزيز فشهد له اربعون شيخاً: أن ليس على الخليفة حساب ولا عذاب. وحينما دعا الوليد الحجاج ليشرب النبيذ معه، قال له: يا أمير المؤمنين، الحلال ما حللت. بل إننا لنجد الحجاج نفسه يدّعي نزول الوحي عليه، وأنه لا يعمل إلاّ بوحي من الله تعالى! كما يدّعي نزول الوحي على الخليفة أيضاً.⁵⁰

لماذا لا يجوز الخروج على الحكام؟

على الرغم من نشاط فرقة المرجئة التي أنشأها النظام الأموي لتغطية نشاطه السياسي، وإسباغ صفات دينية على تصرفاته، مع ذلك لم يكن للغضب أن يهدأ إلا ليثور مجدداً. وقد أعادت ملحمة كربلاء إلى الأذهان ما أفتى به الفقهاء الموظفون، من أنه لا يجوز الخروج على الأئمة، وقتالهم حرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين!

⁵⁰ - ابن عساکر، "تهذيب تاريخ دمشق"، ج ٤ ص ٧٠-٧٢

وفي مقابل تفتح الأذهان على أضاليل المرجئة ومؤسسيها الأمويين، تفتحت هذه الأذهان على مبدأ الإمام الشهيد(ع) الذي قاله مخاطباً الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: "أيها الأمير، إنّا بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب للخمر وقاتل للنفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله".

هذه الكلمات تدل دلالة واضحة على جواز نقد الحاكم والثورة على حكمه والخروج عليه، وتبين في الوقت ذاته أساليب المراوغة والتحريف التي اعتمدها الحكام الأمويون، وتابعهم في ذلك العباسيون، الذين تفوّقوا في كل ذلك على من سبقهم. لقد أصبح الدين في خطر وأضحت الشريعة تتلاعب بها أهواء الحكام ومصالحهم، فالسلطان يفعل ما يشاء وما يروق له ومن ثم تنهال عليه عبارات الثناء والرضا موشحة بآيات من القرآن ومزينة بأحاديث النبي. وبدل أن يهتدي الحاكم بالدين، يُنزل الدين للحاكم، وبدل أن ينقاد السلطان بزمam الدين ينقاد الدين بزمam السلطان، وبدل أن يكون الدين موجّهاً لفعل السلطة يصبح مبرراً لها ولأفعالها في ذلك المجتمع الذي عانى الكثير الكثير من فساد السلطة في كافة المجالات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والمعاف الدينية. من هنا كان شعار ثورة الحسين(ع) الإصلاح، في مختلف جوانب الإصلاح التي ترتبط بالمجتمع الإسلامي الذي أراد حمايته وتحصينه والتفاني من أجل حفظه عبر الأجيال والأزمان.

وكان لا بد للمسلم من المقارنة بين هذا المبدأ الحسيني، وذلك المبدأ الأموي، وما كان بينهما من نتيجة، كي يخلص إلى أن هذا الحكم، حكم مارق كافر يلعب بالسنن ويسرق الخلافة ويغتصب البيعة اغتصاباً.

ومعنى كلام الإمام(ع) أنه إفتاء للأمة الإسلامية بجواز إسقاط هذا الخليفة المزيّف والثورة عليه، لأن معنى المبايعة هو بيع النفس للخليفة الذي يرمز إلى الشريعة وجوهر الدين، وحامي القرآن وولي عهد الرسول على المسلمين، وفي مبايعته إقرار ضمنى بالاستماتة في سبيل تنفيذ أوامره، وعليه فكيف يمكن للمسلم أن يفرط في بيع نفسه لخليفة فاحش.^{٥١}

أسباب خروجه :

وقد اختلفت الأقوال في ذلك :

١- أنه كان بسبب ما عامله به هشام بن عبد الملك من الجفاء المفرط. وقد ذكر الخوارزمي أيضاً ما أوصى به زيد عندما دخل على هشام، وذكره بتقوى الله حيث قال: إنه ليس أحد من عباد الله فوق أن يوصى بتقوى الله. وليس أحد من عباد الله فوق أن يوصى بتقوى الله، وأنا أوصيكم بتقوى الله فقال له هشام: أنت زيد المؤمل للخلافة والراجي لها، وما أنت والخلافة وأنت ابن أمة، فقال له زيد: "إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من الأنبياء وقد بعث الله تعالى نبياً هو ابن أمة، فلو كان ذلك تقصيراً عن حتم الغاية لم يبعث وهو إسماعيل بن إبراهيم، والنبوة أعظم منزلة عند الله من الخلافة فكانت أم إسماعيل مع أم إسحاق كأمي مع أمك، ثم لم يمنع ذلك أن جعله الله عز وجل أبا العرب. وأبا خير النبيين محمد(ص)، وما تقصير رجل جده رسول الله(ص) وأبوه علي بن أبي طالب؟ فقام هشام وقال: لا يبيتن هذا في عسكري! فخرج أبو الحسين زيد

^{٥١} - انطوان بارا: "الحسين في الفكر المسيحي"، ص ١٤١

بن علي وهو يقول: لم يكره قوم قط حرّ السيوف إلّا ذلّوا.^{٥٢} وهذا السبب يوضح لنا السياسة التي اتبعها الأمويون في تمييزهم ، كما تقدّم ذلك بالتفصيل.

٢- إن سبب خروجه كان هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث شاعت المحرمات وكثرت المنكرات وطغى الفسق والفجور. وهذا هو الصحيح فانه كثيراً ما كان يرى من تصرفات الحكام والولاة ما لا يمكن الصبر عليه. فقد روي عن أبي جعفر (ع) انه قال: لا يخرج أحد على هشام إلّا قتله، قال الراوي: فقلنا لزيد هذه المقالة، فقال: إني شهدت هشاماً ورسول الله (ص) يُسبّ عنه، فلم ينكر ذلك ولم يغيّره، فوالله لو لم يكن إلّا أنا وابني لخرجت عليه.^{٥٣} وروى الخوارزمي في كتاب المقتل عن جابر الجعفي انه قال: قال لي محمد بن علي الباقر (ع): إن أخي زيد بن علي خارج مقتول وهو على الحق فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه والويل لمن يقتله.^{٥٤}

٣- وذكر ابن الجوزي في تذكرته عن أسباب خروج زيد: أنه لما قدم على هشام، رفع إليه ديناً كثيراً، وحوائج. فلم يقض منها شيئاً، وكان دينه خمسمائة ألف درهم، فلما قُتل قال هشام: ليتنا قضيناها وكان أهون مما صار.^{٥٥}

وهذه القضية ليست صحيحة، فقد ذكر في ضحى الاسلام^{٥٦} أن هذه الخصومة المالية قد ادّعت زوراً من قبل خالد بن عبد الله القسري. مُضافاً إلى أن هذا الكلام يستهدف النيل من ثورة زيد، التي تعتبر امتداداً لثورة جده الحسين في كربلاء من حيث المبادئ والأهداف وإن كانت تختلف كل منهما عن الأخرى بالتفاصيل والظروف المرحلية. لذا يلاحظ فيه محاولة سافرة

52- الخوارزمي، "مقتل الحسين"، ج ٢ ص ١١٨

53- الكليني، "فروع الكافي"، الدار الإسلامية، بيروت، ج ٨ ص ٣٢٣

54- ذكره السيد الأمين في أعيانه ج ٣٣ ص ٢٥ دار التعارف بيروت.

55- ابن الجوزي، "تذكرة الخواص"، مؤسسة أهل البيت (ع)، بيروت، ص ٣٠٠

56- احمد أمين المصري، "ضحى الإسلام"، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٣ ص ٢٧١، وفي "الكامل في التاريخ" لابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٤ ص ٤٤٣ أن خالد القسري قال: كيف يودعني زيد وأنا أشتدّ أباه على المنبر؟

لطمس الحقائق في هذا الأمر، وإظهاره بمظهر البساطة، وإن القضية لا تعدو عن كونها أمراً دنيوياً من قضاء حاجة من دين وما شاكل ذلك، بعيداً عن الأهداف الحقيقية والأسباب التي دعت به إلى الخروج على الحكم الظالم الجائر. وبالتالي فإن مسألة دفع الدين لهشام ليست صحيحة، فقد ذكر الطقطقي أن دعوى خالد القسري من الدين كانت تهمة وليست بواقع.^{٥٧}

تبرئة هشام:

ذكر ابن قتيبة أن هشام بن عبد الملك بعث إلى ابن هبيرة عامله على الكوفة، حينما قام زيد بن علي بن الحسين في بعض نواحي الكوفة فأخذ زيداً وأمر بقتله دون رأي هشام، فلما بلغ ذلك هشاماً، عظم عليه قتله، وأعظم فعل ابن هبيرة، واجترأه على قتل قرشي دون مشورة حتى جعل يقول: مثل زيد بن علي في شرفه وفضله يقتله ابن هبيرة، وما كان عليه من قيامه، إن هذا لهو البلاء المبين، وما يزال ابن هبيرة مبغضاً لأهل هذا البيت من آل هاشم وآل عبد المطلب، والله لا زلت لهم محباً حتى اموت.^{٥٨}

والله ما هذا إلا اختلاق، لست أدري هل يستحق الوقوف عند هذه القضية، وهل يمكن تصديق ذلك في أمثال هشام وأترابه، مع أن كل المصادر تذكر أن والي هشام على الكوفة آنذاك هو يوسف بن عمر الثقفي وليس ابن هبيرة. على أي حال، صحيح أن القضية لا تستحق بذل عناء، ولكن أتساءل، أو ليس هذا هشام المحب لآل البيت قد كتب إلى خالد القسري يقسم عليه أن يقطع لسان ويد الكميّ شاعر أهل البيت في قصيدة رثى بها زيد بن علي وإبنه ومدح بني هاشم؟!

^{٥٧} - ابن الطقطقي، الفخري ص ١١٨

^{٥٨} - ابن قتيبة، "الإمامة والسياسة"، الدار الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ، ج ٢ ص ١٤٢-١٤٣

أَوَ ليس هشام هذا قد بعث برأس زيد إلى المدينة، مدينة الرسول(ص)، وأمر يوسف بصلبه عرباناً فصلبه يوسف كذلك؟! أَوَ ليس هو القائل لزيد: ماذا فعل أخوك البقرة؟ وهو يريد الاستهزاء والنيل من كرامة إمامنا الباقر(ع) فقال له زيد أنتعته بهذا وقد سماه رسول الله(ص) بالباقر؟

وبعد ذلك تسمعهم يقولون لك إن هشاماً كان محباً لأهل البيت(ع)! ولم يذكر الطبري في تاريخه كراهة هشام لقتل زيد. بل الذي ذكره خلاف ذلك تماماً حيث كتب إلى عامله يوسف يشتمه ويجهله ويقول إنك لغافل عن زيد فالجج في طلبه فأعطه الأمان فإن لم يقبل فقاتله.⁵⁹

الحدث القهري:

بعد أن تأهب زيد للخروج ومعه أصحابه الذين ألتمزوا ببيعتهم له. تسربت الأخبار إلى يوسف بن عمر بواسطة سليمان بن سراقه، ودارت المعركة في أرجاء الكوفة وحمي فيها الوطيس حيناً وهدأت أحياناً وعلى هذا استمر الوغى بين كراً وفر وقائل هو وأصحابه قتالاً شديداً واستبسلاوا في ذلك وأبلوا بلاءً حسناً. "وثبت زيد بن علي ومن معه حتى إذا جنح الليل رُمي بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فثبتت في الدماغ"⁶⁰ وعندما انتزعوا السهم ما لبث أن قضى ثم دفنوه. بعد ذلك استخرجه أصحاب يوسف بن عمر وقطعوا رأسه وصلبوه. ولما قطع يوسف بن عمر رأس زيد بن علي بعث به وبرؤوس أصحابه إلى هشام بن عبد الملك مع زهرة بن سليم. ودفع هشام لمن أتاه بالرأس عشرة دراهم ونصبه على باب دمشق⁶¹ وكان يوسف ينادي من جاء برأسه فله خمسمائة درهم. فجاء الأحوال مولى الأشعرين برأس معاوية بن إسحاق فقال

⁵⁹- الطبري، "تاريخ الأمم والملوك"، ج ٥ ص ٥٠٤.

⁶⁰- المصدر نفسه، ج ٥ ص ٥٠٥.

⁶¹- المقرئزي، "المواظ والاعتبار"، ج ٤ ص ٣١٣.

أنت قتلته فقال أصلح الله الأمير ليس أنا قتلته ولكني رأيته فعرفته، فقال اعطوه سبعمائة درهم. ثم بعث هشام بالرأس إلى مدينة الرسول(ص) في سنة اثنتين وعشرين ومائة فنصب عند قبر النبي(ص) فضجت المدينة بالبكاء وكان يوم كيوم الحسين(ع). ثم بعث هشام بن عبد الملك بالرأس الشريف إلى مصر، فطيف به، ثم نصب على المنبر بالجامع.^{٦٢}

هذا وقد بقي زيد مصلوباً أربعاً، وهي الفترة المتبقية من حكم هشام. وبعد استيلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك على الحكم، أمر بإنزال الجسد الشريف من مكانه حيث بعث إلى عماله... أن انزلوا عجل العراق واحرقوه ثم انسفوه في اليم نسفاً. فأحرق ونزي في الفرات سنة ١٢٦هـ.

قال المقرئزي:^{٦٣} وهذا المشهد باق بين كيما مدينة مصر، يتبرك الناس بزيارته، ويقصدونه لا سيما يوم عاشوراء، والعامّة تسميه: زين العابدين؛ وهو وهم، وإنما زين العابدين أبوه وليس قبره بمصر بل بالبقيع.

والعبرة تكمن هنا، فإن ربك لبالمرصاد للذين طغوا في البلاد، فانه من سنن الله عز وجل أن من سل سيف البغي قُتِلَ به، فهاك العبرة في ما حصل لهشام بدعاء الامام(ع)، وإليك هذا الخبر: قال عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين بن علي: سمعت أبي يقول: اللهم إن هشاماً رضي بصلب زيد فاسلبه ملكه، وإن يوسف أحرق زيداً، فأرسل عليه من لا يرحمه، اللهم وأحرق هشاماً في حياته إن شئت، وإلا فأحرقه بعد موته. قال فرأيت والله هشاماً محرقاً لما اخذ

⁶² - السيد المقرم، "زيد الشهيد" ص ١٥٤ - ١٥٦، وفي "مآثر الاتافة في معالم الخلافة" للفاشندي ص ١٥٢

⁶³ - المقرئزي، "الخطط المقرئزية"، ج ٤ ص ٣١١٤

بنو العباس دمشق، ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعا على كل أبواب دمشق، على كل باب من أبوابها عضو منه، فقلت يا أبتاه وافقت دعوتك ليلة القدر، وبعد قتل زيد انفض ملك بني أمية.^{٦٤}

ونذكروا أيضاً أنه لما أفضت الخلافة إلى بني العباس، نبشوا مدفن هشام بن عبد الملك، واستخرجوه من قبره، فكان كما دفن، لأنهم كانوا قد طلوه بما لا يبلى، فأحرقوه بالنار.^{٦٥}

⁶⁴ - مؤمن الشبلنجي، "نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار" (ص)، من علماء القرن ٣، منشورات الشريف الرضي، قم، ص ٤٠٤

⁶⁵ - الخوارزمي، "مقتل الحسين"، مكتبة المفيد، قم، ج ٢ ص ١٢٣

الفصل الثالث

الروايات الواردة فيه

- في بيان حاله
- الروايات الواردة في مدحه
- روايات الذم

الروايات الواردة في مدحه:

وردت جملة من الأخبار في حق زيد، بلغت حدَّ الإستفاضة. وقد اقتصرنا على عدة منها طلباً للإختصار.

١- عن حمزة بن حمران قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، فقال لي يا حمزة، من أين أقبلت، قلت له من الكوفة، فبكى (ع) حتى بَلَّتْ دموعه لحبته، فقلت له: يا ابن رسول الله، ما لك أكثر البكاء فقال: ذكرت عمي زيدا وما صُنِعَ به فبكيتُ، فقد أخرجه يوسف بن عمر فصلبه في الكناسة أربع سنين، ثم أمر به فأحرق بالنار، وذرِّي في الرياح، فلعن الله قاتله، وخاذله، والى الله جلَّ اسمه أشكو ما نزل بنا أهل بيت نبيِّه بعد موته، وبه نستعين على عدونا وهو خير مستعان.^{٦٦} هكذا كان صنيع هشام في جثته كما صنع يزيد وابن زياد في جده (ع)، فقد مثَّل بجثته بعد أن دفن، ولقد كان ابنه يحيى حريصاً على أن يدفن أباه بحيث لا يعلم بموضعه أحد ، فدفنه في ساقية وردمها ووضع عليها النبات لكيلا يعلم أحد بمكان جثمانه الطاهر، ولكن أحد الذين عرفوا ذلك أنبأ والي الأمويين، فارتكبوا إثماً كبيراً فوق آثامهم، فنبشوا القبر، وأخرجوا الجثمان، ومثّلوا به، ونصبوه بكناسة الكوفة بأمر هشام بن عبد

^{٦٦} - الأربلي، "كشف الغمة"، ج ٢ ص ١٩، والمجلسين، "أمالي الصدوق"، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٦٢ ج ٣ ص ٣٢١

الملك بن مروان. إن الحرب من جانب الأمويين كانت حرباً فاجرة، ليس فيها حرمة لأي شيء من القيم الإسلامية، فإنه ليذكر أن رجلاً من جند الأمويين يشتم فاطمة الزهراء (ع) بنت رسول الله (ص) شتماً قبيحاً لعنه الله ولعن من أيده وأرسلوه، فبكى الإمام زيد حتى ابتلّت لحيتّه، وجعل يقول " أما أحد يغضب لفاطمة بنت رسول الله (ص)، أما أحد يغضب لرسول الله (ص)، أما أحد يغضب لله تعالى؟^{٦٧} هذا كله إلى جانب كثير من النصوص الواردة في هذا الصدد، ويكفي ما قدّمناه من الإشارة إلى جانب هذا الاتجاه البغيض الذي انتهجوه من سياسة القمع التي أدت إلى إحداث قضايا خطيرة عانى منها العالم الإسلامي عبر التاريخ.

٢- عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: يا فضيل شهدت مع عمي زيد قتال أهل الشام؟ قلت: نعم، قال: فكم قتلتم منهم؟ قلت: ستة، قال: فلعلك شاك في دمائهم؟ قال: لو كنت شاكاً في دمائهم ما قتلتهم، قال: فسمعته وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله عمي وأصحابه شهداء مثل ما مضى علي بن أبي طالب وأصحابه.^{٦٨}

٣- وأخرج الحافظ عن حذيفة اليمان، أن النبي (ص) نظر إلى زيد بن حارثة فقال: المظلوم من أهل بيتي سمي هذا، والمقتول في سبيل الله، والمصلوب هذا، وأشار إلى زيد بن حارثة ثم قال: أدن مني يا زيد، إلى أن قال له: إنك سمي الحبيب من ولدي زيد.^{٦٩}

٤- وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه وقف بالكوفة في الموضع الذي صلب فيه زيد بن علي (ع)، وبكى حتى اخضلت لحيته، وبكى الناس لبكائه، فقيل له: يا

⁶⁷ - الشيخ محمد أبو زهرة، "الإمام زيد"، ص ٥٩.

⁶⁸ - الشيخ الصدوق في أماليه مؤسسة الاعلمي، بيروت، ص ٢٨٦.

⁶⁹ - ابن عساکر، "تهذيب تاريخ دمشق"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٦ ص ٢٠.

أمير المؤمنين مما بكاؤك، فقد أبكيت أصحابك؟ فقال: إن رجلاً من ولدي يصلب في هذا الموضع، لا أرى فيه خشية من رضى أن ينظر إلى عورته.^{٧٠}

٥- قال الأشناني عن عبد الله بن جرير قال: رأيت جعفر بن محمد يمسك لزيد بن علي بالركاب ويسوي ثيابه على السراج.^{٧١}

٦- وعن أبي حمزة الثمالي قال: كنت أزور علي بن الحسين (ع) في كل سنة مرة في وقت الحج فأتيته سنة من ذلك وإذا على فخذيه صبي، فقعدت إليه، وجاء الصبي فوقع على عتبة الباب فانبثج، فوثب إليه علي بن الحسين (ع) مهرولاً وجعل ينشف دمه بثوبه ويقول له: يا بني، أعيدك بالله أن تكون المصلوب في الكناسة، قلت: بأبي أنت وأمي أي كناسة؟ قال: كناسة الكوفة، قلت: جعلت فداك ويكون ذلك؟ قال: إي، والذي بعث محمد بالحق إن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة مقتولاً، مدفوناً، منبوشاً، مصلوباً، مصلوباً في الكناسة، ثم يُنزل فيُحرق، ويدقّ، ويذرى في البر، قلت: جعلت فداك وما اسم هذا الغلام؟ قال: هذا ابني زيد. ثم قال أبو حمزة الثمالي: فوالله ما لبثت إلا برهة حتى رأيت زيداً بالكوفة في دار معاوية بن إسحاق، فأتيته، فسلمت عليه، ثم قلت له: جعلت فداك، ما أقدمك هذا البلد؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... فكان من أمره ما كان، فوالله لقد رأيته مقتولاً، مدفوناً، منبوشاً، مصلوباً، مسحوباً، مصلوباً، قد أُحرق وثُقّ في الهاوين، وذري في العريض من أسفل العاقول، "اسم الكوفة"^{٧٢}. وفي فرحة الغري مثله باختلاف يسير.^{٧٣}

⁷⁰ - السيد ابن طاووس، "الملاحم والفتن"، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة ١٣٨٢ هـ، ص ٩٧ و "اختيار معرفة الرجال" للشيخ الطوسي، مؤسسة آل البيت (ع)، قم، ج ٢ ص ٥٧٠

⁷¹ - أبو فرج الإصفهاني، "مقاتل الطالبين" دار الكتاب، قم، ص ٨٧، و "وسائل الشيعة" للحر العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢ ص ٢٠٢

⁷² - المجلسي، "بحار الأنوار"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤٦ ص ١٨٣

⁷³ - ابن طاووس، "فرحة الغري" ص ١١٦

روايات الذم:

ذكروا روايات عديدة، منها ما هو صريح في الذم، ومنها ما يُشعر بذلك، وكلها ضعيفة السند ما خلا رواية واحدة تامة السند، نأتي على ذكرها فيما بعد، وهذه الروايات كالتالي:

١- ما رواه الكشي في ترجمة سعيد بن منصور عن حمويه قال: حدثنا أيوب عن حنان بن سدير قال: كنت جالسا عند الحسن بن الحسين، فجاء سعيد بن منصور، وكان من رؤساء الزيدية،^{٧٤} فقال: ما ترى في النبيذ، فإن زيدا كان يشربه عندنا؟! قال: ما أصدق على زيد أنه يشرب مسكراً، قال بلى قد شربه، قال: فإن كان فعل، فإن زيدا ليس نبي، ولا وصي نبي إنما هو رجل من آل محمد(ص) يخطيء ويصيب.^{٧٥} وإن كان يمكن القول أنه ليس في هذه الرواية قبح حيث أنها في وارد الافتراض رداً على التزام الزيدية بحلية النبيذ بأن زيدا ليس نبياً ولا وصي نبي وهو افتراض في مقام الرد. ولكن هذه الرواية لا يعتمد عليها، وذلك لضعف سندها بسعيد بن منصور، فإنه فاسد المذهب، ولم يرد فيه توثيق ولا مدح.^{٧٦} مضافاً إلى ما تضمنته من الافتراض المذكور.

٢- ما رواه النعماني في كتاب "الغيبة": عن أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا القاسم بن محمد بن الحسين بن حازم عن أبي الصباح قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: ما وراؤك؟ فقلت: سرور من عمك زيد، خرج

⁷⁴ - وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة(ع) ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم، زاهد، شجاع، سخي خرج بالامامة، أن يكون إمام واجب الطاعة، للشهرستاني في "الملل والنحل" ج ١ ص ١٢٧، والزيديون من المحدثين: جماعة منسوبة إلى زيد بن علي، مذهباً أو نسباً، "القاموس المحيط" لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت ٨١٧ هـ) ج ١ ص ٥٧٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ سنة ١٤١٢ هـ. ويأتي مزيد من التفصيل في ذلك.

⁷⁵ - الشيخ الطوسي، "اختيار معرفة الرجال" مؤسسة أهل البيت(ع)، قم، ج ٣ ص ٤٩٩.

⁷⁶ - السيد الخوئي، "معجم رجال الحديث"، مركز نشر آثار الشيعة، قم، ج ٧ ص ٣٥٠. وهذه الرواية مروية أيضاً بطريق آخر فيه هارون بن سعيد وهو ضعيف.

يزعم أنه ابن سبية وأنه قائم هذه الأمة، وأنه ابن خير الإماماء، فقال (ع): كذب، ليس كما قال، إن خرج قُتل قبل قائم هذه الأمة. والرواية ضعيفة بجهالة القاسم بن محمد، وفي علي بن المغيرة كلام.^{٧٧}

٣- ما في "الكافي" بسنده عن موسى بن بكر عن حدثه: أن زيد بن علي بن الحسين دخل على أبي جعفر محمد بن علي (ع)، ومعه كتب من أهل الكوفة يدعونه فيها إلى أنفسهم، ويخبرونه باجتماعهم، ويأمرونه بالخروج، فقال له أبو جعفر عليه السلام: هذه الكتب ابتداء منهم أو جواب ما كتبت به إليهم ودعوتهم إليه؟ فقال: بل ابتداء من القوم لمعرفتهم بحقنا وبقرابتنا من رسول الله (ص)، ولما يجدون في كتاب الله عزّ وجل من وجوب مودتنا، وفرض طاعتنا، ولما نحن فيه من الضيق والضنك والبلاء. فقال أبو جعفر (ع) "إن الطاعة مفروضة من الله عزّ وجلّ وسنة أمضاها في الأولين، وكذلك يجريها في الآخرين، والطاعة لواحد منا، والمودة للجميع، وأمر الله يجري لأوليائه بحكم موصول وقضاء مفصول، وحتم مقضي، وقدر مقدور، وأجل مسمى لوقت معلوم، فلا يستخفّنك الذين لا يوقنون، أنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، فلا تعجل، فإن الله لا يعجل لعجلة العباد، ولا تسبقن الله فتعجزك البلية فتصرعك، قال فغضب زيد عند ذلك ثم قال: ليس الإمام منا من جلس في بيته وأرخى ستاره وثبط عن الجهاد، ولكن الإمام منا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، ودفع عن رعيته وذنباً عن حريمه، قال أبو جعفر عليه السلام: هل تعرف يا أخي من نفسك شيئاً مما نسبتهما إليه فتجيء عليه بشاهد من كتاب الله أو حجة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو تضرب به مثلاً، فإن الله عزّ وجلّ أحلّ حلالاً وحرّم حراماً، وفرض فرائض وضرب أمثالاً، وسنّ سنناً ولم يجعل الإمام القائم بأمره شبهة، فجعل لكل شيء أجلاً، ولكل أجل كتاباً، فإن كنت على بينة

^{٧٧} - المصدر السابق، ج ٧ ص ٣٥١

من ربك ويقين من أمرك وتبيان من شأنك فشأنك، وإلا فلا ترومنّ أمراً أنت فيه في شك وشبهة، ولا تتعاط زوال ملك لم تنقض أكله، ولم ينقطع مداه، ولم يبلغ الكتاب أجله، فلو قد بلغ مداه وانقطع أكله وبلغ الكتاب أجله، لانقطع الفصل وتتابع النظام ولأعقب الله في التابع والمتبوع الذل والصغار، أعوذ بالله من إمام ضلّ عن وقته، فكان التابع فيه أعلم من المتبوع، أتريد يا أخي أن تحيي ملّة قوم قد كفروا بآيات الله وعصوا رسوله واتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله وادّعوا الخلافة بلا برهان من الله ولا عهد من رسوله؟! أعيذك بالله يا أخي أن تكون غداً المصلوب بالكناسة. ثم أرفضت عيناه رسالت دموعه، ثم قال: الله بيننا وبين من هتك سترنا وجحد حقنا وأفشى سرنا ونسبنا إلى غير جدنا وقال فينا ما لم نقله في أنفسنا^{٧٨}.

وهذا الخبر مجهول ومرسل أيضاً، ومضافاً إلى ذلك، أن خبر مبايعة أهل الكوفة لزيد لم يكن في زمن الإمام الباقر (ع) المتوفى سنة ١١٤، فإن أي مصدر تاريخي لم يذكر أن الفاصل الزمني بين المبايعة، واستشهاد زيد ثمانية اعوام. وإن تضمن هذا الخبر إخبار الإمام (ع) بمصير زيد وذلك لعلمه الغيبي بما سيؤول إليه أمر زيد. وذلك عن طريق إبلاغ النبي (ص) للإمام. فهذا الخبر لو كان صحيحاً لدل على ذم زيد، لكنه مجهول فيجب طرحه. ولكن لو قلنا بعدم لزوم الطرح والتعامل مع المضمون دون التوقف عند حدود السند، لعدم التثبت من صدور الخبر عن المعصوم لأمكن القول بإمكانية التقية لتوفر شروطها. وهذا الخبر مروى بطريق آخر ضعيف أيضاً لجهالة موسى بن بكر ولوجود محمد بن جمهور فيه وهو ضعيف كما في رجال النجاشي وفهرست الشيخ الطوسي^{٧٩}.

⁷⁸ - الكليني، "الكافي"، دار الأضواء، بيروت، ط ١٤١٣ هـ، ج ١ ص ٤١٧

⁷⁹ - عبدالرزاق المقرم، "زيد الشهيد"، منشورات الشريف الرضي، قم، ص ٧٠

٤- على أي حال فإن هذا الخبر وغيره لو فرض التسليم بصحته لا يقاوم الأخبار الناطقة بمعرفة زيد لإمامة أخيه الباقر (ع) وبقية الأئمة (ع) كما سيأتي إن شاء الله تعالى. هذا الخبر ندرجه هنا في هذه القائمة وذلك لما قد يتوهم منه الذم لمكان النهي فيه عن الخروج، وإلا فحقه أن يكون في مصاف الروايات المادحة، وإليك هذا الخبر: روى الراوندي في الخرائج عن الحسن بن راشد، قال: ذكرتُ زيد بن علي فتتقصته عند أبي عبد الله (ع) فقال: لا تفعل، رحم الله عمي زيدا أتى أبي فقال: إني أريد الخروج على هذا الطاغية، فقال: لا تفعل، فإني أخاف أن تكون المقتول المصلوب على ظهر الكوفة، أما علمت يا زيد أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة (ع) على أحد من السلاطين قبل خروج السفيناني إلا قُتل؟ ثم قال: ألا يا حسن، إن فاطمة حصّنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، وفيهم نزلت: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) ^{٨٠}

فإن الظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام والمقتصد العارف بحق الإمام، و السابق بالخيرات هو الإمام، ثم قال: يا حسن، إنا أهل البيت لا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقر لكل ذي فضل بفضله. ^{٨١} والإمام سلام الله عليه يريد بيان المصير، ويريد أن ينصح زيدا بداعي المحبة والشفقة عليه، ويريد أن يخبره عن مصيره وعما سيلقيه بعد خروجه، وإن النصر لن يكون حليفه، وهذا لا يدلل بوضوح على أن الامام (ع) كان كارهاً لخروج زيد بحيث يكون هذا النهي مراداً بإرادة جدية، فإن ذلك يتنافى مع ما ورد من مدحهم (ع) له وإظهار الرضى عنه. وإنما هذا النهي الوارد في هذا الخبر الذي قد يتوهم منه القدر، هو نهى إرشادي وليس نهياً تكليفاً، وذلك بقرنية التعليل بالخوف، حيث قال (ع): إني أخاف أن تكون

⁸⁰ - سورة "فاطر"، الآية ٣٢

⁸¹ - الحسن بن شعبة الحراني، "تحف العقول"، ص ١٢٠

المقتول المصلوب. فإن النهي الإرشادي غالباً ما يكون معلّلاً، وهو في هذا المورد من النهي الإرشادي باتفاق العلماء على ذلك.

٥- عن أبي مالك الاحمسي قال: حدثني مؤمن الطاق - محمد بن علي بن النعمان، أبو جعفر الأحول - قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) فدخل زيد بن علي فقال لي: يا محمد بن علي، أنت الذي تزعم أن في آل البيت إماماً مفترض الطاعة معروفاً بعينه، قال: قلت: نعم فكان أبوك أحدهم، قال: ويحك، فما كان يمنع من أن يقول لي، فوالله لقد كان يؤتى بالطعام الحار فيقعدي على فخذيه ويتناول البضعة فيبردها ثم يلقمنيها، أفتراه كان يشفق عليّ من حرّ الطعام ولا يشفق عليّ من حرّ النار؟ قال: قلت كره أن يقول فتكفر فيجب عليك من الله الوعيد ولا يكون له فيك شفاعة فتركك مرجئاً لله فيك المشيئة وله فيك الشفاعة. فقال أبو عبد الله (ع): أخذته من بين يديه ومن خلفه، فما تركت له مخرجاً.^{٨٢} وفي المصدر نفسه مروي هذا الخبر بطريق آخر عن حمويه بن نصير مع اختلاف يسير. وهذا الخبر ضعيف السند، لعدم ورود توثيق في حق أبي مالك الاحمسي.

٦- عن السيد أبي طالب، حدثنا أحمد بن إبراهيم الحسني، عن علي ابن الحسين الهمداني عن الحسن بن علي الاسدي عن أحمد بن رشد عن أبي معمر عن سعيد بن خيثم أن زيد بن علي (ع) كتب كتابه، فلما خففت راياته رفع يده إلى السماء فقال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني والله ما يسرني أني لقيت محمداً (ص) ولم أمر أمته بمعروف ولم أنهم عن منكر.

وفي رواية أخرى، والظاهر أنها بالإسناد نفسه، "والله أني لأستحي من رسول الله (ص) إذا لقيته ولم أمر أمته بالمعروف ولم أنهم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمّت كتاب الله وسنة رسول الله (ص) إن أجبت لي نار وقذفت فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله عز وجل، والله لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق

⁸² - الكشي، "رجال الكشي"، مؤسسة الاعلمي، كربلاء العراق، ص ١٦٥

الأعلى مع محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم. ويحكم، أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمد(ص) ونحن بنوه؟! يا معشر الفقهاء وأهل الحجى، أنا حجة الله عليكم، هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله، ونعمل بكتابه، ونقسم فيكم بالسوية، فسلوني عن معالم دينكم فإن لم أنبئكم بكل ما سألتكم عنه فولوا من شئتم عمن علمتم انه أعلم مني، لقد علمت علم أبي علي بن الحسين، وعلم جدي الحسين بن علي، وعلم علي بن أبي طالب وصي رسول الله، وعيبة علمه، وإني لأعلم أهل بيتي، والله ما كذبت منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت محرماً منذ عرفت أن الله تعالى يؤاخذني به، هلموا فاسألوني^{٨٣}

وهذه الرواية ضعيفة بسعيد بن خيثم، ورواياته غير مقبولة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يبدو أنها تدل على أن زيدا كان يدعو لنفسه، ويتبين ذلك من خلال استعراضه لهذا الكلام من أنه أعلم أهل بيته، فإذا كان الأمر كذلك وإمام عصره هو الإمام الصادق(ع) فلا يكون الإمام(ع) حجة عليه وعليهم، مع انه سوف يأتي مايدل على خلاف ذلك.

٧- وعن مقتضب الأثر في النص على الأئمة الأثني عشر، عن عبدالصمد بن علي بن احمد بن موسى، عن داوود الرقي قال: دخلت على جعفر بن محمد(ع) فقال: ماالذي أبطأ بك عنا يا داوود؟ فقلت: حاجة عرضت لي بالكوفة هي التي أبطأت بي عنك جعلت فداك. فقال لي: ماذا رأيت بها؟ قلت: رأيت عمك زيدا على فرس ذنوب قد تقلد مصحفاً وقد حف به فقهاء الكوفة وهو يقول: يا أهل الكوفة، إني العلم بينكم وبين الله تعالى، وقد عرفت ما في كتاب الله من ناسخه ومنسوخه. فقال ابو عبدالله: يا سماعة بن مهران: آتني بتلك الصحيفة، فأثاه بصحيفة بيضاء فدفعها إليّ وقال لي: اقرأ هذه بما أخرج إلينا أهل البيت يرثه

⁸³ - الخوارزمي، "مقتل الحسين"، ج ٢ ص ١٠٨

كابر عن كابر من لدن رسول الله(ص)، فقرأتها فإذا هي سطران، السطر الاول:
لا اله إلا الله محمد رسول الله، والسطر الثاني: إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر
شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات حجة الله، ثم قال لي: يا داود، أتدري أين
كان ومتى كان مكتوباً؟ قلت يا ابن رسول الله ، الله ورسوله وانتم، قال قبل أن
يخلق آدم بألفي عام فأين يأتاه زيد ويذهب به، إن أشد الناس لنا عداوة وحسدا
الأقرب فالأقرب.^{٨٤}

هذه الرواية يوجد في طريقها داود الرقي وهو مختلف فيه، فالشيخ الطوسي وثقه
وضعه النجاشي في رجاله وكذلك العلامة التستري قال بأنه ضعيف جداً.
وفي هذه الحالة تحصل معارضة بين الشهادة بالتوثيق من قبل الشيخ الطوسي
وبين الشهادة بالتضعيف من قبل النجاشي فتتساقطان وحينئذ نعرض عن هذه
الرواية، مضافاً لمعارضتها بروايات على خلفها.

٨- ما نقل عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لزيد لما عزم على البيعة إن مثل
القائم من أهل هذا البيت قبل قيام مهديهم مثل فرخ نهض من عشه من غير أن
يستوي جناحاه، فإن فعل ذلك سقط فأخذ الصبيان يتلاعبون به، فاتق الله في نفسك
أن تكون المصلوب غداً بالكناسة.^{٨٥}

والرواية مرسلة وعلى فرض اعتبارها فيمكن أن توجه بأن الإمام عليه السلام
بصدد بيان خفايا الحوادث وما قدره الله للعباد فيكون كلامه(ع) "فاتق الله أن
تكون المصلوب" جازياً مجرى الشفقة على تلك النفس الطاهرة من أن تتألم يد
السوء والعدوان.

وصحيفة^{٨٦} العيص بن القاسم وإن دلت على عدم جواز الخروج قبل قيام
القائم(ع) حسب الظاهر منها، إلا أنها قد استثنت زيدا وعملت ذلك الاستثناء بكونه

^{٨٤} - المكرم، "زيد الشهيد"، نقلاً عن "مقتضب الآثار" ص ٧١

^{٨٥} - "غيبه النعماني" ط مكتبة صابري، قم، ص ١٠٥

^{٨٦} - "الوسائل" ج ١١ باب ١٣

عالمًا صدوقاً ولم يدعُ لنفسه. وهذا يستفاد منه تعميم الجواز بالخروج بقريضة التعليل والعلة تعم وتخصص، فتكون الصحيحة حينئذٍ ناظرة إلى ضربين من الخروج احدهما: ما إذا كانت الدعوة للنفس، وثانيهما: الدعوة للغير كما في المقام، وعليه فقوله (ع): "الخارج منا اليوم إلى أي شيء يدعوكم إلى الرضا من آل محمد، فنحن نشهدكم أننا لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم..." لا بد من أن يكون قوله (ع) ناظرًا إلى غير ثورة زيد حيث انه كثير من الثورات التي لم تحظ بتأييد من الأئمة (ع) خصوصاً في عصر الإمام الصادق كثرة محمد بن عبد الله المحض "النفس الزكية" الذي كان يدعي المهدوية⁸⁷، وهذا هو نفسه الذي تجاسر على الإمام الصادق على ما يروى من "أن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، قال لأبي عبد الله (ع): "والله إني لأعلم منك وأسخى وأشجع منك".⁸⁸

٤- ما رواه الشيخ الكليني: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن أبان قال: أخبرني الأحول أن زيد بن علي بن الحسين (ع) بعث إليه وهو مستخف قال: فأتيتّه فقال لي: يا أبا جعفر ما تقول إن طارق منا أخرج معه قال فقال لي: فأنا أريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فأخرج معي قال: لا أفعل جعلت فداك، قال: فقال لي أترغب بنفسك عني؟ قال: قلت له: إنما هي نفس واحدة فإن كان لله في الأرض حجة فالمتخلف عنك ناج والخارج معك هالك، وإن لا تكن لله في الأرض حجة فالمتخلف عنك والخارج معك سواء قال: فقال لي يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي على الخوان فيلقمنّ البضعة السمينة ويبرد لي اللقمة الحارة حتى يبرد شفقة عليّ ولم يشفق عليّ من حرّ النار إذن أخبرك جالدين ولم يخبرني به؟ فقلت له: جعلت فداك من شفقتك عليك من حرّ النار لم يخبرك خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار، وأخبرني أنا فإن قبلت نجوت

⁸⁷ - ادّعى ذلك في سنة ١٤٥٠ كما في "أزمنة التاريخ الإسلامي" لعبد السلام الترماني، الكويت، ١٩٨١

⁸⁸ - المجلسي، "بحار الأنوار" ج ٤٧ ص ٢٧٥ ح ١٥ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار، ثم قلت له: جعلت فداك أنتم أفضل أم الأنبياء؟ قال: بل الأنبياء، قلت: يقول يعقوب ليوسف: يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً لم لم يخبرهم حتى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمهم ذلك فكذا أبوك لأنه خاف عليك، قال فقال: أما والله لئن قلت ذلك لقد حدثني صاحبك بالمدينة إني أقتل وأصلب بالكناسة وأن عنده لصحيفة فيها قتلي وصلبي فحجبت فحدثت أبا عبد الله (ع) بمقالة زيد وما قلت له فقال لي: أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ولم تترك له مسلكاً يسلكه.^{٨٩}

إلا أن هذه الرواية لا تعارض رواية العيص بن القاسم إذ أنها ليست صريحة في أن زيدا كان يدعو لنفسه لا إلى الرضا من آل محمد غاية ما هناك انه كان في ذلك الوقت غير مطلع على امامة الامام الحق ولا هي صريحة في عدم الرضا من الإمام (ع) بخروجه.

وقال السيد الخوئي "قده": إن هذه الرواية وإن كانت بحسب السند قوية إلا أن دلالتها على قدح زيد تتوقف على دلالتها على عدم اعتراف زيد بوجود حجة غيره، وانه لو كان لأخبره أبوه بذلك وقد ناظره الأحول، مؤمن الطاق، في ذلك وذكر إن عدم إخبار أبيه بذلك كان شفقة منه عليه وهذه فاسدة جزماً، بيان ذلك:

إن الأحول كان من الفضلاء المبرزين وكان عارفاً بمقام الإمامة ومزاياها فكيف يمكن أن ينسب إلى السجاد (ع) أنه لم يخبر زيدا بالإمام بعده شفقة منه عليه، وهل يجوز إخفاء الإمامة من جهة الشفقة النسبية على أن زيدا - والعياذ

^{٨٩} - الكليني، "الكافي"، دار الاضواء، بيروت ١٤١٣ ط١، ج ١ ص ٢٢٩

بالله - لو كان بحيث لو أخبره السجاد بالإمام بعده لم يقبله فهو كان من المعاندين فكيف يمكن أن يكون - مع ذلك - مورداً لشفقة الإمام(ع)؟

فالصحيح أن الرواية غير ناظرة إلى ذلك بل المراد بها أن زيداً حيث طلب من الأحوال الخروج معه وهو كان من المعارضين، وكان خروجه معه تقوية لأمر زيد، اعتذر الأحوال عن ذلك بأن الخروج لا يكون إلا مع الإمام. ولم يتمكن زيد في مناظرة الأحوال له أن يقول له بأنه مأنون من قبل الإمام، وأن خروجه بإذنه ولأنه كان من الأسرار التي لا يجوز له كشفها، أجابه بنحو آخر وهو أنه عارف بوظيفته وأحكام دينه، واستدل عليه بأنه كيف يمكن أن يخبرك أبي بمعالم الدين ولا يخبرني بها مع كثرة شفقتي عليّ، وأشار بذلك إلى أنه لا يرتكب شيئاً لا يجوز له، إلا أنه لم يصرح بالإذن خوفاً من الانتشار وتوجه إلى الإمام(ع) ولكن الأحوال لم يفهم مراد زيد فقال: عدم إخباره كان شفقة عليك وأراد بذلك: أنه لا يجوز لك الخروج بدون إذن الإمام(ع) وقد أخبرني بذلك السجاد ولم يخبرك بذلك شفقة منه عليك. فتحير زيد في الجواب فقال: والله لئن قلت ذلك لقد حدثني صاحبك في المدينة إنني أقتل وأصلب بالكناسة وأراد بذلك بيان أن خروجه ليس لطلب الرئاسة والزعامة بل هو يعلم بأنه يقتل ويصلب فخروجه لأمر لا يريد بيانه^{٩٠}.

ويؤيد ذلك ما يأتي من اعتراف زيد بإمامة الأئمة(ع)، ويعضد ذلك أن مسألة الذم بوجه عام لها نظائر كثيرة، فإن الأئمة(ع) كانوا يذمون بعض أصحابهم حفاظاً عليهم كما فعل ذلك الإمام الصادق(ع) في قضية زرارة، ذلك

^{٩٠} - السيد الخوئي، "معجم رجال الحديث" ج ٧ ص ٣٥٤، ج ١٧ ص ٣٥.

الرجل العظيم الذي هو أحب الناس إلى الإمام والذي هو أحد النجباء الأربعة
الأمناء على حلال الله وحرامه.

فلا بدّ من حمل ذمة على التقية فإنه إنما عاب الإمام زرارة لا لبيان أمر
واقع بل شفقة منه عليه واهتماماً بشأنه وحفظاً له من الأخطار، ويمكن قول ذلك
بالنسبة لزيد مع اختلاف الظرف وصنف المسؤولية، إلا أنّ الجهة واحدة وهي
خوف الضرر الشديد، الذي قد يسبب إهراق دماء وزهق نفوس دون أن يترتب
عليه فائدة.

الفصل الرابع

موقف زيد من أبي بكر وعمر

- سبب تسمية الرافضة
- علاقة الزيدية بزيد
- تعريف بالزيدية
- معتقداتهم
- نفي تلمذته على واصل بن عطاء
- المعتزلة والزيدية
- بين الإمامية والزيدية

موقف زيد من أبي بكر وعمر:

بقي شيء لابدّ من التعرّض له وهو على ما يروى في الكتب التاريخية من أن زيدا كان يوالي أبا بكر وعمر: قال عيسى بن يونس: جاءت الرافضة فوجدوا زيدا فقالوا: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى ننصرك، قال بل أتولاهما، قالوا بل نرفضك، فمن ثم قيل لهم: الرافضة^{٩١}

وفي رواية أخرى عندما سأله أصحابه عن أبي بكر وعمر فقال: رحسهما الله، وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما كلمة خيراً^{٩٢}. وفي مكان آخر تجاوز الأمر حداً أكثر من ذلك على ما يروونه من أنه قال: بل أتولاهما وأتبرأ ممن يتبرأ منهما^{٩٣}. كيف يكون هذا الكلام صحيحاً؟

^{٩١}- الذهبي، "أعلام النبلاء"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ٥ ص ٣٩٠

^{٩٢}- التستري "قده"، "قاموس الرجال"، مركز نشر الكتاب، طهران ١٣٤٠، ج ٤ ص ٢٧٦

^{٩٣}- د. الحكيم، "الوصية والإمامة"، دار الزهراء، ص ١٠٠

القائل للبترية عندما قالوا: تتولى أبا بكر وعمر من أعدائهما، فالتفت زيد إليهم وقال لهم: أتبرأون من فاطمة؟ بترتم أمرنا بترككم الله. فيومئذ سموا بالبترية.^{٩٤} وهل لازم التبري من أعداء أبي بكر وعمر إلا التبري من فاطمة (ع) سيدة نساء العالمين، فإن عدم رضاها عنهما بات من الأمور الواضحة التي لا ينكرها أحد، فإنها سلام الله عليها انتقلت إلى جوار ربها وهي غضبي عليهما. فهما اللذان بدرت منهما العداوة اتجاهها في غمطها حقها وابتزازها نحلتها وانتهاك حرمتها: والشواهد على ذلك كثيرة جداً، فقد ذكر البخاري في صحيحه أن فاطمة (ع) حينما منعها أبو بكر ميراثها فقال البخاري: عندها غضبت فاطمة بنت رسول الله (ص) فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت.^{٩٥} وذكر ابن أبي الحديد ذلك وقال: والصحيح عندي أنها (ع) ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وأنها أوصت ألا يصلوا عليها.^{٩٦} وكانت هذه الوصية الإعلان الأخير من الزهراء (ع) عن نعمتها على الخلافة القائمة. وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال: قُبِضَت فاطمة في جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من سنة إحدى عشر من الهجرة، وكان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنصل سيفه بأمره فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً، ولم تدع أحداً ممن آذاها يدخل عليها. وكان الرجلان من أصحاب النبي (ص) سألا أمير المؤمنين (ع)، فلما دخلا عليها قالوا لها: كيف أنت يا بنت رسول الله؟ قالت: بخير والحمد لله، ثم قالت لهما: ما سمعنا النبي يقول فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟ قالوا: بلى، قالت: فوالله لقد آذيتاني، قال: فخرجنا من عندها وهي ساخطة عليهما.

^{٩٤} - أبو الحسن الأشعري و "مقالات الإسلاميين"

^{٩٥} - البخاري، "صحيح البخاري"، دار المعرفة، بيروت، ج ٢ ص ١٨٦

^{٩٦} - ابن أبي الحديد المعتزلي، "شرح نهج البلاغة"، دار إحياء التراث، بيروت ١٣٨٥ هـ، ج ٦ ص ٥٠

وعندما توفيت أرادوا حفر قبرها، فبلغ ذلك أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فخرج مغضباً حتى احمرت عيناه، ودرت أوداجه وعليه قباة الأصفر الذي كان يلبسه في كل كربة، وهو متوكئاً على سيفه ذي الفقار، حتى ورد البقيع، فسار إلى الناس النذير وقالوا: هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه يقسم بالله لئن حوّل من هذه القبور ليضعنّ السيف على غابر الآخر فتلقيه عمر ومن معه من أصحابه وقال له: ما لك يا أبا الحسن، والله لننبشّن قبرها ولنصلّيّن عليها، فضرب علي(ع) بيده إلى جوامع ثوبه فهزّه ثم ضرب به الأرض وقال له: يا بن السوداء، أمّا حقي فقد تركته مخافة أن يرتدّ الناس عن دينهم، وأمّا قبر فاطمة، فوالذي نفس علي بيده، لئن رُمّت وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقينّ الأرض من دمائكم، فإن شئت فأعرض يا عمر. فتلّقاه أبو بكر فقال: يا أبا الحسن بحق رسول الله وبحق من فوق العرش ألا خلّيت عنه، فإنّا غير فاعلين شيئاً تكرهه، قال فخلّى عنه وتفرّق الناس ولم يعودوا إلى ذلك.^{٩٧} وقال الواقدي: إن فاطمة لما حضرتها الوفاة أوصت علياً أن لا يصلّي عليها أبو بكر وعمر، فعمل بوصيتها.^{٩٨} وسأل الاصبغ بن نباتة أمير المؤمنين(ع) عن دفنها ليلاً فقال: إنها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرامّ على من يتولّاهم أن يصلّي على أحد من ولدها.^{٩٩}

وأيضاً مما أوصت به الزهراء(ع) أمير المؤمنين(ع): أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني واخذوا حقي فإنهم عدوي وعدو رسول الله(ص) ولا تترك أن يصلّي عليّ أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفني في الليل

^{٩٧} - المجلسي، "بحار الأنوار"، ج ٤٣، ص ١٧٠

^{٩٨} - المصدر السابق ص ١٨٢

^{٩٩} - المصدر السابق، ص ١٨٣

بما هدأت العيون، ونامت الابصار، ثم توفيت صلوات الله عليها وعلى أبيها
عليها وبنيتها.^{١٠٠}

ويؤيد براءة زيد مما رمي به من هذا القول ما رواه ابن عياش في
المقتضب عن الحسين بن علي بن هارون بن موسى، عن احمد بن علي بن
ابراهيم، عن عبد الله بن محمد المدني، عن عمارة بن زيد الأنصاري، قال: قلت
لزيد بن علي (ع): ما تقول في الشيخين قال: ألعنهما، فقلت أنت صاحب الأمر،
من لا ولكني من العترة، قلت من تأمرنا، قال: عليك بصاحب الشعر، وأشار إلى
الصادق جعفر بن محمد (ع).^{١٠١}

وعليه فما ذكروه من كلام نسبوه لزيد في تنزيه الشيخين، والتبري ممن
يتبرأ منهما، معارض بما هو وارد من طرقنا ومعوّل عليه عند علمائنا، ناهيك
عن المحاذير المستلزمة لمضمون ما يتناقلونه عن زيد وهو منه براء، وهو ممن
يشهد له علماء عصره وما بعد عصره^{١٠٢} بأنه كان العالم في فنون العلم من الفقه
والتفسير والكلام وغير ذلك، "فقد أجمع الذين عاصروا زيدا على انه كان عالماً
غزير العلم محيطاً بشتى العلوم الإسلامية، فهو العالم بالقراءات، وكل علوم
القران من تفسير وعلم الناسخ والمنسوخ، وهو عالم من علماء العقائد، ورواها

¹⁰⁰ - المجلسي، "البحار"، ج ٤٣ ص ١٩٢

¹⁰¹ - العلامة التستري، "قاموس الرجال"، ج ٤ ص ٢٦٣ والعجيب من السيد العلامة الطباطبائي "قده"
حيث قال: كانت الزيدية في الابتداء مثل زيد تعتبر الخليفتين الاولين أبو بكر وعمر من الانمة، والظاهر انه
"قده" أرسله دون تحقيق، راجع "الشيعية في الإسلام" للطباطبائي، مؤسسة البعثة طهران، ص ٥٣
¹⁰² - كابن حجر والذهبي والهيتمي وابن تيمية حيث يقولون عن مقامه العلمي: "انه من اكابر العلماء
وافاضل اهل البيت في العلم والفقه"، وقال سفيان الثوري: كان زيد أعلم خلق الله بكتاب الله، وعن
الخوارزمي: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة في بني هاشم إلى زيد بن علي رضي الله بكتاب الله، وعن
"الحدائق الوردية" ص ٢٣ ما سمع قرشي ولا عربي ابلغ موعظة ولا اظهر حجة ولا افصح لهجة منه،
وهشام بن عبد الملك نفسه يقول فيه: انه حلو اللسان شديد البيان خليق بتمويه الكلام واهل العراق اسرع
شيء إلى مثله. "نسخ البعقوبي"، دار صادر، بيروت، ج ٢ ص ٣٢٥

لحديث آل البيت (ع) وغيرهم، وقد تتلمذ له شيوخ الفقه بالكوفة، حتى أنه ليروى أن أبا حنيفة تتلمذ له سنتين، ولقد جاء في الروض النضير عن أبي حنيفة (ع) قال: شهدت زيد بن علي فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم منه.¹⁰³

ويكفي في إثبات ذلك دونه كل كلام، ما قاله الإمام الرضا والإمام الصادق (ع): إن زيدا كان من علماء آل محمد (ص).

ومهما يكن من شيء فإن ما يدل على عدم صدق ما تناقلوه عن زيد "رضي الله عنه" أن محاجة سيدة النساء، ومخاصمتها في خطبتها الشهيرة لأبي بكر، ينقلها زيد "قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، كلام فاطمة عند منع أبي بكر إياها فدك وقلت له: إن هؤلاء يزعمون أنه موضوع، وإنه كلام أبي العيناء، فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أبناءهم وقد حدثني أبي عن جدي يبلغ به فاطمة (ع) على هذا الحكاية، ورواه مشايخ الشيعة، وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء. قال أبو الحسين، يعني زيدا: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وما يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة (ع) يتحققونه، لولا عداوتهم لنا أهل البيت¹⁰⁴ ثم ذكر الحديث، أي خطبة الزهراء (ع) ومن شاء فليراجع خطبتها ويقف على كلامها ليرى أن كلامها يتضمن الأكث بكثير من السخط والتبري والغضب،

ولكن مع ذلك كله لا مانع أن يكون صدر من زيد تصريح بعدم التبري واللعن - وإن كان ورود الأخبار السابقة في ذلك بسند ضعيف - وذلك مرات

¹⁰³ - الشيخ محمد أبو زهرة، "الإمام زيد"، ص ٧٠.

¹⁰⁴ - أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، "بلاغات النساء"، منشورات الشريف الرضي، قم، ص ٢٣.

لمشاعر من يتولاهما، وظهوراً منه بمظهر القائد المتسامي على الحساسيات المذهبية ونحو ذلك مما فيه دعم لموقع نهضته والتفاف الناس حولها، ولأجل رص الصف وتوحيد الكلمة وتحقيق الغاية التي يتوخاها جميع المسلمين الذين نالهم الكثير من الظلم من حكام حكموا بإسم الدين، وهم يفتقرون الى أبسط مواصفات الأهلية، وهم أبعد ما يكون عن ذلك.

والناس على اختلاف شرائحهم وتوجهاتهم كانوا ينشدون الخلاص ويتوقون الى تتسم نسيم الحرية وبسط العدالة ونيل الحقوق. ولم يكن من مصلحته إثارة مسألة خلافة في ظروف حساسة وصعبة، خصوصاً إذا أخذت منحى سلبياً بعيداً عن روح الشريعة وتعاليمها، والناس الى نبذ الفرقة ولم الشعث ورتق الفتق ووأد الإختلاف والتمزق أحوج. وقد ترجمت هذه الحالة، ولو بمستوى لايرقى الى المطلوب، من وقوف بعض الفقهاء أمثال الإمام أبي حنيفة وغيره والتعاطف العام الذي لقيته نهضة زيد في تحقيق مطلب جماهيري عام.

لا نقصد من التعرض لهذه القضية في هذا الفصل، أن نصدّع وحدتنا اليوم المتواكبة والمتراكمة في هذه اللحظة المستيقظة التي ينادي بها القرآن الكريم، بل ندعو الى تعزيز هذه الوحدة وإقامتها على أسس متينة قوية البنيان سامية في علوها، يُتغاضى فيها عن الصغائر، ويتطلع فيها الى تحقيق العزة في السعي للغايات والقضايا الكبرى، وإقامتها على حرية الرأي والمعتقد، دون احتكار الحقيقة وحصر ممثلية الإسلام بمذهب ما، كما كان ذلك سائداً في منطق الأولين، وربما للأسف نجد من يسلك هذا التوجه اليوم، وب نماذج متعددة ومختلفة في كل مذهب، يجمدون على حرفية النصوص وشكلها دون فهم جوهرها البعيد كل البعد عن الإستعداد للآخر، أو التفكير بذهنية عشرات القرون الى الوراء مما يسعد

قلوب المتربصين الدوائر بالإسلام وأهله، ولا يأبه لمخاطره التي تؤدي حتماً الى هدم هذا الصرح وإفساح المجال أمام الأعداء لإذلالنا والنيل منا أكثر فأكثر. فلتكن وحدتنا على هذا الضوء أهدى للغاية وأدلّ على القصد والمبتغى.

سبب تسمية الرافضة:

لنا وقفة عند هذه القضية، نحاول فيها كشف النقاب عن وجه الحقيقة التي يراد لها أن تكون في غربة عن روادها والباحثين عنها.

ولا أخالك أيها القارئ العزيز تغفل عما يرمون إليه من مآرب وأغراض في ذكرهم سبب تسمية الروافض بهذا الاسم عند ذكر قضية زيد حينما سئل عن موالاته الخليفتين أبي بكر وعمر، وكان ما كان مما ذكروه من جوابه لهم فسماهم حينئذ بالرافضة، شأن ذلك شأن الكثير من القضايا والأحداث التي حفل بها التاريخ وعبثت بها الأيدي إفكاً وزوراً. وقد ذكرت جملة منها للإستشهاد على ما يأتي في مطاوي هذا الكتاب إن شاء الله، كما انه سيأتي فيما يلي من أن هذه التسمية، الرافضة، وسام لا مزمة فيه، فالرافضة هم من رفضوا الخنوع للمستبد وكانوا رفضاً لكل أشكال القمع، وضروب الجور والإبتزاز والغصب. وترى أنهم قد ملأوا صفحات الكتب التاريخية، والمجاميع الحديثية عند أدنى مناسبة، بذكر هذه القضية و مع ما في ذلك من التضارب في سبب هذه التسمية، فقد ذكر أن من سأل زيدا ليسوا هم الذين بايعوه على القتال ومن ثم رفضوا بيعته بسبب إعلان زيد ومبايعته وموالاته للشيخين على ما أدعي، " بل الذين سألوهم جماعة ممن كانوا يهون هشاماً" ^{١٠٥}

¹⁰⁵ - ابن عساکر، "تهذيب تاريخ دمشق الكبير"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٦ ص ٢٥

يعتبر هذا الكلام أول باعث على التشكيك في أن التسمية كانت في قضية زيد، وسؤال من بايعه عن رأيه في الشيخين ومهما يكن من شيء فإن الحقيقة غير ذلك فكلمة الرافضة^{١٠٦} التي شاع إطلاقها على الشيعة الإمامية معناها في الأصل "جند تركوا قائدهم"^{١٠٧} فحيث أن الشيعة لم يكونوا قائلين بإمامة أولئك المتغلبين سموهم الرافضة.

قال في المصباح: والرافضة فرقة من شيعة الكوفة سموّا بذلك لأنهم رفضوا، أي تركوا، زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الصحابة فلمّا عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه. ويقول أحمد بن حنبل: و"الرافضة" وهم الذين يتبرأون من أصحاب رسول الله (ص) ويستبّونهم ويكفّرون الأئمة الأربعة - أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً - وعماراً أيضاً والمقداد وسلمان رضي الله عنهم. و"المنصورية" هم رافضة، أخبث الروافض، وهم الذين يقولون أخطأ جبريل بالرسالة. و"السبئية" وهم رافضة قريب ممن ذكرت.^{١٠٨} ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة.^{١٠٩}

محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ الشهيرين، ألف كتاباً في اختلاف الفقهاء لم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فسئل عن ذلك فقال: لم يكن أحمد فقيهاً، إنّما محدثاً وما رأيت له أصحاباً يُعوّل عليهم. فأساء ذلك الحنابلة، وقالوا: إنه رافضي. وسألوه عن حديث الجلوس على العرش فقال: إنه مُحال وأنشد:

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

¹⁰⁶ - علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين الزيدية ص ١٣٥

¹⁰⁷ - ابن منظور، "لسان العرب"، مادة رفض ج ٧ ص ١٥٧

¹⁰⁸ - صالح الورداني، "أهل السنة شعب الله المختار"، ترينكو للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٧، ص ١٦٢

¹⁰⁹ - نقلا عن "مسند الإمام زيد"، ص ١٣

فمنعوا الناس من الجلوس اليه والدخول عليه ورموه بمحابرهم، فلما لزم داره رموه بالحجارة حتى تكدّست، وحتى ركب صاحب الشرطة ومعه ألوف من الجند لمنع العامة عنه ورفع الحجارة كما ذكر أحمد أمين صاحب "ضحى الإسلام".^{١١٠}

هذا ولا يوجد دليلاً على ما ذهبوا إليه من أن سبب التسمية هو ما جرى في قضية زيد. وهناك شواهد تاريخية تثبت عكس ما ذكروه، وإن هذه التسمية كانت قبل سنة ١٢٢. فقد ذكر اليعقوبي أن معاوية كتب إلى عمرو بن العاص: أما بعد، فانه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك فقد سقط إلينا مروان في رافضة أهل البصرة. ويذكر الذهبي في تاريخه انه حينما سئل احمد بن حنبل، وهو أول من وضع بذرة أهل السنة في واقع المسلمين، يا أبا عبدالله، ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ فقال: ما أقول فيهما إلاّ الحُسنى! ويقول، أي الذهبي، وسئل: من الرافض؟ فأجاب: الذي يشتم رجلاً من أصحاب رسول الله(ص)، أو يتعرّض لهم، ما أراه على الإسلام.^{١١١}

وإذا أردنا أن نرجع الى جذور المصطلح، نجد أنه موجود قبل القرن الثاني، وإنه كان شائعاً قبل ذلك، ثم بعد إجابة ابن حنبل عن سؤال الرافض من هو، فيجيب بأنه الذي يشتم رجلاً من أصحاب رسول الله(ص)، يفهم منه أن المسألة حوّرت بطريقة الإقحام والإسقاط لشيء يراد له أن يظهر بهذه الكيفية التي يتحدث عنها المؤرخون مع إغفال القرائن والشواهد التاريخية التي تعتبر من العوامل المبعدة لما يراد تصويره وحصره في قضية الموقف من الشيخين. هذا

^{١١٠} - محمد حسن ترحيني، "الإحكام في علوم الكلام"، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط اولى ١٩٩٣،

ص ٣٦

^{١١١} - صالح الورداني، "اهل السنة"، ص ١١٤

بالإضافة الى أن معاوية حسب تحديد ابن حنبل هو ليس رافضي وحسب، بل هو خارج على الإسلام، لأنه أول من سنّ سنة لعن الصحابة وخرج عن طاعة إمام زمانه المبایع من قبل المسلمين.

وذكر الطبري أن التسمية كانت من المغيرة بن سعيد لما رفضه الشيعة. وذكر البيهقي في المحاسن والمساوي: إنه لما أنشد الفرزدق أبياته المشهورة في الإمام زين العابدين(ع) المتوفى سنة خمس وتسعين، قال عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ست وثمانين للفرزدق: أرافضي أنت يا فرزدق؟!

وعلى كل حال، فإن ذلك كله كان قبل قضيتي زيد والمغيرة بن سعيد بزمان بعيد.^{١١٢} ولا يخفى أن هذه القضية باتت من الواضحات وأنها من وضع الواضعين بعدما تبين أن هذه التسمية ذات جذور في الزمن الماضي البعيد قبل أن يولد زيد، وإن المقصود منها بطريقة مدروسة هو إلقاء اللوم في قتله على الشيعة بسبب خذلانهم له خصوصاً بعد أن بايعه أربعون ألفاً، وربما يكون هذا العدد قد ضخم عمداً لأجل إعطاء ما يرمون إليه من أبعاد لهذه التسمية، زخماً قوياً، وإن مسألة التبري من الشيخين ليست بمكان من السهولة. وما احسن قول السيد الحميري حينما سأله أرافضي أنت فأنشد قائلاً:

ونحن على رغمك الرافضون لإمامة الضلالة والمنكر
وقال أبو الحسن الأشعري في كتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين": "إنما سمّوا الرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر"^{١١٣} ومنهم من قال:

^{١١٢} - جعفر مرتضى العاملي، "الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)" جماعة المدرسين قم، ص ٢٣٢. وإسم الرافضة موجود في عهد النبي يونس(ع) على مافي "إكمال الدين"، ص ١٢٧ و١٢٨.
^{١١٣} - "مقالات الإسلاميين"، ج ١ ص ٨٩.

لأنهم رفضوا رأي الصحابة، حيث بايعوا أبا بكر وعمر.^{١١٤} وفي "أحسن التقاسيم":
وعند غيرهم (غير الشيعة) من نفى خلافة العمرين.^{١١٥} وقال ابن تيمية خلاف هذه
الأقوال: الصحيح إنهم سمّوا الرافضة لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين.^{١١٦}

ولكن الصحيح هو الأقوال المتقدمة من أن سبب التسمية هو رفض إمامة
أبي بكر وعمر. وهو رأي الشيعة أساساً، والذي كان مبتدأه منذ اجتماع السقيفة،
الذي حول المسلمين الى فرقتين وهو قبل زيد وجماعته بأكثر من قرن من
الزمن، فما هو الهدف من إطلاقه عليهم حينئذٍ؟ مع ملاحظة كلمات بعض
المؤرخين الذين لم يكن لهم من هدف سوى مرضاة السلطان مالك الشوكة وإن
أدى ذلك الى تزوير الحقائق وإثارة العصبية المذهبية المقيتة بطريقة غاية في
السلبية، والتي تستخدم هذه المفردة وتطلقها على كل الشيعة مثل صاحب النجوم
الزاهرة ابن تغري بردي (القرن الرابع) وغيره عندما يتعرض لإقامة ماتم الإمام
الحسين (ع) في يوم عاشوراء.

فإنهم بعد ما ذكروا أن تسمية الرافضة بهذا الاسم، وأن السبب في ذلك
عرضهم عليه مكانة الشيخين عنده فأشار عليهم حسب ادعائهم، انه يتولاها
ويترضى عليهما فرفضوا بيعتهم له فسماهم حينئذ بالرافضة، و ذكرنا أن ذلك من
الموضوعات وان هذه التسمية كانت موجودة قبل ولادة زيد بعشرات السنين.
ويبدو لي انه لأجل إثبات دعواهم هذه لجأوا إلى تضخيم هذا العدد، ولأجل
إثبات أن زيدا يتولى الشيخين، لما هو معروف من رأي الشيعة فيهما، فكان هذا
العدد الضخم منهم رفض زيدا لأجل ولاته هذا حسب زعمهم ومن ثم يتسنى لهم

١١٤ - "الخطط المقرية"، ج ٤ ص ١٧٢

١١٥ - "أحسن التقاسيم"، ص ٣٨

١١٦ - ابن تيمية، "منهاج السنة"، ج ٢ ص ١٠٥

إثبات أن زيداً بعيداً عن خط أهل البيت (ع)، لذا تجد الكثير من الأخبار التي يذكرونها في مجال مناقشة الأئمة في قضية خروجه كما فيما يروى انه حصل ذلك مع الإمامين الباقر والصادق (ع) للإيحاء بأن زيداً مخالف لأئمة أهل البيت، وإن أمكن أن نحمل هذه الأخبار على فرض صحتها على الاستفهام في مجال المناقشة العلمية.

ويؤيد، إن لم يدل، على ما قلناه، من أن واضع هذا العدد مغرض في ذلك: إن هذه التسمية وإن كانت قبل ولادة زيد، إلا أنها أصبحت تطلق على الشيعي الإمامي أو الغلاة منهم، وبعضهم لا يفرق في الأمر إطلاقاً وتعميماً، عن قصدٍ أو عن غير قصد، وفي كثيرٍ من الأحيان يحصل خلط متعمد، كما يلاحظ ذلك في "الملل والنحل" للشهرستاني، وكما نجد ذلك في كلمات كثير من الكتاب كالفخر الرازي والذهبي والجاحظ وابن حجر حيث يقول هذا الأخير عن الشيخ المفيد "رض" في ترجمته له: "المفيد، عالم الرافضة"، كما يقول الجاحظ في البيان والتبيين عن محمد بن أبي عمير أنه كان وجهاً من وجوه الرافضة^{١١٧} ويذكر الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: "إنما وليكم الله..."^{١١٨}: "إن علي بن أبي طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض، ولم يتمسك البتة بهذه الآية لإثبات إمامته، وذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض لعنهم الله".^{١١٩}

وكثير مما قاله النواصب من هذا القبيل، ولست في صدد تتبع واستقصاء كلماتهم في ذلك، وإنما أردت الإستهزاء بأن هذه الكلمة أصبحت تطلق على شيعة أهل البيت ومحبيهم في مقام النبز والتحقير، والشيعية بطبيعة الحال يرفضون ولاء

١١٧ - "رجال النجاشي"، ص ٣٣٦

١١٨ - سورة "المائدة"، الآية ٥٥

١١٩ - الفخر الرازي، "التفسير الكبير"، مكتب الاعلام الإسلامي، قم ١٤١٣ هـ، ص ٢٨ و ٢٩

من لا يرضى الله تعالى بولائهم، بل يوالون من أمرهم الله ورسوله بولائهم، وهم معدن العلم وعيبة علم النبي، وحملة الرسالة الذي كان في بيوتهم يهبط الوحي، وما أجملها من كلمة عندما قالها الإمام السجاد لرجل شاجره: "يا هذا لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبريل في رحالنا، أياكون أحد أعلم منا بالسنة؟".

وقد ذكر البعض في قضية تسمية الرافضة أن هناك رواية ثالثة في هذا السياق: "إنه يتولاهما ويتبرأ ممن تبرأ منهما، ثم قال: وهذه الرواية لا أرى صوابها لأنها تخالف دبلوماسية الموقف الذي يجب أن يقفه، لأن أنصاره أغلبهم من الشيعة، ثم قال وأنا أرى أن إحدى الروایتين السابقتين اقرب إلى الواقع^{١٢٠} يعني بذلك ما ادعته كتب التاريخ من أن سبب تسمية الرافضة بهذا الاسم هو طلبهم من زيد البراءة من أبي بكر وعمر، فأبى عليهم ذلك فسماهم بالرافضة.

ويلاحظ على هذا الاستنتاج: إن الكلام نفسه الذي يرد عليه في الرواية الثالثة، يرد أيضاً على الروایتين السابقتين، فإن إحدى الروایتين السابقتين التي استقر بها من الواقع حسبما ذكر، أيضاً تخالف دبلوماسية الموقف الذي كان عليه أن يتخذه إزاء هذه القضية، على فرض القول بصحتها، فقد عرفت عدم التسليم بها، بلا فرق بين هذه الروايات الثلاث، وفي كل الأحوال لا تخدم موقفه، لأن أكثر أنصاره من الشيعة. وهذا ما يدل على التهافت الفاحش في الروايات المرتبطة بهذه القضية. وإن ما استقر بناه إمكانية صدور موقفا تجاه الشيخين وإيائيه البراءة منهما، على فرض صحة الرواية، لأجل ما قلناه سابقاً.

¹²⁰ - "الوصية والإمامة"، ص ١٠٠

وبعد هذا العرض المفصّل حول سبب هذه التسمية وما أثير حولها، وبعد عرض التحليل التاريخي للقضية، نضيف عليه ما يقوله أهل بيت العصمة (ع) لترداد المسألة وضوحاً ولتضيي عليها إشراقة من نور متألق. رُوِيَ أن أبا بصير قال للإمام الصادق (ع): إن الناس يسمونا الرافضة، فقال (ع): والله ما سموكم به ولكن الله سمّاكم، فإن سبعين رجلاً من خيار بني إسرائيل آمنوا فسموهم رافضة، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى أن اثبت لهم هذا الاسم في التوراة، ثم ادخره الله لِيُنَحْلِكُمُوه يا أبا بصير، رفض الناس الخير وأخذوا الشر، ورفضتم الشرّ وأخذتم بالخير.^{١٢١}

وفي هذا المجال نذكر هذه الحادثة الطريفة ونختّم بها الكلام والختام مسك: إن عمار الدهني شهد عند ابن أبي ليلى فقال لا نقبلك لأنك رافضي، فبكى وقال تبرأ من الرافضة وأنت من إخواننا، فقال: إنما أبكي لأنك نسبتي الى رتبة شريفة لستُ من أهلها، وبكيت لعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي ثم أنشد:

وعيرتني بالشَّيب وهو وقار وليتها عيرتني بما هو عار^{١٢٢}

علاقة الزيدية بزید:

إن الطائفة الزيدية التي تتسبب نفسها لزید بما تعتقده وتدين به، مخالف لحال زید وما يعتقد به، ذاك حال زید الذي تخرج من مدرسة النبوة وتغذى بغذائها، وانتهل من معينها العذب الذي لا يغور ولا ينضب، والذي تربى في أحضان والده الامام زين العابدين وسيد الساجدين (ع)، وكل ذلك يرفض ما للزيدية من معتقدات ولا ينسجم معها في كثير من الأحوال.

¹²¹ - زين الدين علي بن يونس النباطي، "الصراط المستقيم"، المكتبة المرتضوية، ج ٣ ص ٧٦

¹²² - المصدر السابق، ص ٦٥

وإذا كان زيد قد أخذ العلم من معدنه وينبوعه من أبيه السجاد(ع) وأخيه الباقر(ع) حيث أن زيد نفسه يصرح بذلك ويقول: جعفر إمامنا في الحلال والحرام، فإن هذا التعبير عام لا في خصوص الصلاة والصوم فحسب بل هو شامل للجهاد والقيادة الاجتماعية، فإن استعمال الحلال والحرام يقتضئ يشمل كل مساحة الحياة، وإن إمام الحلال والحرام له قيادة المجتمع والعالم أجمع.^{١٢٣}

إن زيدا لم تكن له عقيدة تخالف عقائد أهل البيت(ع)، ولم يتبن أفكاراً بعيدة عن مذاق مدرسة أهل البيت(ع)، فهو له رأيه ولكن مع وجود الأعلام منه في كل شيء فإنه يرجع إليه ولا يشذ عنه كما هو يقول في حق ابن أخيه الإمام الصادق(ع): جعفر إمامنا في الحلال والحرام.

لتوضيح الأمر نقول: لمعرفة المرء طريقان: الاختبار الشخصي، أي عن طريق الحسّ. والطريق الثاني: الحدس. وذلك لوجود فاصل زمني معيّن. كأن يوثّق أحد علماء الرجال راوٍ وهو يعرف حاله، ولكنه بالنسبة لنا هو أمر حدسي، لا يمكننا الأخذ بقوله إلاّ من باب تصديق الثقة. غير أن ذلك لا يمنع أن يكون مُشْتَبَهاً. وهنا جوهر القضية.

ولكن إذا كان للمرء الذي نريد معرفته آثار يحكي فيها آراءه وعقائده وعلومه ومعارفه، فتكون معرفة شخصيته واجبة التحصيل من خلالها. وبطبيعة الحال إذا صحت نسبة هذه الآثار إليه. فيكون الأمر سهلاً حينئذٍ. أمّا إذا كان الأمر خلاف ذلك، ووقع الشك في نسبة هذه الآثار أو في دقة نقلها، تقع المشكلة

¹²³ - السيد كاظم الحائري، "الكفاح المسلح"، ص ٩٥

البحثية التي توجب على الباحث إحالتها الى الطرق المعتمدة في تأكيد أو نفي صحة النسب، وتبعاً لأصول فن التمهيص والتدقيق المعتمدة عند المحققين للتثبت مما يجب التثبيت فيه والتأكيد عليه.

تعريف بالزيدية:

هم طائفة من الشيعة ينتسبون إلى زيد بن علي (رض)، ودولتهم اليوم في اليمن والمذهب الرسمي فيها هو المذهب الزيدي. وكان يحيى بن الحسين الرسي العلوي ذهب من العراق إلى اليمن في القرن الثالث الهجري ودعا إلى المذهب الزيدي. وكانت الحكومة منذ دعوة الرسي العلوي بيد الزيدية، وكان آخر حاكم مقتدر زيدي يحكم البلاد هو حميد الدين يحيى المتوكل على الله. ولما اغتيل هو وولاده الحسن ومحسن، وحفيده الحسين بن الحسن بيد بعض وزرائه عام ١٣٦٧ هـ في ظل مؤامرة أجنبية قام مكانه ولده الإمام بدر الدين، ولم يكن له نصيب من الحكم إلا مدة قليلة حتى أزيل عن الحكم عن طريق انقلاب عسكري، وبذلك انتهى الحكم الزيدي في اليمن.^{١٢٤}

أما نسبتهم إلى زيد، فقد ذكر مفتي اليمن السابق أبو الحسين مجد الدين ابن محمد بن منصور المؤيدي، إن النسبة هذه لم يطلقها الإمام زيد على أتباعه ولا أطلقها في البداية أتباعه على أنفسهم، وإنما أطلقها حكم بني أمية على كل ثائر عليهم بعد الإمام زيد من أهل البيت النبوي الشريف إلى أن قال، وإن هذه التسمية تسمية سياسية بالأصل.^{١٢٥}

^{١٢٤} - جعفر السبحاني، "بحوث في الملل والنحل"، جماعة المدرسين، قم، ج ٦ ص ٦١٦ و ٦١٧
^{١٢٥} - علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين، "الزيدية"، عُمان سنة ١٤٠٥ هـ. "مقدمة الكتاب" ص "ج"

وهذا الكلام واضح في أن التسمية هذه جاءت متأخرة بزمان عن عصر زيد، ونحن إذ ننكر متابعة الزيدية لزيد بما ينسبونه إليه من المذهب الذي لا يلتقي مع مذهب الأئمة (ع) وفي مجمل الأحوال وعلى الأقل لم يثبت ما نسب إليه وما تابعوه في ذلك على زعمهم، وإلاّ فهم أحرار فيما يعتقدون. وذلك لما هو ثابت لدينا من أن زيدا لم يخالف الأئمة (ع) كما بينّا سابقا، لا لشيء إلاّ لأن الزيدية تعتقد بأن الإمام بعد الإمام السجاد (ع) هو زيد (رض) وهذا يخالف عقيدة زيد نفسه بأئمة أهل البيت (ع)، فزيد هو القائل: جعفر إمامنا في الحلال والحرام، وإذا كان مذهبهم هو عبارة عن أصول وقواعد أخذوها من أقوال الإمام القاسم بن إبراهيم وأولاده المخالفة لمذهب أهل البيت (ع)، فيثبت أنهم مخالفون لما لزيد من معتقد، وإنهم إنما انتسبوا إلى زيد (رض) لجلالة محله وعظيم منزلته عند جميع علماء الإسلام، ولمكانته عند أهل البيت (ع)، وإذا كان كذلك فهو من المفخر، فإذا كان الزيدي يُطلق على من صوّب زيدا في خروجه فكلنا زيديون بهذا المعنى.

سُئِلَ الشيخ بكر بن محمد عاشور الصدقي مفتي الديار المصرية: ما قولكم في الزيدية المنتسبين الى الإمام زيد ابن سيدنا زين العابدين علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، هل هم شيعة أم لا؟

وكان مما أجاب:...وبالجملة، فإن سيدنا ومولانا الإمام زيد ابن سيدنا ومولانا الإمام زين العابدين من خيرة آل بيت النبي (ص)، ومن كبار أهل العلم وأهل الزهد والورع، ومن قال إنه شيعي أو رافضي أو ما أشبه ذلك فقد تعدى وظلم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والله أعلم. ففي هذا الكلام نفي لتشيّع زيد وهو كلام غريب، فإنه من الثابت لدى كل من تعرّض لحياة زيد أنه

شايح علياً(ع) في الحد الأدنى. وهو بذلك يكون شيعياً إصطلاحاً وعليه يكون كلام المفتي هذا من دون دليل.

وقال عبدالعزيز بن اسحاق البغدادي جامع مسند الإمام زيد: المراد بالشيعية عند اصطلاح المتأخرين؛ الغلاة في محبة علي بن أبي طالب، ويطلقون على الرافضة. وأمّا الشيعة التي هي مطلق المحبة، فكل مؤمن يحب علي بن أبي طالب لحديث: "حب علي إيمان، وبغضه نفاق" وكانت تقول الصحابة: كنا نعرف المنافق ببغضه لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه. قال في القاموس: شيعة الرجل أتباعه، وأنصاره، وقد غلب هذا الإسم على كل من يتولّى علياً وأهل بيته، حتى صار إسماً لهم خاصاً.

الذي أثار الإستغراب، وجود الخلط وعدم الدقة في التحديد: الزيدية فرقة من فرق الشيعة، فلم يكن نسبهم الى الشيعة او الرافضة تعدياً وظلماً؟ وقد بينا تاريخياً السبب في تسمية الرافضة. وهل من شايح علياً يستحق النبز والقدح؟ وأي عالم، أو مسلم لم يحب آل محمد مع قوله تعالى: "قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى".

ثم لما هذه الحيرة؟ أمن الأمور الصعبة المستعصية التفرقة بين الشيعة، والغلاة والرافضة؟ فمن ينسب الى أئمة أهل البيت(ع) ويعتقد فيهم ما لم يرتضوه لأنفسهم من الصفة او القول، أو يضعهم بغير المكانة التي وضعهم الله فيها، والمنزلة التي تحدثوا فيها عن أنفسهم، وعلموا المسلمين كيف يكون الحب والبغض، فهو ليس من شيعتهم، ولا يرضون عنه.

وبعد هذا كيف يحق لنا أن ننسب لزيد من أصول وفروع ومعتقدات لما هو مخالف مما تلقاه من أبيه وأخيه الصادق عليهم سلام الله أجمعين .

إن زيد بن علي كغيره من شيعة أهل البيت (ع) يرجع في أصول دينه وفروعه إلى العترة الطاهرة، فرأيه تبع لرأي الأئمة من العترة في الفروع والأصول وسائر ما يأخذ من الكتاب والسنة أو يتعلق بهما من جميع العلوم، لا يعولون في شيء من ذلك إلا عليهم ولا يرجعون فيه إلا إليهم، فهم يدينون الله تعالى ويتقربون إليه سبحانه بمذهب أئمة أهل البيت، لا يجدون عنه حولا، ولا يرتضون بغيره بدلا. على ذلك مضى سلفهم الصالح من عهد أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين (ع) إلى زماننا هذا.^{١٢٦} وقد قالوا (ع) لمن خالفهم وادعى العلم دونهم: شرقا أو غربا فلن تجدنا علما صافيا إلا عندنا أهل البيت.

وزيد الشهيد أجلُّ قدرا، وأعظم منزلة من أن يخالفهم كما فعل الآخرون باجتهاداتهم، فأعملوا الرأي والقياس والاستحسان، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك^{١٢٧} وجعلوه دليلا وأسسوا مذاهب في قبال مذهب أئمة أهل البيت (ع)، كانوا قد اقتبسوها من نور أئمة الهدى من آل محمد (ص)، واغترفوها من بحورهم، فالأئمة الأربعة في أيام حياتهم (ع)، كسائر من عاصرهم من الفقهاء والمحدثين، لم يكن لهم امتياز على من كان في طبقتهم، وليس لهم عند أحد من الناس منزلة

¹²⁶ - عبد الحسين شرف الدين (قده)، "المراجعات"، مكتبة بغداد ط ٢ ١٣٦٥ هـ، المراجعة رقم ١١٠

ص ٣٤٥

¹²⁷ - الصدوق، "إكمال الدين"، جماعة المدرسين، قم، ص ٣٢٤

أئمة أهل البيت عند شيعتهم، بل لم يكونوا أيام حياتهم بالمنزلة التي تَبَوَّها بعد وفاتهم كما صرح به ابن خلدون المغربي.^{١٢٨}

فكانوا قبل ذلك على موائد أهل البيت(ع) السخية يطعمون، ومن معين حياضهم ينهلون العلم، وزيد الذي تخرج من مدرسة أهل البيت(ع) كان عظيم القدر والمنزلة عندهم، وذلك مما تسالمت عليه الشيعة، فهو لا يقل مقاماً عن فقهاء أهل البيت(ع) أمثال محمد بن مسلم التقي المتوفى سنة ١٥٠، وحمران بن أعين، وزرارة بن أعين المتوفى أيضاً سنة ١٥٠، وتلميذه جميل بن دراج الذين كانوا حريصين كل الحرص، مع سمو مقامهم العلمي، على الأخذ من أحكامهم(ع). إلا أن زيد بن علي، لقصر عمره، لم يبرز بالشكل الذي برز فيه هؤلاء القمم العظام في شتى جوانب العلوم.

ونحن إذ بيّنا هذا الأمر، لا للطعن بأي مذهب من المذاهب الإسلامية لا سيما الزيدية، فإن فيهم العلماء والفضلاء، ولكننا ننفي أن يكون لزيد مذاهب تتنافى، وأفكار تتباين مع ما انتهجه من طريق مما درسه وأخذه عن الأئمة الاطهار(ع)، بعد ما تبين لنا حال زيد من المدح والثناء والتقدير بحيث لا يستحقها لو كان منحرفاً عن أئمة الهدى(ع)، كما تتسبب إليه كتب التاريخ ذلك محاولين بذلك إظهاره للناس بالمظهر المخالف لهم(ع)، كما يذكرون أنه كان ممن يُجَوِّز الخطأ على جده الإمام علي بن أبي طالب(ع) وغير ذلك.

فزيد في نظر الشيعة الإمامية كغيره من العلماء والإبدال تمسك بمذهب أهل البيت(ع)، ذلك لأن الأدلة الشرعية أخذت بأعناقهم وأوجبت الأخذ به للأدلة والبراهين القاطعة وتعبداً بسنة سيد المرسلين(ص) الذي قال عنهم: إني تارك

¹²⁸ - شرف الدين، "المراجعات"، مكتبة الجامعة، بغداد، ص ٣٤٧

فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي، أحدهما اعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.^{١٢٩}

والمتتبع يجد أن المذهب الفقهي المعروف بالمذهب الزيدي في اليمن نسبة إلى زيد، قريب من مذاهب أبناء العامة، بالخصوص من المذهب الحنفي.

فإن ما تلقاه زيد من علوم ومعارف من معدن العلم ورواده، وطبيعي هذا لا يعني التوهين في حق زيد أو نيلاً من مقامه العلمي بسبب عدم استقلاله، وعدم استغنائه عنهم، وذلك لأن أئمتنا (ع) من لدن أمير المؤمنين (ع) وإلى الحجة المنتظر (عج) ما كان أحد يمكنه الاستغناء عنهم في شيء أبداً. وكما يقول الفراهيدي في حق الإمام المعصوم: استغناؤه عن الكل واحتياج الكل إليه، دليل على إمامته.

أمّا كتاب "المجموع الفقهي" المنسوب إلى زيد، فقد ورد في "الروض النضير"^{١٣٠} إن أبا خالد الواسطي قال: إن زيد هو الذي جمع هذا الكتاب. وأبو خالد الواسطي هو عمرو بن خالد الواسطي، قد عده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الباقر وقال إنه: بترى.^{١٣١} وجعله الكشي في رجاله من رؤساء

^{١٢٩} - علي الميلاني، "نفحات الازهار في شرح عقبات الأنوار"، نشر المؤلف، ط ١ سنة ١٤١٤، ج ١

ص ٤٣٣ هـ، و"كنز العمال" للهندي ج ١ ص ٤٤

^{١٣٠} - الحسين بن أحمد السياغي، "الروض النضير"، ج ١ ص ٥٨١

^{١٣١} - البترية فرقة من الزيدية وهم أصحاب الحسين بن صالح، يقولون بأن علياً أفضل الناس بعد رسول الله (ص) وأولادهم بالإمامة، وإن بيعة أبي بكر ليست بخطأ، يأخذون بأحكام أبي بكر وعمر، ويرون المسح على الخفين وشرب النبيذ المسكر، و اختلفوا في حرب علي ومحاربة من حاربه: سعد بن عبدالله الأشعري، "المقالات والفرق"، ص ٧ و ١٠

الزيدية وأنه يروي عن أبي الجارود الذي كان رأس الزيدية^{١٣٢} ولم يوثقه الشيخ النجاشي في رجاله، وعليه فالرجل مجهول، لعدم تحصيل العلم بحاله. ولعلّ كون الرجل بترياً كما صنّفه الشيخ الطوسي أدّى الى عدم قبول روايته فيما يختصّ بكتاب المجموع الفقهي المنسوب لزید، والمطابق في أكثريته للرأي الحنفي.

أما معتقدات الزيدية، فالأصول عندهم خمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والنبوءات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والطائفة الزيدية من الفرقة العدلية، تقول بالتوحيد والعدل وتنفي الجبر والتجسيم والتشبيه، وأن الكلام صفة فعل، وأنه مخلوق لله تعالى وليس بقديم، وينبئون العصمة للنبي(ص) مطلقاً، فهو معصوم من الكبائر والصغائر قبل البعثة وبعدها كما تقول به الإمامية. أما الإمام فهو يعني صاحب السلطة العليا في الدولة الإسلامية. فالإمام والرئيس والخليفة والملك بمعنى واحد، وليس للإمام عندهم أي قداسة ذاتية، فالإمام عندهم، يختبر ويقبل ويرفض، والمعياري في النظر إليه يحسب بعمله لأنه ليس بمعصوم، وهم لا يرون عصمة أئمة أهل البيت(ع) وينكرون النص عليهم.

"فالزيدية، ومن وافقهم، يصحبون الإمامة في البطينين الحسني والحسيني من أهل البيت النبوي الشريف، والإمامية لا يصحبونها إلا في اثني عشر شخصاً من أهل البيت النبوي الشريف أولهم الإمام علي ثم الحسن ثم الحسين ثم تسعة من أولاد الحسين آخرهم المهدي(ع)، ولم يشترطوا -أي الزيدية - أن يكون الإمام منصوباً عليه بعد الإمام علي والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام، ولم

¹³² - الطوسي، "الفهرست"، المكتبة المرتضوية، النجف الاشرف، ص ١٨٩

يشترطوا أن يكون الإمام معصوماً، ولا أن يكون أعلم أهل الأرض كما تشترط ذلك الإمامية.^{١٣٣}

إن الزيدية يقولون بإمامة ثلاثة من الأئمة (ع): الإمام علي (ع) والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، دون غيرهم من الأئمة لعدم توفر شرط الإمامة حسب مبناهم. كما يشترطون الخروج بالسيف ويعتبرونه من مقومات الإمامة، مع أن شرط الخروج بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليس من أصول الدين ليكون شرطاً في الإمامة، بل هو فرع من فروع الدين وواجب على كل فرد، إما وجوباً عينياً أو كفاً باتفاق جميع المسلمين، فكيف يكون شرطاً للإمامة حينئذ، غير أن قسماً من الزيدية يذهبون إلى إمامة السجاد (ع) كالجارودية.

والذي يظهر من كلام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (المتوفى سنة ٢٩٨) أنه يلتزم بإمامة السجاد (ع)، بالنص على الوصية إليه، قال: إن الله عز وجل أوصى بخلقه على لسان النبي إلى علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وإلى الأخيار من ذرية الحسن والحسين، أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم المهدي، ثم الأئمة فيما بينهما.^{١٣٤}

فهذا الكلام صريح الدلالة على أن الوصية كانت إلى الإمام السجاد عليه السلام بالشكل نفسه الذي كان لأبيه وعمه وجده بالتعيين من الله تعالى. فهو (ع) من الأوصياء الذين اختارهم الله للإمامة وثبتت لهم بالإختيار الإلهي. وإن كان بعض العلماء المعاصرين من فضلاء الزيدية حاول حرف هذا الكلام عن صريح

^{١٣٣} - علي بن عبد الكريم شرف الدين، "الزيدية"، ط عمان، ص ١١٧

^{١٣٤} - السيد الجلالي، "جهاد الإمام السجاد (ع)"، قم، ط ١ سنة ١٤١٣ هـ، ص ٣٦

لفظه، إلى أن سيد السّاجدين علي بن الحسين (ع) من دعاة الأئمة. فبالرغم من عدم وجود قرينة على هذا الحمل، فإنه يقتضي أن يكون "المهدي" أيضاً من دعاة الأئمة، وهو ما لا يلتزم به أحد من الأئمة!

والذي يظهر من تتبع خبراء الملل والنحل أن الزيدية القدماء كانوا يلتزمون بإمامة السّجاد (ع) أمّا المعاصرون فلم يلتزموا بإمامته، بل عدّوه من دعاة الأئمة.

يقول الشهرستاني: فمنهم - الشيعة - من أجرى الإمامة في أولاد الحسن، وذكر من قال بالنص على الحسن والحسين... ومنهم من أجرى الوصية في أولاد الحسين، وقال بعده بإمامة إبنه علي بن الحسين زين العابدين، نصّاً عليه ثم اختلفوا بعده: فقالت الزيدية بإمامة زيد، وأمّا الإمامية فقالوا بإمامة إبنه محمد بن علي الباقر نصّاً عليه.

وقال في الجارودية: فساق بعضهم الإمامة من علي الى الحسن، ثم الى الحسين، ثم الى علي بن الحسين زين العابدين، ثم الى إبنه زيد... وأصرح من هذا النص ما ورد عن القاضي النعمان بن محمد المصري: الزيدية من الشيعة زعموا أن من دعا إلى الله عز وجل من آل محمد فهو إمام مفترض الطاعة. وقالوا: وكان علي إماماً حين دعا الناس إلى نفسه، ثم الحسن والحسين، ثم زين العابدين، ثم زيد بن علي،^{١٣٥} ويظهر إلّزام زيد بإمامة أبيه من الحوار الذي جرى بينه وبين أخيه الإمام الباقر، حول قضية إشتراط الخروج في الإمامة،

^{١٣٥} - القاضي النعمان بن محمد المصري ، ط جماعة المدرسين، بدون تاريخ، ج ٣ ص ٣١٧

حتى قال الإمام الباقر (ع) لزيد: على مقتضى مذهبك، والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج قط، ولا تعرض للخروج.^{١٣٦}

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن زيداً كان ملتزماً بإمامة أبيه السجاد (ع)، وإلا فما معنى كلام الإمام الباقر (ع)؟ فلو لم يكن زيد ملتزماً بإمامة أبيه السجاد (ع) لم يتم إلزامه بما في هذا الحوار.^{١٣٧}

نفي تلمذته على واصل بن عطاء:

ليس من شك في أن زيد بن علي كان عالماً من العلماء الفضلاء، وقد أشاد بفضلته كثيرون من أبناء العامة، قال أبو حنيفة: شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً.^{١٣٨} وقال فيه الإمام الصادق (ع): رحم الله زيداً، إنه كان للعالم الصدوق، ولو ملك أمرنا لعرف أين يضعه.^{١٣٩} وقال عنه الإمام الرضا (ع): إنه كان من علماء آل محمد.^{١٤٠}

ويكفي هذان القولان في حق زيد لنعرف مكانته العلمية عند الأئمة (ع)، ويشهد لذلك ما خلفه من آثار، فقد ترك العديد من المؤلفات، كما سيأتي ذكرها. وهذه المنزلة العلمية لهي من بركات من تتلمذ عليهم من أئمة أهل البيت (ع) حيث بدأ دراسته على أبيه الإمام زين العابدين (ع)، وتخرّج من مدرسة الإمام

^{١٣٦} - الشهرستاني، "الملل والنحل"، ج ١ ص ١٣٩

^{١٣٧} - الجليلي، "جهاد الإمام السجاد (ع)"، ص ٣٨

^{١٣٨} - الخطط المقرئية، ج ٤ ص ٣٠٧

^{١٣٩} - الأمين، "الغدیر" ج ٢ ص ٢٢١، دار الكتب الإسلامية، طهران، و"اختيار معرفة الرجال" للطوسي مؤسسة أهل البيت (ع) قم، ص ٥٧٠

^{١٤٠} - الصدوق، "عيون أخبار الرضا"، منشورات جهان، طهران، ج ١ ص ٢٤٩

الباقر(ع)،^{١٤١} وعلى ذلك لا يُعبأ بقول من قال^{١٤٢} "إن زيدا تتلمذ على واصل بن عطاء، واقتبس العلم منه، فإن زيدا لم يكن معتزلياً ولا أخذ العلم عن واصل، وإنما أخذ العلم من معدنه وينبوعه ومدينته، أخذه عن أبيه الامام زين العابدين وعن أخيه الإمام الباقر(ع)."^{١٤٣}

فإن اتصال زيد بواصل بن عطاء لا يعني أنه كان معتزلياً في آرائه وأفكاره كما يذهب إليه البعض، فإنه من المعلوم عنه انه كان يناظر شيوخ المعتزلة في بعض افكارهم وشطحاتهم، فمجرد النقائه في بعض الافكار لا يعني انه انخرط في صفوفهم، لأن زيدا قد أخذ علومه عن أبيه وأخيه الباقر، وعن أجداده الذين وضعوا أصول الدين وبنوا قواعده قبل ظهور المعتزلة^{١٤٤} يقول الشيخ أبو زهرة: في كتابه "الإمام زيد": إن آراء زيد بن علي قد استمدتها من آراء الإمام علي بن أبي طالب التي ذاعت بين الناس جميعاً. فقد أجمع المؤرخون على أن المدينة المنورة هي معدن العلم ومدينته وليست البصرة حتى يذهب إليها زيد ليتلقى العلوم فيها كما زعموا. قال أبو حنيفة لمن سأله عن تلقى علمه: كنت في معدن العلم ولزمت فقيهاً من فقهاءها وهو يعني الامام جعفر الصادق(ع) حيث لازمه عامين وكان يقول: لولا السنتان لهلك النعمان.^{١٤٥} وأجمع المؤرخون أيضاً على أن واصل بن عطاء قد لازم البيت النبوي الشريف، وكان مولى لآل محمد بن الحنفية ابن الإمام علي(ع)، واخذ العلم عن إبنه عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأخذ منه مسألة المنزلة بين المنزلتين،^{١٤٦} فهل من المعقول بعد ذلك أن يكون

^{١٤١}- ابن سعد في "الطبقات" ج ٥ ص ٢٤٠ .

^{١٤٢}- الشهرستاني، "الملل والنحل"، الجزء الأول ص ١٢٨

^{١٤٣}- شرف الدين، "الزبدية"، ط غمان، ص ٢١

^{١٤٤}- هاشم معروف الحسني، "الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ"، دار الكتب الشعبية بيروت، ص ٤٨٦

^{١٤٥}- محمد أبو زهرة، "الإمام الصادق(ع)"، ص ٣٨

^{١٤٦}- ذهبت المعتزلة إلى ذلك، والمنزلة بين المنزلتين تعني أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وإنما بين منزلتين، وما ينسب إلى زيد "رض"، أنه يذهب إلى ذلك ليس بصحيح.

زيد قد ذهب إلى البصرة ليحصل على علم الفروع والأصول ليتحلى بالعلم كما يقول الشهرستاني؟^{١٤٧} والحال أن مدينة العلم ومجمع الفقهاء، وأمناء الوحي والرسالة في مدينة الرسول، إن ذلك حقاً أمر عجيب.^{١٤٨}

وقد تعرض للمسألة الشيخ محمد أبو زهرة، ورجّح بان زيداً من حيث تقارب سنّه مع واصل بن عطاء، ومن حيث كفايته التي عُرف بها، يتعيّن أن يكون لقاءه مع واصل بن عطاء لقاء مذاكرة لا لقاء تلمذة كما يدعون.^{١٤٩} ولم تقف المسألة عند هذا الحد حتى لأنهم قالوا، وهم يريدون بذلك أن يبرزوا لزيد رأياً يخالف فيه الإمامية في قضية فدك، إن زيداً قال: أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر لحكمت بمثل ما حكم به أبو بكر (رض) في فدك.^{١٥٠}

إطالة على قضية فدك: كانت "فدك" ملكاً لرسول الله(ص)، لأنها مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، ثم قدّمها لابنته الزهراء(ع) نحلة وبقيت عندها حتى توفي أبوها(ص) فانتزعها الخليفة الأول على حدّ تعبير صاحب "الصواعق المحرقة"، وأصبحت من المصادر المالية العامة وموارد ثروة الدولة يومذاك، حتى تولى عمر الخلافة، فدفع فدكاً إلى ورثة رسول الله(ص). وبقيت فدك عند آل محمد(ص) إلى أن تولى الخلافة عثمان بن عفّان فأقطعها مروان بن الحكم على ماقيل. ثم يهمل التاريخ أمر فدك بعد عثمان فلا يصرّح عنها بشيء، ولكن الثابت هو أن أمير المؤمنين علياً انتزعها من مروان على تقدير كونها عنده في خلافة عثمان، كسائر ما نهبه بنو أمية في أيام سلطتهم. وقد ذكر بعض المدافعين عن

١٤٧ - الشهرستاني، الملل والنحل ج ١ ص ١٣٨

١٤٨ - وقد ورد أنه كان ملازماً لآخيه الإمام الباقر (ع) متأدياً متفقها بفقهاء، قرب الإسناد للحميري ص ٣١٧

١٤٩ - هاشم معروف الحسني، "الشبهة بين الأشاعرة والمعتزلة"، دار القلم ط ١، بيروت ١٩٧٨، ص ٧٤

١٥٠ - البيهقي، "السنن الكبرى" دار المعرفة، بيروت، ج ٦ ص ٣٠٢

أبي بكر في مسألة فذك، أن علياً لم يدفعها عن المسلمين، بل اتّبع فيها سيرة أبي بكر، فلو كان يعلم بصواب الزهراء وصحة دعواها ما انتهج ذلك النهج.

ولا أريد أن أفتح في الجواب بحث النقية على مصراعيه وأوجه بها عمل أمير المؤمنين، وإنما أ منع أن يكون أمير المؤمنين (ع) قد سار على طريقة أبي بكر. فإن التاريخ لم يصرّح بشيء من ذلك، بل صرّح بأن أمير المؤمنين كان يرى أن فذكاً لأهل البيت، وقد سجّل هذا الرأي بوضوح في رسالته إلى عثمان بن حنيف: "...بلى كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمته السماء فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين".

فمن الممكن أنه كان يخص ورثة الزهراء وهم أولادها وزوجها بحاصلات فذك، وليس في هذا التخصيص ما يوجب إشاعة الخبر، لأن المال كان عنده وأهله الشرعيون هو وأولاده، كما يحتمل أنه كان ينفق غلاتها في مصالح المسلمين برضى منه ومن أولاده عليهم السلام. بل لعلمهم أوقفوها وجعلوها من الصدقات العامة. وهذا أقرب الاحتمالات، لأن الأول تنفيه رسالة أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف إذ يقول: "وسخت عنها نفوس قوم آخرين"، والثالث يبعده قبول الفاطميين لفذك عندما أعطيت إليهم في فرص متباعدة.

فلما تولّى معاوية بن أبي سفيان الخلافة، أمعن في السخرية وأكثر من الإستخفاف بالحق المهضوم، فأقطع مروان بن الحكم ثلث فذك وعمر بن عثمان ثلثاً آخر ويزيد ابنه الثلث الثالث. وهكذا بقيت بين أخذ ورد في ذلك التاريخ المضطرب الذي لا يستقيم على خط ولا يجمع على قاعدة، وإنما حاكت أكثره الأهواء، وصاغته الشهوات على ما اقتضته المطامع والسياسات الوقتية.

ونحن لسنا مضطرين لعرض الاحتمالات في هذا الشأن مادام الإمام(ع) قال كانت في أيدينا فذك... فإنه على أبسط قواعد الشرع والعرف أن اليد إمارة على الملكية. فضلاً عن أنه من غير الممكن وهو الذي يدور معه الحق حيثما دار * أن يدعي ما ليس بحق. مضافاً إلى مطالبة الزهراء(ع) ومحااجة أبي بكر في ذلك وهي الصديقة المصدقة وهي أجل من أن تطلب ما ليس لها بحق وعدم حاجتها للبيئة، إنما تطلب حقها الطبيعي في الاحتفاظ بنحلته. وعلى فرض عدمها، فميراثها ثابت بنص الكتاب ولا يلغيه مجرد ادعاء والإتيان بحديث لم يروه غير أبي بكر عن النبي: إنا معاشر الأنبياء لا نورث!

إن الهدف الأعلى لفاطمة(ع) هو ليس إثبات النحلة او الميراث، بل القضاء على نتائج السقيفة، وهو لا يحصل بإقامة البيئة في موضوع فذك، بل بأن تقوم البيئة لدى الناس جميعاً على أنهم ظلّوا سواء السبيل، وهذا ما كانت تريد ان تقدمه في خطبتها. وهذا الهدف يزداد وضوحاً في فترة لاحقة، فترة الحكم العباسي عندما طلب هارون الرشيد من الإمام موسى الكاظم(ع) أن يحدد حدود فذك حتى يعيدها إليه فقال(ع): لا أخذها إلاّ بحدودها. وجعل حدودها جميع البقعة الجغرافية التي يسيطر عليها العباسيون. وهذا الهدف كان يدركه ابو بكر، ولذا نراه يقول بعد أن انتهت الزهراء من خطبتها وخرجت من المسجد، حيث صعد المنبر وقال: أيها الناس، ما هذه الرعة الى كل قالة لئن كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله ألا من سمع فليقل. ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيد ذنبه مرب لكل فتنة كأم طحال أحب أهلها إليها البغي...

هذا الكلام يكشف لنا عن جانبٍ من شخصية أبي بكر! ويلقي ضوءً على منازعة الزهراء له، فإنه فهم حق الفهم إن احتجاج الزهراء لم يكن حول الميراث أو النحلة، وإنما كان حرباً سياسية كما نسميها اليوم وتظلماتاً لقربنها العظيم الذي اغتصب حقه في الولاية وأبعد عن المقام الطبيعي له في دنيا الإسلام، فلم يتكلم إلا عن علي فوصفه بأنه ثعاله وأنه مرب لكل فتنة، وأنه كأم طحال وأن فاطمة ذنبه التابع له، ولم يذكر عن الميراث قليلاً أو كثيراً.

ولنلاحظ ما جاءت به الرواية في صحاح السنة من أن علياً والعباس كانا يتنازعا في فذك في أيام عمر بن الخطاب، فكان علي يقول إن رسول الله جعلها في حياته لفاطمة، وكان العباس يأبى ذلك ويقول هي ملك رسول الله وأنا وارثه، ويتخاصمان الى عمر فيأبى أن يحكم بينهما ويقول أنتما أعرف بشأنكما، أما أنا فقد سلمتها إليكما.

نفهم من هذا الحديث إذا كان صحيحاً أن حكم الخليفة كان سياسياً مؤقتاً وأن موقفه كان ضرورة من ضرورات الحكم في تلك الساعة الحرجة، وإلا فلماذا أهمل عمر بن الخطاب رواية أبي بكر وطرحها جانباً وسلم فذكاً الى العباس وعلي؟ وموقفه منهما يدل على انه سلمهما فذكاً على اساس إنها ميراث رسول الله لا على وجه التوكيل، إذ لو كان على هذا الوجه لما صحّ لعلي والعباس أن يتنازعا في أن فذكاً هل هي نحلة من رسول الله لفاطمة أو تركة من تركاته التي يستحقها ورثته. وما أثر هذا النزاع لو فرض انها في رأي الخليفة مال للمسلمين وقد أوكلهما في القيام عليه ولكان عمر فضّل النزاع وعرفهما انه لا يرى فذكاً مالاً موروثاً ولا من أملاك فاطمة، وإنما أوكّل أمرها إليهما لينوبا عنه برعايتهما

وتعاهدهما. كما أن عدم حكمه بها لعلّ وحده معناه انه لم يكن واثقاً بنحلة رسول الله(ص) فدكاً لفاطمة فليس من وجه لتسليمها الى علي والعباس إلاّ الإرث.

إذن، ففي المسألة تقديران أحدهما أن عمر كان يتهم الخليفة بوضع الحديث في نفي الإرث، والآخر أنه تأوّل وفهم منه معنى لا ينفي التوريث. ولكن لم يذكر تأويله ولم يناقش به أبا بكر حينما حدث به. سواء أصحّ هذا أو ذاك، فالجانب السياسي في المسألة ظاهر، وإلاّ فلماذا يتهم عمر سلفه بوضع الحديث إذا لم يكن في ذلك ما يتصل بسياسة الحكم يومئذٍ، ولماذا يخفي تأويله وتفسيره وهو الذي لم يتحرّج عن إبداء مخالفته للنبي أو لأبي بكر فيما اعترضهما من مسائل.

وإذا عرفنا أن الزهراء(ع) نازعت في أمر الميراث بعد استيلاء الحزب الحاكم عليه، لأن الناس لم يعتادوا استئذان الخليفة في قبض مواريتهم، او في تسليم المواريت الى أهلها، فلم تكن في حاجة لمراجعة الخليفة ولم تكن لتأخذ رأيه وهو الظالم المنتزي على الحكم، فالمطالبة بالميراث لا بد أنها كانت صدى لما قام به الخليفة من تأميمه للتركة على ما نقول اليوم والاستيلاء عليها.¹⁵¹

أود أن أذكر طرفاً من خطبة الزهراء(ع) التي سمعها أبو بكر وتناقلها المسلمون وحفظها زيد ووقف على مفاصلها ومعانيها: "...أين زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين...بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من ابي حسن نقموا والله نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتتمره في ذات الله، وتالله لو تكافئوا عن زمام نيذه اليه رسول الله(ص) لاعتقه وسار اليهم سيراً سجاً لا تكلم حشاشه، ولا يتعنّ

151- محمد باقر الصدر، "فك في التاريخ"، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٥٥، ص ٢٠

راكبه، ولأوردتهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح فضفاضه، ولأصدرهم بطاناً قد تحير بهم الرأي غير متحل بطائل الا بغمز الناهل وردعه سورة الساعب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبه وان تعجب فقد أعجبك الحادث الى أي لجأ استنوا وأي عروة تمسكوا لبئس المولى ولبئس العشير، ولبئس للظالمين بدلاً استبدلوا والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ألا إنهم المفسدون ولكن لا يشعرون...". هذا الكلام قالته (ع) في تلك الخطبة العظيمة في المسجد بعد عشرة أيام من وفاة النبي (ص). وهذا فيه دلالة على أهمية الحق المطالب به.

وعلى افتراض صحة الرواية المنقولة في "السنن الكبرى" للبيهقي عن زيد أنه لو كان مكان أبي بكر لفعل مثل ما فعل، لكان ذلك منه تعدياً على حقوق جنته الزهراء (ع) أولاً، وتعدياً على حق جده أمير المؤمنين (ع) تالياً، وذلك لارتباط المسألة بالقضية الكبرى وهي حقه المبتز في الخلافة. وان احتجاجها لم يكن حول الميراث او النحلة إلا المقدار الذي يتصل بموضوع السياسة العليا، وفهم ابو بكر ذلك جيداً وإلا لما كان الرد العنيف منه في المسجد بعد خطبتها (ع) ووصفه للإمام (ع) بأنه ثعالة... وأن فاطمة ذنبه التابع له.

إن الموضوع مرتبط بقضية لها مساس بعقيدة زيد نفسها. فالمسألة عقائدية وليست سياسية حتى تبرر. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية إن موافقة زيد على حكم أبي بكر بشأن فذك ظلم وإيذاء للزهراء (ع) وروايات ذلك مروية بطرق صحيحة ومتعددة في كتب الفريقين في الصحاح كصحيح البخاري ومسلم وغيرها. وكل من فعل ذلك فقد استحق غضب الله ورسوله بإغصابها وآذاها

بإذائها لأنهما يغضببان لغضبها ويسخطان لسخطها بنص الحديث النبوي الصحيح الموافق لقوله تعالى: "وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله..." و"إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً".^{١٥٢}

لقد عاشت الزهراء (ع) صابرة على مكاره الدهر إقتناعاً منها بصدق قضية يلزمها الكثير من التجسيد، ولقد جسدتها كما جسدها أبوها وزوجها بحبل طويل من العزم والإقدام وبسلسلة طويلة من البطولات وبالكثير من التضحيات. ولقد رافق ذلك كله شموخ هو انعكاس تلك المثانة في النفس تتصلب بالشعور بالحق وصدق الوجدان. فقضية "فك" إرثها عن أبيها، بلورت فيها هذا الشموخ بكل أنواعه، وما كانت مطالبتها بالإرث إلا تعبيراً عن هذا الشموخ في ثقته من عنصر الخوف والإستكانة. ولقد قطعت شوطاً بعيداً بهذا الدفاع عن حقها، لا لتصرفه على نفسها وبيتها لذة وترفيهاً - لقد كان يأنف خطها هذا الترفيه - بل لتصرفه في سبيل تمديد القضية، قضيتها وقضية زوجها وأبيها.

المعتزلة:

هم أصحاب واصل بن عطاء المعتزلي، في العصر العباسي، لما اعتزل مجلس الحسن البصري. يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين، فاعتزله، وتبعه جماعة سموا بالمعتزلة. كما يذكر الشهرستاني في ملله. ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية. وهم جعلوا لفظ القدرية مشتركاً، وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازاً عن وصمة اللقب إذا كان الذمّ به متفقاً عليه لقول

¹⁵² - سورة "الأحزاب"، الآيتان ٥٣ و٥٧

النبي(ص): "القدرية مجوس هذه الأمة" وقال(ص): "القدرية خصماء الله في القدر". ومن اعتقادهم القول بأن الله تعالى قديم، ونفوا الصفات القديمة أصلاً واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها.

ويرى الباحث أنيس المقدسي، أن نظريات المعتزلة على اضطراب كثير، تحاول إخضاع النظريات الدينية لحكم العقل، وهي بلا ريب نتيجة منطقية لاحتكاك الفلسفة بالدين. فقد رفضوا أزلية القرآن، وجعلوه مخلوقاً. وكذلك نفوا الصفات الإلهية وهي: العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. وقالوا إن الإنسان مخير لامسير، وهو مسؤول عن أعماله وأنه على اكتسابه يترتب العقاب والثواب كما يذكر ابن خلدون في "المقدمة"(ص ٤٦٤) وفي فلسفة ابن رشد(ص ١٠٥).^{١٥٣}

والخلاصة: إن الاعتزال مبدأ فكري يحاول أن يستتير بالعقل ويخضع كل شيء لأحكامه، لكنه أراد أن يجمع بين العقل والنقل، متمسكاً بكليهما، فلم يوفق تماماً، ولذلك كثر أصداده ومنقذوه.

التشيع والاعتزال:

ليس ثمة شك أن التشيع سبق الاعتزال وتقدم عليه تاريخياً، كما أثبت ذلك المحققون من علمائنا، بل هو مشهور، وتعضده الكثير من الوقائع في حياة الرسول(ص)، وتظهره كلماته(ص).

¹⁵³ - أنيس المقدسي، "امراء الشعر العربي في العصر العباسي"،

وحتى لو رأينا أن نسلم أن أحداث السقيفة لم تكرّس الانقسام بين المسلمين، فمن المؤكد أن خضم الأحداث التي رافقت انتخاب عثمان بن عفان انتهت بتقسيم المسلمين واستقطابهم إلى فريقين يطالب الأول باختيار الإمام علي(ع) فيما يصر الثاني على انتخاب عثمان.

ثم جاءت الأحداث التي تعرض لها المجتمع فيما بعد على عهد معاوية ويزيد لتكون باعثاً على تضامن وانسجام الشيعة وتماسك لحمتهم الداخلية وتبلور كيانه المستقل بشكل كامل. وفي الوقت نفسه نستطيع أن ننظر إلى التوايين وحركة المختار الثقفي بوصفهما اتجاهين شيعيين يتسم وجودهما الداخلي بقدر واضح بين التوافق في الأفكار والأهداف. وبهذا الشكل تكون ولادة التشيع أسبق بكثير من ولادة الاعتزال، أما علاقة اصل وعموم الاعتزال بمسألة التشيع تتمثل بما قيل عن تتلمذ اصل لدى محمد بن الحنفية وحجته لولده أبي هاشم، ويبدو أن منشأ ذلك يعود إلى أبي القاسم البلخي الذي ذكر أن اصل من أهل المدينة وإن محمد بن الحنفية هو الذي رعاه ورباه، ثم ينقل عن بعض السلف انهم حين سئلوا عن علم ابن الحنفية أجابوا: انظروا لأثار علمه في اصل بن عطاء!

إن هذه الحادثة بالذات هي التي أفضت إلى إن ينشؤوا للاعتزال تسلسلا يُتدرّج به من أبي هاشم إلى أبيه ابن الحنفية إلى والده الإمام أمير المؤمنين(ع) ثم يصلوه برسول الله(ص) عن طريق الإمام علي!

إن هذه السلسلة السُنّدية لأصل الاعتزال أضحت مقبولة حتى عند معتزلي متعصب كالقاضي عبد الجبار الذي صرّح بأستاذية ابن الحنفية لواصل بن

عطاء، بيد أن الذي أودى بهذا النسيج التاريخي وأثبت جعليته هو السيد المرتضى الذي ذكر بالتفاعة دقيقة إلى أن محمد بن الحنفية توفي سنة (٨١) بينما ولد واصل بن عطاء سنة (٨٠) فكيف يصح إذن أن يرعى ابن الحنفية واصلًا ويربيه! ^{١٥٤} نعم ما أثبتته السيد المرتضى هو صحبة واصل لأبي هشام بن محمد بن الحنفية. ^{١٥٥}

مؤلفات زيد:

شهد له جلّ علماء عصره بمؤهلاته وكفائته وخلالته وخصاله. وهذه مصنفاته التي ذكرت في الفهارس والتراجم:

- ١- **المجموع:** سمعه منه أبو خالد الواسطي، ورواه عنه. وهو مطبوع بروايته باسم "مسند زيد"، وله شروح كثيرة منها المطبوع باسم "الروض النضير". والمجموع من أجلّ الوثائق التاريخية منذ ابتداء التصنيف والتأليف في أوائل القرن الثاني الهجري.
- ٢- **الإحتجاج في القلة والكثرة:** ذكر ابن صفوان أن لزيد كتاباً في القلة والكثرة كان يستعمله في محاجة خصومه ويلجأ إليه.
- ٣- **الصفوة:** رسالة كلامية صغيرة تبحث عن الإمامة وأحقية أهل البيت عليهم السلام بها، معتمداً على آيات القرآن الكريم في بيان ذلك. طبعها ناجي حسن، بمطبعة الآداب في النجف الأشرف.
- ٤- **قراءة علي عليه السلام:** نسبه الى زيد الشهيد في تأسيس الشيعة. وقد ذكروا أن لزيد الشهيد قراءة خاصة.

^{١٥٤}- رسول جعفريان، "المسار الفكري بين المعتزلة والشيعة"، ترجمة خالد توفيق، دار الصفوة، بيروت ١٤١٣ هـ، ص ٨ - ٩

^{١٥٥}- السيد المرتضى، "الأمالي"، ج ١ ص ١١٤

٥- غريب القرآن: تفسير لمفردات القرآن الكريم، وسمّاه بعض المؤلفين بـ "غرائب معاني القرآن".

قال ناجي حسن: تنسب إلى زيد بن علي بضع عشرة رسالة في موضوعات مختلفة كعلم الكلام والتفسير والفقه والأخبار. وذكر السيد مجد الدين المؤيدي من مؤلفات الإمام زيد غير ما ذكرنا: تفسير القرآن (ولعله تفسير غريب القرآن الذي ذكرناه آنفاً). الإيمان، الرد على المرجئة، الخطب والتوحيد، فضائل أمير المؤمنين، الرسالة في إثبات الوصاية، تفسير الفاتحة، المناظرات، المواعظ والحكم. ونُسب إليه "منسك الحج" لكنه للإمام السجّاد (ع)، رواه عنه كل أبنائه: الإمام محمد الباقر (ع) وزيد الشهيد.

المعتزلة والزيدية:

إذا كان لنا أن نتحدث عن علاقات الشيعة والمعتزلة فعلينا أن نلتمس الحلقة الأقوى في هذه العلاقة بين الزيدية والمعتزلة، هذه العلاقة التي بدأت مطلع القرن الثاني، ثم توالى حلقاتها حتى وصلت منتهاها في القرن الخامس الهجري، حيث رافق مرحلتها الأخيرة اضمحلال الجيل المستقل للمعتزلة، باستثناء أشخاص محدودين، الذين حافظوا على استمرارهم وتواصلهم عبر الشيعة الزيدية.

لا ريب أن هناك من المعتزلة مَنْ أبى الإنصهار في الزيدية، بيد أنهم انتهوا في مقابل الأكثرية التي قبلت عملياً في هذا الاتجاه، لذلك سلّم كاملاً بصحة الرأي القائل أن متأخرة المعتزلة كانوا عرضة للانقراض الكامل إن لم يقبلوا بالتشيع.

وقد تقدم في البحث السابق أن علاقة زيد بواصل، هي التي أرخت للاتصال الأول بين المعتزلة وزيد. ومن جهة ثانية انتهت العلاقة بين الطرفين وبرزت اتجاهين، انتهى الأول، فيما بعد، إلى اتحاد المعتزلة بالزيدية، فيما انجرّ الثاني إلى افتراق الزيدية والإمامية، وعند هذه النقطة بالذات نعود إلى الرواية عن الإمام الصادق (ع)، في مخالفته لأخذ العلم عن واصل، إذ كانت مخالفته للإمام في الواقع منصبّة على ترك معارف أهل البيت (ع) والتأثر في مقابل ذلك بالمخالفين. لقد كان ثمة نظير لهذه المسألة على المستوى الفقهي بين الزيدية والإمامية، فأبو حنيفة اقترب لزيد والزيدية، وغلب فقهه في المقابل على الزيدية، فيما وجدنا حفاظ الشيعة على استقلالهم الفقهي المتكئ على أحاديث الأئمة (ع).

إن أخذ العلم عن واصل بن عطاء على الصعيد النظري، واشتراك المعتزلة في ثورات الزيدية على الصعيد العملي، كانا اتجاهين لإرساء بدايات عدول الزيدية في آرائهم الشيعية عن مواقف الإمامية، واعتمادهم لرؤى أكثر اعتدالا نسبة لأهل السنة، وهذا المنحى كان ضرورياً لاتحاد الطرفين.

إن زيد بن علي لم يكن، وهو في الكوفة، مستعداً لامتنال موقف أهل البيت (ع) في نفي مشروعية الخلافة عن أبي بكر وعمر. ومن الواضح أن مثل هذا الموقف، حتى لو كان تقيّة، ترك أثراً كبيراً على نظرية الزيدية حول الإمامة، ومن الطبيعي أنه لم تكن هناك مشكلات كبيرة في اقتراب المعتزلة من الزيدية على هذا الصعيد، كما هو الحال بالنسبة للزيدية أيضاً.

وفي هذا السياق علينا أن ننتبه أيضاً إلى نقطة أساسية ماثلة في كون الزيدية أهل عمل لا أهل علم، وهذه الصفة وفرت بحد ذاتها فرصة ممتازة

للمعتزلة في أن يتركوا تأثيرهم العلمي الخاص على الزيدية، بينما نجد في المقابل أن مثل هذه الفرصة كانت معدومة في تعامل المعتزلة مع الشيعة؛ ذلك أن همّ الأئمة (ع) الأساسي هو حماية الفكر الأصيل الذي دعاهم إليه جدهم (ص)، وتحصين أتباعهم به، ودفع الشبهات ومواجهة التيارات الفكرية الوافدة، وقد بذلوا (ع) الكثير في هذا السبيل.

إن تاريخ أهل البيت وعلى مدى ثلاثة قرون من الوقوف بوجه النظام الحاكم المنحرف بقي مواجهاً له، وقابله بالمحاولات العديدة للتصفية الجسدية لهم والذي شمل الكثير من الأئمة (ع). وهذا ما زاد من التأثير الطبيعي بسبب السلوك العدائي السلطوي، والتمسك ولو على المستوى النظري والإعتقادي للشيعة، على الرغم من ممارسة النقية على المستوى العملي أو التظاهر بالاعتقاد الموافق لما عليه عامة الناس، في مراحل وفترات زمنية ليست قليلة. وهذا ما أعطى روحية الممانعة وعدم التأثير بالتيارات الجارفة التي اجتاحت المجتمع وأرخت بظلالها الثقيل، فكان من مآثر الأئمة (ع)، خصوصاً الإمام الصادق، التصدي والمواجهة المضنية لتلك الأفكار، وبالتالي صعوبة الاختراق كما حصل مع غيرهم.

بين الإمامية والزيدية:

الإمامية والزيدية فرقتان من المذهب الشيعي، وهما الفرقتان اللتان بقيتا، حيث عرفت العصور فرقاً، انقرضت الآن، ولم يبق منها عين ولا اثر، سوى فرقة الإسماعيلية الموجودة في بعض البلدان كسوريا والهند. وتشكل فرقة الإمامية الثقل الأكبر للشيعة في العالم، والفرقة الزيدية موجودة في عدد من

البلدان، لا سيما في اليمن حيث أكثريتهم، وهم أقرب إلى مذاهب أهل السنة ومبادئهم إلى الشيعة الإمامية ومبادئهم.

وليس لنا من قول فيهم سوى أنهم مذهب مثل بقية المذاهب الإسلامية الأخرى، غير أن الداعي للحديث عنهم أنهم يعتبرون فرقة من فرق المذهب الشيعي، لمتابعتهم ومشايعتهم للإمام علي بن أبي طالب (ع) بحسب الاصطلاح. ويفترقون عن الإمامية الإثني عشرية بتوقفهم عند الإمام الباقر (ع)، فهو ليس من الأئمة عندهم، لأنه لم يخرج ولم يجرّد سيفاً، وكذلك الأمر بالنسبة للإمام السجاد (ع) عند قسم من الزيدية. وعليه فهم ليسوا تابعين لكافة الأئمة الإثني عشر (ع) المعصومين المنصوص عليهم إماماً عن إمام.

لذا كثر الكلام عن المذهب الزيدي، وتفرعت الآراء وهنا كلام للدكتور أحمد صبحي في كتابه "نظرية الإمامة": والمذهب الزيدي هو رد فعل عنيف للتشيع الاثني عشري على صورته أيام الباقر، ولا تقبل الزيدية الإمامة الروحية باعتبارها اتجاهاً سلبياً في حلّ المشاكل السياسية، ولذا اشترطوا الخروج لتصح الإمامة. وأنكرت الزيدية القول بالنص أو الوصية كما أنكرت عقيدة العصمة والقول بالرجعة، وانتظار الإمام الغائب، ويرون أن الإمامة بالاختيار، كما جوّزوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل. وهكذا تبدو عقائد الزيدية في الإمامة محاولة جريئة لتحطيم ذلك الحاجز القوي الذي أرادت الشيعة زمن الباقر أن يقيموه بينهم وبين سائر الفرق الإسلامية، لا سيما أهل السنة.

في هذا الكلام اتهام لا أساس له، وهو بعيد جملة وتفصيلاً عن حقيقة الظروف الموضوعية القاسية التي عاشها أئمة أهل البيت (ع) والتي أقصتهم قهراً

وظلماً عن مناصبهم، فمتى كان لهم إمامة روحية فقط، حتى تنسب لهم السلبية في اتخاذ المواقف وحل المشاكل، إنما يصح هذا فيما لو كان الأمر راجعاً إليهم يختارون ما يشاؤون من الإتجاهات على ضوء ما يقررون ويرون من المصالح، وإن وسمها الآخرون بالسلبية.

ومن جهة ثانية يظهر التجني وعدم الموضوعية، بل وعدم التدقيق في الأوضاع القائمة، التي فرضت على الأئمة وعلى شيعتهم، بالتستر والتخفي والتقية، وعدم المشاركة الفعلية المباشرة في الشأن العام، الأمر الذي دعاهم لاتخاذ تلك التدابير الاحترازية، لأجل أن يوفروا لأنفسهم الأمن والحماية، بل وحقن الدماء. فكم سالت دماء بريئة لا ذنب لها في شيء سوى أنها إما كانت تنتسب إلى هذا البيت، أو لأنها جاهرت بطلب الحق وإرجاعه إلى أهله، ولذلك كان موقف الأئمة (ع) في كثير من الثورات، موقفاً مغايراً لأصحابها، بالخصوص عصر الإمام زين العابدين (ع) والذي وُصِفَ بأنه اتعس عصور الشيعة ولاءً للأئمة، والذي دعا الإمام السجاد (ع) في مثل هذا النوع من الابتعاد عن الأوساط الاجتماعية، وذلك لقلّة الناصر، وابتعدت عنه شيعته خوفاً من الإرهاب والدمار والمراقبة الأمنية الشديدة وبث العيون من قبل الحكام.

ومع هذا كيف يصح القول أن الشيعة وأئمتهم أوجدوا حاجزاً قوياً أقاموه بينهم وبين سائر الفرق الإسلامية لا سيما أهل السنة؟

وللتلليل على عكس هذا، نذكر هذا الخبر من وصية للإمام الصادق (ع) الى زيد الشحام أمره بتبليغها: أقرئ من ترى أنه يطيعني منكم ويأخذ بقولي السلام. أوصيكم بتقوى الله عزّ وجل، والورع في دينكم، والإجتهاد لله، وصدق الحديث،

وإداء الأمانة، وطول السجود، وحُسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله. أتوا الأمانة الى من إنتمنكم عليها برّاً وفاجراً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر باداء الخيط والمخيطة. صلوا عشائهم، واشهدوا جنازهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصديق الحديث، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، ويسرني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان غير ذلك، دخل عليّ بلاؤه وعاره وقيل هذا أدب جعفر. فوالله لاحتثي أبي: أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها: اداهم للأمانة وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه ويقولون: مَنْ مثل فلان؟ إنه أَدَانَاً للأمانة وأصدقنا للحديث.

هكذا كان الإمام(ع) كسائر أئمة أهل البيت(ع) يعلمون الناس ما علمهم رسول الله وما كانوا يقيمون حواجز بين الناس، وهداية الناس كانت مهمتهم ورسالتهم، وإليهم أوكلت مهمة صنع الإنسان الرّسالي. وهذه الوصية نموذج حي تدحض ما سلف من مزاعم.

أعتقد أن الذي يقرأ التاريخ قراءة فاحصة، لا يحتاج إلى بذل جهد كبير في الوقوف على حقيقة الأمر. نعم التحوّلات في الظروف السياسية نشداناً للسلامة، أو طمعاً بالمناصب، أو اجتهداً من أرباب المذاهب الأخرى مع انه لا دليل على رجحان شيء منها، فضلاً عن وجوبها، أدى إلى العدول عن تبني تفاصيل العقيدة الشيعية الإمامية، فكان تعدد الفرق، مع قول النبي(ص) في حقّ أئمة الهدى: فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. لكنها السياسة، وما أدراك ما اقتضت في صدر الإسلام.

الفصل الخامس

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- هل ادّعى زيد الإمامة؟
- نص البيعة
- الروايات الواردة في اعتقاده بالأئمة (ع)
- هل كان زيد مأذوناً؟
- العمل بالنقية

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

"ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف" و"ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" و"آتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر"^{١٥٦}

هذه الآيات الشريفة تصف المؤمنين بهذه الأوصاف، وأن من جملة صفاتهم أنهم إن تمكنوا في الأرض وأعطوا الحرية أنشأوا مجتمعاً صالحاً تقام فيه الصلاة، وتؤتى فيه الزكاة ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، والمراد بهم عامة المؤمنين، بل عامة المسلمين إلى يوم القيامة، وليس المراد توصيف أشخاصهم، بل المجموع من حيث هو مجموع.^{١٥٧}

ولذلك نرى أن الإسلام وضع أهم أحكامه وشرائعه كالحج والجهاد والصلاة والزكاة على أساس الاجتماع، وحافظ على ذلك، وجعل إلى جانب كل ذلك،

156- سورة "أل عمران" الآيتين ١٠٤ و١١٤ وسورة "الحج" الآية ٤١

157- العلامة الطباطبائي، "تفسير الميزان"، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج ١٤ ص ٣٨٦ و ٣٨٧

فريضة الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كي يجعل هدف المجتمع الإسلامي: السعادة الحقيقية، والقرب والمنزلة عند الله تعالى.^{١٥٨}

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفرائض المهمة التي بها تقام سائر الفرائض كما في تعبير هذه الرواية: "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصالحين، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم وألفظوا بألسنتكم وصكوا بها جباهكم، ولا تخافوا في الله لومة لائم فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم" إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم"^{١٥٩} هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين ولا مريدين بالظلم ظفرأ.^{١٦٠}

وقال رسول الله(ص): "لتأمرنَّ بالمعروف ولتتهنَّ عن المنكر أو ليعمكم الله بعذاب". ثم قال: "من رأى منكم منكراً فلينكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه إنه لذلك كاره".^{١٦١} إلى غير ذلك مما يضيق المقام عن ذكره، ونكتفي من ذلك بهذا المقدار.

158- محمد صادق الحسيني الروحاني، "فقه الصادق"، دار الكتاب، ج ١٣ ص ١٩٧

159- سورة "الشورى" آية ٤٢

160- الكليني، "الكافي"، دار الأضواء، بيروت، ج ٥ ص ٥٨

161- المجلسي، "بحار الأنوار"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٩٧ ص ٨٥ ويكفي في أهمية هذه الفريضة ما قاله الإمام في "نهج البلاغة": "وما أعمال البر كلها في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لحي"

قال أبو مخنف لوط بن يحيى: إن زيد بن علي (ع) لما رجع إلى الكوفة أقبلت الشيعة تختلف إليه وغيرهم من المحكّمة يبأيعونته حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان والجزيرة، فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً، إلا أنه كان من ذلك بالبصرة نحو شهرين فخرج بالكوفة سنة إحدى وعشرين ومائة. فلما خفقت الراية على رأسه قال: الحمد لله الذي اكمل لي ديني، والله إنني كنت استحي من رسول الله (ص) أن أرد عليه الحوض غداً ولم أمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر.^{١٦٢}

والظاهر من هذه الرواية إن زيدا أتى أهل الكوفة، لأن أهل الكوفة دعوا زيدا، والرواية التي ذكرت^{١٦٣} سؤال الإمام الباقر (ع) لزيد أن هذه الكتب ابتداءً من القوم وإجابة زيد لسؤال الإمام (ع) بأن الكتب ابتداءً منهم، لم تثبت صحتها.

وعليه فرواية الإمام أبي مخنف تصرّح بأن زيدا قد أتى إلى الكوفة بعد أن أشخص إلى الشام لمقابلة هشام بن عبد الملك بسبب دعوى المال عليه، وبعد ذلك مكث زيد في الكوفة، وبدأ الاستعداد للخروج عليه.

وذكر الطبري أن هشام كتب إلى يوسف أن أشخص زيدا إلى بلده، أي إلى المدينة، فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعو أهله إلاّ أجابوه فلما كان بالثعلبية أو القادسية لحقه أهل الكوفة فردوه وبأيعوه.

^{١٦٢} - أبو نصر البخاري، "سر السلسلة العلوية" ص ٥٨

^{١٦٣} - ما رواه الشيخ الكليني في "الكافي" ج ١ ص ٤١٧

ومهما يكن، فإن الغرض من خروج زيد لمجاهدة حكام الجور كان لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يظهر من الحادثة التي شهدها زيد عند هشام بن عبد الملك والنبى(ص) يُسب عنده فلم ينكر ذلك ولم يغيره^{١٦٤} فقال كلمته عندئذ: لو لم يكن إلا أنا وابني يحيى لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى.^{١٦٥}

وقد روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال لأصحابه عند ملاقة أهل الشام: أيها المؤمنون، إنه من رأى عدواناً يُعمل به، ومنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق، و نور في قلبه اليقين.^{١٦٦}

ودلالة صحيحة العيص بن القاسم على جواز الخروج بالسيف عند ملازمة الظروف واضحة جداً، وطبيعي أن جواز الخروج هذا مشروط بما إذا كان الخارج يدعو لغيره لا لنفسه، بل ليسلم الأمر الى أهله كما كان زيد يريد ان يفعل ذلك، فلذا استثناه الإمام(ع) بقوله "ولا تقولوا خرج زيد فإن زيدا كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد(ص)، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه". وسيأتي بيان مشروعية خروج زيد وجهاده لأعداء الدين عما قريب إن شاء الله تعالى. غير أن هذا الكلام ليس بتمام. صحيح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يحتاج إلى إذن، كونه فريضة كباقي الفرائض، إلا أنه إذا استلزم الجراح وإزهاق النفوس يحتاج الى إذن الولي حتى

164 - الاربلي، "كشف الغمة"، ج ٢ ص ٣٥٢

165 - البلاذري، "أنساب الأشراف"، تحقيق المحمودي ج ٣ ص ٢٢٧

166 - الحر العاملي، "الوسائل"، ج ١١ باب ٣ من أبواب الأمر والنهي حديث ٨ وفي نهج البلاغة

وإن كان الخارج لم يدع لنفسه. بدهاء انه من الامور الخطيرة ربما يترتب عليه مفسدة أعظم من المصلحة المقصودة. وكونه لا ينحصر في النطاق الفردي، بل يندرج في الدائرة العامة على مستوى المجتمع كما هو واضح.

هل ادعى زيد الإمامة؟

هناك فرق بين الإمامة التي هي منصب إلهي خطير لا يمكن لأي كان من الناس القيام به وبين الجهاد والثورة. ذلك لأن أمر الإمامة مسؤولية عظيمة تلي النبوة وتتولى شؤونها. والله سبحانه وتعالى لم يترك هذا الأمر، ولم يوكله إلى الناس ليحدوا من هو الإمام، بل هو تعالى يختار من فيه الأهلية لتحمل هذه المسؤولية الخطيرة. فكان اختياره لأئمة أهل البيت (ع) معدن العلم وأرباب الرسالة ليكونوا المبلغين عن النبي (ص) أحكام الله، ويتولوا شؤون الإمامة في كل مجالات الحياة. أما الجهاد فهو فرع من فروع الدين، وكذلك الثورة على الظالمين أيضاً فرع من فروع الدين جوهرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يتولاه من له أهلية القيام به، فقد روى مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (ع): "قال: سمعته يقول وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوجب على الأمة جميعاً؟ فقال: لا، فقليل له: ولم؟ قال: إنما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أيّ من أيّ يقول من الحق إلى الباطل".^{١٦٧} فاشتراط القدرة على القيام ومعرفة شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي من الشروط العامة التي ينبغي توفرها في سائر التكاليف وكان يعلمها زيد بلا شك، وهو يعلم أن شروط القيام متوفرة فيه.

^{١٦٧} - الحر العاملي، "الوسائل" الباب ٣ من أبواب اشتراط الوجوب بالعلم بالمعروف ج ١ .

إن زيد بن علي (ع) لم يدّع الإمامة بمعنى الدعوة لنفسه، وإنما خرج مجاهداً في سبيل الله، وكيف يدّعي الإمامة لأجل غرض دنيوي من يعلم أن المصير هو القتل والصلب؟!^{١٦٨}

قال الشيخ المفيد (قده): واعتقد فيه كثير من الشيعة الإمامة، وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمد (ص) فظنوه يريد بذلك نفسه، ولم يكن يريد بها لمعرفته (ع) باستحقاق أخيه للإمامة من قبله، ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله (ع).^{١٦٨}

وينبغي لنا ملاحظة نص البيعة التي بايع الناس عليها لنرى هل يوجد فيه ما يدل على ادّعاء الإمامة لنفسه أو لا؟ والنص كان بالشكل التالي: إنا ندعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفء بين أهله بالسواء، ورد الظالمين، وإفقال المجرم، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا، أتبايعون على ذلك؟ فإذا قالوا نعم وضع يده في يده ثم قال: اللهم أشهد.^{١٦٩}

وهذا النص كما تراه لم يظهر فيه ما يشعر بهذه الدعوى لا من قريب ولا من بعيد، طبعاً مع ملاحظة الأخبار التي ذكرناها مراراً، وهي صحيحة الإسناد تؤكد عدم الدعوة لنفسه.

^{١٦٨} - المفيد، "الإرشاد"، مؤسسة أهل البيت (ع)، ج ٢ ص ١٧٢. ولعل مراد الشيخ (قده) من الشيعة الذين اعتنوا الإمامة في زيد هم الزيدية.

^{١٦٩} - الطبري، "تاريخ الأمم والملوك"، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ج ٥ ص ٤٩٢.

وهناك نص آخر على ما وجدناه في إحدى رسائله ما هذا نصه: فإن أتم الله لنا ولكم ما نرجوه، كان أحق لهذا الأمر أن يتولى أمركم الموثوق عند المسلمين بدينه، وفهمه، وبأبيه، وعلمه بكتاب الله وسنن الحق من أهل بيت نبيكم، فإن اختاروا آل محمد وعترته أتبعه، وكنت معهم على ما اجتمعوا إليه، وإن عرفوا إلى إقدامهم بذلك استعنت بالله ورجوت توفيقه.^{١٧٠}

وهذه الرسالة أوضح من النص السابق بالنسبة لدعوى الإمامة فإنها تنص على نصره أهل البيت (ع). وإنه إن كتب الله عز وجل النصر والظفر، فعلى الأمة حينذاك أن تبحث عن تجميع فيه هذه المواصفات.

وعدم تسمية شخص الإمام الصادق (ع) صريحاً هنا، وإن كان يعبر عنه بالكناية في أماكن أخرى أيضاً، لعله لوجهين:

الأول: إنه أراد بعدم التصريح باسم الإمام (ع) في نص البيعة، أن يجذب إليه ويساعده كل من كان مخالفاً للحكومة الفاسدة الجائرة، من أي فرقة من فرق المسلمين كان، ولذا نجد قد أعانه حتى بعض من لم يكن من الموالين لأهل البيت (ع). فقد حكى أن أبا حنيفة، على سبيل المثال، قد أعانه بثلاثين ألف درهم ليتقوى بها في ثورته، وذلك لأن بطش الأمويين وظلمهم كان قد عمّ عامة الناس ما خلا حفنة كانت من ألامهم وأعوانهم، والمتزلفين في بلاطاتهم ممن باعوا دينهم بثمن بخس. لذا كان العلماء يعتبرون نهضة زيد على الطغيان الأموي نهضة أهل العلم، ووجدوا فيها متنفساً للخلاص من الكابوس الجاثم على رقابهم، حتى أن بعض المؤرخين يذكر أن الذين قاتلوا مع زيد كانوا من القراء والفقهاء، وقد قال أبو حنيفة واصفاً خروج زيد: ضاها خروجه رسول الله (ص) يوم بدر،

^{١٧٠} - فرات الكوفي، "تفسير فرات الكوفي"، المطبعة الحيدرية، النجف، الأشرف، ص ١٤٢

وقال: لو علمت أن الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه لجاهدت معه، لأنه إمام حق، ولكن أعينته بمالي؛ فبعث إليه بعشرة آلاف درهم، وقال للرسول أبسط عذري له، وأرسل معه، وهو أحد الفقهاء الذين خرجوا مع زيد، رسالة أرسلها إليه وقال له: قل لزيد لك عندي معونة وقوة على جهاد عدوك، فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح.^{١٧١} ويروى أن الإمام الصادق (ع) قال حينذاك: رحم الله أبا حنيفة لقد تحققت موثته لنا في نصرته.^{١٧٢}

الوجه الثاني: أنه أراد أن يُبقي الإمام الصادق (ع) في مأمن محفوظاً من خطر الأمويين فيما لو لم يتحقق ظفر، ليبقى ركناً وأساساً للحق، يجدد بناء الإسلام ببيان معارفه وفبوضاته وأخلاقياته وأحكامه، بعد أن أخفتها حجب التأويلات والتحريفات واستار الجهل والكتمان، وحفظه (ع) كان من أهم الفرائض كما لا يخفى على من اطلع على علومه (ع) في شتى الموضوعات^{١٧٣} وفي مختلف ميادين العلم والمعرفة، فكان (ع) محط آمال الأمة ومعقد أمانيتها، وهو الشخصية التي بلغت بمواهبها وسمو معناها إلى أرفع درجات الكمال، وأعلى نروة الفضل ولم تكن منزلته في المجتمع يعلوها الخفاء أو يحوطها شيء من الغموض. فكانت مدرسته (ع) مصدراً للعلم وينبوعاً يفيض على الأمة بالعلوم والمعارف الإسلامية، وما تحتاجه الأمة من التعاليم التي تجسد المسؤولية فيما تفرضه من تبني الأهداف النبيلة والسعي لتحقيقها، وهي مما لا شك تمثل قيمة كبرى للإنسان.

¹⁷¹ - محمد أبو زهرة، "الإمام زيد" ص ٧١

¹⁷² - أبو الفرج الأصفهاني، "مقاتل الطالبين" ص ١٤٦

¹⁷³ - المنتظري، "ولاية الفقيه"، ج ١ ص ٢٠٧

وبعد ذلك نأتي على ذكر الأحاديث التي تبرئ ساحة زيد من دعوى الإمامة، وإليك طرفاً منها:

١- ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن ابن عبدون عن أبيه قال: لما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون وكان قد خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العباس - وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا (ع) وقال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل فقد خرج قبله زيد بن علي فقتل، ولولا مكانك مني لقتلته، فليس ما أتاه بصغير، فقال الرضا (ع): يا أمير المؤمنين، لا تقس أخياً زيدا إلى زيد بن علي (ع) فإنه كان من علماء آل محمد (ص) غضب الله عز وجل، فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر (ع) أنه سمع أباه جعفر بن محمد (ع) يقول: رحم الله عمي زيدا، إنه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعى إليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم، إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، فلما ولي قال جعفر بن محمد (ع): ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه، فقال المأمون: يا أبا الحسن، أليس قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فقال الرضا (ع): إن زيد بن علي (ع) لم يدع ما ليس له بحق وإنه كان أتقى الناس، إنه قال أدعوكم إلى الرضا من آل محمد. وإنما جاء ما جاء فيمن يدعي أن الله نص عليه، ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم! وكان زيد والله ممن خطب بهذه الآية: **"وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم"**^{١٧٤}

٢- وروى صاحب كفاية الأثر بإسناده عن محمد بن مسلم قال: دخلت على زيد بن علي (ع) فقلت: إن قوماً يزعمون أنك صاحب هذا الأمر، قال: لا، لكني من العترة، قلت: فمن يلي هذا الأمر بعدكم؟ قال: سبعة من الخلفاء والمهدي

¹⁷⁴ - الصدوق، "عيون أخبار الرضا (ع)"، انتشارات جهان، طهران، ج ١ ص ٢٤٨

منهم، قال ثم دخلت على الباقر(ع) فأخبرته بذلك فقال: صدق أخي زيد، سيلي هذا الأمر بعدي سبعة من الأوصياء والمهدي منهم، ثم بكى، وقال: كأني به قد صلب في الكناسة، يا بن مسلم، حدثني أبي عن أبيه الحسين (ع) قال: وضع رسول الله (ص) يده على كتفي وقال: يا حسين، يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يقتل مظلوماً، وإذا كان يوم القيامة حشر وأصحابه إلى الجنة.^{١٧٥}

٣- وروي أيضاً عن عبد الله بن العلا قال: قلت لزيد: أنت صاحب الأمر؟ قال: لا، ولكنني من العترة، قلت: فإلى من تأمرنا؟ قال: عليك بصاحب الشعر وأشار إلى الصادق(ع).^{١٧٦}

٤- وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن أبي سعيد المكاربي قال: كنا عند أبي عبد الله(ع)، فذكر زيد ومن خرج معه فهم بعض أصحاب المجلس أن يتناولوه، فانتهره أبو عبد الله(ع) وقال: مهلاً، ليس لكم أن تدخلوا فيما بيننا إلا بسبيل خير، إنه لم تمت نفس منا إلا وتركه السعادة قبل أن تخرج نفسه ولو بفواق ناقة.^{١٧٧} ولأجل كل ذلك كان تنزيه زيد عن طلب ما ليس له بحق، فإنه لو استقر أمره، وكان النصر حليفه، لسلم الأمر إلى أهله ومستحقه، وذلك بشهادة الامام(ع): "إنما دعا للرضا من آل محمد(ص) ولو ظفر لوفى."

٥- وذكر الشيخ محمد الحسين المظفري في كتابه "الإمام الصادق" ما نصه: زيد عليه السلام ما ادعى الإمامة لنفسه، بل ادعاهم الناس له، وما دعاه للنهضة إلا نصرة الحق، ودحض الباطل، وزيد أجل شأناً من أن يطلب ما ليس له، ولو ظفر لعرف أين يضعها.

١٧٥ - المجلسي، مرآة العقول، ج ٤ ص ١١٩.

١٧٦ - المصدر نفسه ص ١١٩.

١٧٧ - المصدر السابق ص ١٢١.

وقد نسبت بعض الأحاديث ادعاء زيد الإمامة لنفسه، ولكن الوجه فيه جلي، لأن الإمام الصادق (ع) كان يخشى سطوة بني أمية ولا يأمن من أن ينسبوا إليه خروج زيد، وأن قيامه بأمر منه، فيؤخذ هو وشيعته.^{١٧٨}

وقال الشيخ محمد أبو زهرة في هذا المجال: أن الإمامية ينكرون أن يكون قد ادعى الإمامة لنفسه، ويتخذون من الثناء دليلاً على أنه ما ادعى الخلافة لنفسه، وقد يتخذ المخالف - أي الذي يقول بأن زيد ادعى الإمامة - من الثناء عليه، والبقاء لمقتله دليلاً على أنه كان يدعو إلى نفسه، وإن الإمام أبا عبد الله يوافقه على دعوته. فيريد الشيخ أبو زهرة النقض على من ينفي دعوى الإمامة عن زيد، بأنه يمكن أن يكون الثناء نفسه والترحم والبقاء على زيد، داعماً لزيد ومؤكداً على طلبه للإمامة. وبعبارة أخرى انه يريد القول أن ما قالته الإمامية يصلح أن يكون دليلاً على النقيض، فما جعلتموه من البكاء على زيد والثناء عليه، دليلاً على عدم ادعائه الإمامة لنفسه يمكن أن يتخذ دليلاً على العكس، فكأنه قد فرغ من تثبيت هذه الدعوى وصحة نسبتها إلى زيد ويزعم أن السياق التاريخي مما يساعد على ذلك، مع أن ذلك أول الكلام.

فإن ما يظهر من ذكر هذه الدعوى في المصادر التاريخية أنه لا يمكننا التعويل عليها لأسباب كثيرة منها: أن التاريخ كتب بأيدي غير أمينة، مضافاً إلى ما ثبت لدينا من الروايات من دحض هذه الدعوى مما عزز موقعية زيد كرجل مأمون في دينه وموثوق في كل ما كان يقوم به. وما ورد من أخبار يظهر منها ذلك فهو محمول على عكس الظاهر على الأقل لأجل انها معارضة بأخبار صحيحة السند.

١٧٨- أبو زهرة، "الإمام زيد"، ص ٥٥٤ و ٥٥٥

أمّا قوله، أي الشيخ أبو زهرة: "إن المخالف قد يتخذ من الثناء عليه والبكاء لمقتله دليلاً على أنه كان يدعو لنفسه، وإن الإمام أبا عبد الله يوافقه على دعوته".^{١٧٩} فانه وإن أمكن أن يقول به المخالف، والمقصود من المخالف هنا، المخالف لما تقوله الشيعة من براءة زيد من دعوى الإمامة، زیدياً أم غير زیدي كالشيخ أبي زهرة ومن يرتأي رأيه. إلا أننا كشيعه لا يمكننا الإلتزام بهذا النقض، للأسباب التي ذكرناها مراراً.

تمكن الزيدية -ونخصهم بالذكر باعتبار أن هذه القضية ترتبط بهم بشكل مباشر- من اتخاذ الثناء والبكاء على زيد دليلاً على أنه كان يدعو لنفسه وإن الإمام أبا عبد الله (ع) وافقه على دعوته، حيث أن الزيدية لا تقول بان الإمامة تكون بالوصاية، فكل من خرج شاهراً سيفه وكان من البطن الحسني أو الحسيني، فقد تحققت فيه شرائط الإمامة فإن هذا ما تفهمه الزيدية من الإمامة، بيد أننا نعتقد بأن الإمامة لا تتحقق بشروط كهذه، ذلك لأنها منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، فكذلك يختار للقيام بالوظائف التي كان على النبي (ص) أن يقوم بها، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي (ص)، وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي، فالنبي (ص) مبلّغ عن الله، والإمام مبلّغ عن النبي، والإمامة متسلسلة في اثني عشر، كل سابق ينص على اللاحق، وهو معصوم عن الخطأ والخطيئة وعن كل عيب، وإلا لزالَت الثقة به، فهذه هي الإمامة ومواصفاتها^{١٧٩} كلها كانت متحققة في الأئمة الاثني عشر (ع) الخلفاء الحقيقيين للنبي (ص) دون غيرهم من الأمة بأجمعها. وحسبك دليلاً على ذلك، أنه ما استطاع أحد من الأئمة في كل عصورهم أن يستغني عنهم في أي شيء حتى أن خصومهم على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم وتوجهاتهم السياسية، لم

¹⁷⁹ - جعفر كاشف الغطاء (قده)، "أصل الشيعة وأصولها"، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، ص ٢١٢

يستطيعوا أن يثبتوا عليهم زلة أو منقصة اجتماعية في طول مدة أعمارهم الشريفة.

وعليه فإن موافقة الإمام(ع) لزيد في دعوته أي دعوى الإمامة حسب ما هو مزعوم، تعني أن يتخلى الإمام(ع) عن حقه في إمامته^{١٨٠} ومنصبه الإلهي، وهو غير ممكن، حتى أن الإمام(ع) نفسه لا يتمكن من ذلك وما قيل من أن الإمام الحسن(ع) في صلحه مع معاوية أنه تنازل عن حقه في الخلافة، غير دقيق. فإن الظروف الخطيرة هي التي ألجأت الإمام(ع) لفعل ذلك وإلا فهو إمام قام أو قعد.

هذا هو المفهوم من عبارة "يوافقه في دعوته" أي دعوى الإمامة كما يفهمها الزيديون، حيث أن الإمام الصادق(ع) لم يخرج فلا تنطبق عليه شروط الإمامة في نظرهم.

أمّا ما نفهمه من هذا كله: أن موافقته(ع) لزيد في دعوته لجهاد الظالمين وقتال من هتك حرمة الدين، هو المقصود من ذلك، ولا يلائم مقام الإمام غير ذلك، لذا قال(ع): رحم الله عمي زيدا خرج على ما خرج عليه آباؤه، ووددت إنني استطعت أن أصنع كما صنع فأكن مثل عمي. ومن قتل مع زيد بن علي كمن قتل مع الحسين بن علي عليهما السلام. وقال أيضا: لو كان لي شيعة بعدد هؤلاء الجداء، ما وسعني القعود.^{١٨١} إلى غير ذلك مما أباح به الإمام(ع) لبعض خواصه، في دعم هذا المطلب بشكل علني. وإن كان ضمن نطاق محدود.

^{١٨٠} - قال الإمام أبو عبد الله الصادق(ع): أترون الأمر إلينا، أي الإمامة نضعها حيث نشاء؟ كلا والله إنه لعهد معهود من رسول الله(ص) إلى رجل فرجل، حتى ينتهي إلى صاحبه، "بحار الأنوار"، ج ٢٣ ص ٧٠

^{١٨١} - الخوارزمي، "مقتل الإمام الحسين(ع)"، ج ٢ ص ١٢٠

فحيث كانت الأنظار متجهة إليه وهو المبرز من أهل البيت (ع) طلب منه قواد الثورة أن يبايعوه لأهليته للخلافة ولتقة الجميع به، ولكنه امتنع عن ذلك لما يراه من وراء سير الحوادث برؤيته البعيدة المدى، وإنها مغامرة لعدم تأتي الظروف المناسبة، ولأجل ذلك لم يجب.

وقد ذكر الشيخ أبو زهرة أن على الإمامية أن تبطل المبدأ المنسوب الى زيد وهو أن الإمام يجب أن يخرج داعياً لنفسه، فإن أنكروا ذلك كان من السهل نفي طلب الإمامة واعتباره داعياً للمرضي من آل محمد (ص) ^{١٨٢}.

نعم إن الإمامية تتكرر أصل هذا المطلب، ولا خلاف عندهم في ذلك أصلاً، ونسبة هذا المبدأ لزيد لم يثبت عندهم بالدليل الوافي، وعلى الأقل غير الواضح نتيجة الإعتبارات التي ذكرناها غير مرة، وفحواها عدم الإكتفاء بالتمسك بالظاهر دون اقتفاء ما خلف المنطوق، والذي غالباً ما يخالف واقع الأمر كما علمتنا ذلك الكثير من الأحداث والوقائع، والتي كانت تخضع لما ترتأيه السلطات عادة. وإلا فليس مرادنا براءة زيد من دعوى الإمامة بأي ثمن كان ما لم يساعده الدليل ولو بمعونة القرائن والشواهد. مضافاً الى أن ثبوته يلزم منه إنكار إمامة أبيه الإمام السجاد (ع) لأن الإمام السجاد (ع) لم يدع لنفسه شاهراً سيفه، وسيأتي ما يبطل ذلك عند تعرضنا للروايات التي يصرح فيها زيد باعتقاده بالأئمة الاثني عشر (ع).

١٨٢- أبو زهرة، "الإمام زيد"، ص ٥٣.

الروايات الواردة في اعتقاده بالأئمة (ع):

عن سورة بن كليب قال: قال لي زيد بن علي (ع): يا سورة، كيف علمتم إن صاحبكم على ما تذكرون؟ قال: فقلت: على الخير سقطت قال، فقال: هات، فقلت له: كنا نأتي أخاك محمد بن علي (ع) فسأله فيقول: قال رسول الله (ص) وقال الله جلّ وعزّ في كتابه، حتى مضى أخوك فأثيناكم آل محمد وأنت فيمن أثينا، فتخبرونا ببعض، ولا تخبرونا بكلّ الذي نسألكم عنه، حتى أثينا ابن أخيك جعفرأ فقال لنا كما قال أبوه: قال رسول الله (ص) وقال تعالى، فتبسم وقال: أما والله إن قلت هذا، فإنّ كتب علي صلوات الله عليه عنده.^{١٨٣}

وتقريب الاستدلال بها في المقام على اعتراف زيد بإمامة الصادق (ع): أن كتب علي (ع) كانت تنتقل بين الأئمة (ع) من الإمام إلى الإمام الذي يليه، ولا تكون هذه الكتب إلّا عند الأئمة (ع) حيث هي من خصائصهم، وهذه الكتب عبارة عن "كل ما يحتاج إليه ابن آدم منذ يوم خلق آدم إلى أن تقضى الدنيا".^{١٨٤}

وهذا يعني أن زيدا يقول بإمامة الإمام الصادق صلوات الله عليه. لقوله إن هذه الكتب كانت عنده، وكان ذلك أمر معروف عند أهل البيت (ع)، وحتى عند الناس، فكيف يخفى على زيد أمر كهذا.

ذكر أبو القاسم علي بن محمد الخزاز في "كفاية الأثر" عن يحيى بن زيد قال: سألت أبي عن الأئمة (ع) فقال: الأئمة اثنا عشر، أربعة من الماضين وثمانية من الباقيين. قلت: فسمهم يا أبا فقال: أما الماضون فعلي بن أبي طالب، والحسن،

¹⁸³ - المجلسي، "بحار الأنوار"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤٧ ص ٣٦

¹⁸⁴ - الصغار، "بصائر الدرجات"، مكتبة السيد المرعشي، سنة ١٤٠٤ ص ١٦٣

والحسين، وعلي بن الحسين، وأما الباقر فأخي الباقر، وجعفر الصادق ابنه،
وبعده موسى ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده محمد ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده
الحسن ابنه، وبعده المهدي. فقلت يا أبة أأست منهم؟ قال: لا ولكني من العترة.
قلت: فمن أين عرفت أساميهم؟ قال: عهد معهود، عهد إلينا رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلّم.^{١٨٥}

وبهذا النص الصريح بأسماء الأئمة (ع) يتبين حال زيد في اعتقاده بالأئمة
الهداة من آل محمد (ص).

أمّا ما ورد في كتاب منسوب لزيد، المسمى بـ "الوصية والإمامة" فقد جاء
فيه: فإن قالوا: فمن أولى الناس بعد الحسن؟ فقالوا: الحسين. فإن قالوا: فمن أولى
الناس بعد الحسين؟ فقولوا: آل محمد (ص) ذرية يخلف أولادهما أفضلهما أعلمهم
بالدين الداعي إلى كتاب الله، الشاهر سيفه في سبيل الله.^{١٨٦} فإن هذا الكتاب
ضعيف السند، حيث يوجد في سلسلة روايته ثلاثة رجال مجاهل. ويلاحظ فيه عدم
ذكر اسم أبيه الإمام زين العابدين (ع) وذلك مما يخالف الرواية السابقة، ويتنافى
مع ما أثر عن زيد من اعتقاده بإمامة السجاد (ع).

ويشكل الأمر أيضاً من جانب آخر، وهو أن الروايات الواردة إلينا
والمنسوبة إلى زيد في أنه يشترط في الإمام كي يكون مفترض الطاعة، أن
يستولي على الحكم، ويشهر سيفه، وعليه وبناء على ذلك لا يكون الإمام أمير
المؤمنين (ع) قبل تسلمه الحكم إماماً مفترض الطاعة وكذلك الإمام الحسن (ع)،

^{١٨٥} - أبو القاسم علي بن محمد الخزاز، "كفاية الأثر"، مطبعة الخيام، قم، ص ٣٠٠
^{١٨٦} - الدكتور حسن محمد تقي الحكيم، "الوصية والإمامة"، دار الزهراء، بيروت، ص ١٧٥

وهذا ما ينافي ما ورد في هذا الكتاب بعد أن تضمّن هذا الاشتراط. ولكن هذا الإشكال ضعيف يمكن رده، لأنهم لا يريدون استمرار قيامه بالثورة وشهر السيف بل أن يكون من شأنه ذلك فيتربص الظرف المناسب للقيام بثورته مثلما فعل زيد.

فتبين لك التضارب والتنافي فيما ذكروه عن زيد في مسألة اعتقاده بالأئمة (ع) . وعليه فتكون النسبة غير صحيحة لهذه الأسباب، على الأقل الإختلاف الموجود في الأخبار، يوحي بعدم الإطمئنان أو في أسوأ الأحوال التوقف في حاله وإن كان ذلك يخالف الغاية من عقد هذا البحث. فضلاً عما ثبت من رأيه بالأئمة (ع) بإجماع الفرقة من الشيعة الإمامية على أن زيدا كان إمامياً إثني عشرياً.

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن عمرو بن خالد قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب (ع): في كل زمان رجل من أهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد (ع)، لا يضل من تبعه، ولا يهتدي من خالفه.^{١٨٧}

وروى الشيخ النجاشي بإسناده عن عمار السباطي قال: قال سليمان ابن خالد الهلالي: وخرج زيد بن علي حين خرج، فقال رجل ونحن وقوف في ناحية، وزيد واقف في ناحية: ما تقول في زيد، أهو خير أم جعفر؟^{١٨٨} فقال سليمان: قلت ليوم من جعفر خير من زيد أيام الدنيا. قال: فحرك دابته وأتى زيدا وقص عليه القصة قال: فمضيت نحوه وإذ هو يقول: جعفر إمامنا في الحلال والحرام.

^{١٨٧} - الإصبهاني، "رياض العلماء"، مطبعة الخيام، قم، ج ٢ ص ٣٣٥

^{١٨٨} - المصدر نفسه.

هل كان زيد مأذوناً؟

قبل البدء بالحديث عن سبب إخفاق نهضة زيد، وعن نتائجها، نتعرض لهذه النقطة المهمة من هذا البحث، وهي مسألة الإذن، وذلك لما تعطيه من قيمة، وتضفي الشرعية على قيامه وجهاده وصواب خروجه، حيث إنه بدون ذلك يكون عمله وما قام به خروجاً عن طاعة من تجب طاعته من الأئمة الهداة المعصومين (ع) التي فرضت في الكتاب الكريم من الله رب العالمين، وبالتالي لا يكون أي قيمة لنهضته من دون ذلك. وهذا ما قد يثير جدلاً أو أنه أثار جدلاً ما بسبب عدم وجود نصوص صريحة في الإذن، وإن السبب في عدم صراحة هذه النصوص، الظروف الحرجة التي كانت تحيط بالإمام المعصوم (ع) والتي أدت بالتالي إلى عدم التصريح بالإذن، حيث أن للتقية مجال كبير في ظروف كهذه قد تضطر الإمام إلى عدم التصريح فيه، وفي هذا المجال نأتي لنستعرض النصوص والأقوال لنرى أنه هل يمكن الاستفادة الإذن منها في الخروج أو لا؟

الرواية الأولى: وهي صحيحة العيص بن القاسم عن أبي عبد الله (ع) "...إن أتاكم آتٍ منا فانظروا على أي شيء تخرجون، ولا تقولوا خرج زيد، فإن زيدا كان عالماً، وكان صدوقاً لم يدعكم إلى نفسه، وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد (ص)".^{١٨٩} وقد يقال بعدم وجود دلالة صريحة تامة في الإذن، لكنه على الأقل يستفاد منها الرضا في الخروج، وذلك بقرينة التعليل، وبمقام الاستثناء عن الخروج المنهى عنه، حيث إن الرواية في صدد بيان النهي عن الخروج قبل قيام القائم (ع).

¹⁸⁹ - الحر العاملي، "وسائل الشيعة"، ج ١١ ص ٣٥ الباب ١٢ من أبواب حكم الخروج بالسيف قبل قيام القائم (عج).

ويستفاد من هذه الرواية أيضاً جواز الخروج بالسيف عند ملازمة الظروف لذلك، فيما إذا كان الخارج يدعو إلى الحكومة الإسلامية الصحيحة الشرعية، ويسلم الأمر إلى من ينبغي تسليم الأمر إليه كما كان مراد زيد كما تصرّح الرواية: "لو ظفر لوفى بما دعاكم إليه". إذن الرواية تدل على صحة عمل زيد.

ويوجد في المقام بيان آخر مفاده: إن الصحيحة لا تدلّ على عدم وجوب الدفاع وعدم جواز الخروج، بل تدلّ على أن الداعي إلى الخروج قد تكون دعوته باطلة، بأن يدعو إلى نفسه مثلاً مع عدم استحقاقه لما يدّعيه كمن يدّعي المهدوية مثلاً كذباً.

وقد تكون دعوته حقّة، كدعوة زيد بن علي بن الحسين (ع) مثلاً حيث دعا الناس لنقض السلطة الجائرة، وتسليم الحق إلى أهله أعني المرضي من آل محمد، يعني الإمام الصادق (ع)، فيجب على الأشخاص المدعويين أن ينظروا لأنفسهم ويعملوا الدقة في ذلك، ولا يتأثروا بالأحاسيس والعواطف الآتية.^{١٩٠}

الرواية الثانية: مما ذكره ابن الأثير في كامله: "وكانت طائفة أتت جعفر بن محمد الصادق (ع) قبل خروج زيد، فأخبروه بببيعة زيد، فقال: بايعوه".^{١٩١}

الرواية الثالثة: عن عمدة الطالب: روى سدير الصيرفي، قال: كنت عند أبي جعفر الباقر (ع)، فدخل زيد بن علي، فضرب أبو جعفر على كتفه وقال: هذا سيد بني هاشم، إذا دعاكم فأجيبوه، وإذا استصركم فانصروه.^{١٩٢}

١٩٠ - المنتظري، "دراسات في ولاية الفقيه"، ج ١ ص ٢٠٦.

١٩١ - ابن الأثير، "الكامل في التاريخ"، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٤ ص ٤٥٢.

١٩٢ - الأصفهاني، "عوامل العلوم"، مؤسسة الإمام المهدي (ع) قم، ج ١٩ ص ٣٥٢.

الرواية الرابعة: وقد تقدم ذكرها في روايات المدح، وهي رواية ابن أبي عمير، عن حمزة بن حمران الذي دخل على الإمام الصادق (ع) وقصّ عليه ما جرى على زيد فبكى الإمام (ع)، وبعد ذلك قال: "فلعن الله قائله وخاذله والى الله جلّ اسمه أشكو ما نزل بنا أهل بيت نبيّه بعد موته، وبه المستعان على عدونا وهو خير المستعان".^{١٩٣}

وهذه الرواية التي ذكرها الشيخ الصدوق "قده" قد تدل على صواب خروج زيد، فإن المستفاد من لعن قاتل زيد وخاذله وجوب نصرته وعدم جواز خذلانه. وقد يُقال: فلو لم تكن نصرته واجبة لما استحق اللعن مَنْ خَذَلَهُ وتخلّف عنه، فهذا الكلام الصادر من الامام (ع) يمكن أن يستفاد منه أن زيدا كان مأذونا، وإن لم يمكن استفادة ذلك نقول إن كلام الإمام (ع) يدل على إجازة عمل زيد، من خلال هذه التعابير التي يُفهم منها، بالملازمة، الإجازة وإن كانت غير صريحة نصّاً. والإجازة هذه تكشف عن الرضا الباطني للإمام (ع) وهو كافٍ في المقام.

نكتفي بهذا المقدار من الروايات التي يمكن استفادة الإذن منها، ولو بضم هذه الرواية مع روايات أخرى كثيرة المتقدمة في مدحه والثناء عليه، وعليه فلا نستطيع نفي الاستئذان حينئذٍ، فلعله استأذن من الإمام (ع)، والإمام (ع) أذن له في الخروج وخفي علينا ذلك لمصلحة رآها الإمام (ع) في كتمان هذا الأمر ما دام انه لم يثبت ما يدل على أن الإمام (ع) صدر عنه نهى عن الخروج. وقد ذكر الشهيد الأول في "قواعده" فيمن خرج للقتال فقال: جاز أن يكون خروجهم بإذن إمام واجب الطاعة كخروج زيد وغيره من بني علي (ع).^{١٩٤}

^{١٩٣} - الصدوق، "أمالي الصدوق"، مؤسسة الأعلمي بيروت، المجلس ٦٢ الحديث ٣ ص ٢٢١
^{١٩٤} - الشهيد الأول، "القواعد والفوائد"، مكتبة المفيد، قم، ج ٢ ص ٢٠٧

كلام الشهيد واضح لا يحتاج الى مزيد بيان، فقد مثل (قده) لبيان جواز الخروج بخروج زيد. وفي كلامه (قده) دلالة على الإنزاع دلالة صريحة لفظاً. ربما يكون مستند فهمه لذلك إما نصوص هذا الباب، أو يكون قد استنتج ذلك من جهة ضمّ القرائن بعضها لبعض.

وقيل انه كان مأنوناً سرّاً من قبل الإمام، ويؤيده ما استفيض من بكاء الصادق (ع) وترحمه ودعائه له، ولو قتل على دعوى الإمامة لم يستحق ذلك ولما رغب الناس بالبكاء عليه بقوله: "وأما الباكي عليه فمعه في الجنة".^{١٩٥}

وبعد ما ثبت لنا الإنزاع لزيد في الخروج، وبعدما ذكرنا نبذاً من أقوال العلماء في مدحه والثناء عليه، وبعد اتفاقهم على فضله ونبله^{١٩٦} وسمو مقامه كما اتفقت معظم الروايات على ذلك، سوى روايات قليلة لا تصلح للمعارضة، فما عساك ان تقول بعد ذكر تلك الشهادات البينة المورثة للإذعان بسلامة موقفه وخلوص نيته في اداء المهمة الموكلة إليه الحاملة في طياتها دروس العزة والإباء والدفاع عن حرم الله والذنب عن شريعته؟

يبقى أن نشير الى أن الذين خرجوا مع زيد وفاتلوا وقتلوا في المعركة، كيف حصلوا براءة ذمتهم ما دام أن الإنزاع كان سرّاً؟

نقول وبالله التوفيق: إن زيد بن علي (ع) كان من الشخصيات المرموقة البارزة التي حظيت بالاحترام والتقدير من قبل الأئمة (ع) ومن العلماء وعامة

^{١٩٥} - المجلسي، "مرآة العقول"، دار الكتب الإسلامية، طهران، ج ٤ ص ١١٨
^{١٩٦} - الأمين، "أعيان الشيعة"، دار المعارف للطبوعات، بيروت، ج ٣ ص ٤١

الناس، ولا غرو فهو ربيب هذه الدوحة الكريمة وسليل الأئمة الهداة، عدا عن مكانته ومقامه العلمي، وفصاحته وبيانه الذي كثيراً ما كان يحذر منه هشام بن عبد الملك لأجل قوة البيان التي كان يمتلكها في التأثير على الحضور وجلب قلوبهم نحوه، أضاف الى تلك المكانة الاجتماعية التي حازها بسبب ما كان يتمتع به من الصفات الكمالية والخصال الحميدة من التقى والعبادة والزهد في الدنيا، ويكيفيك في ذلك انه كان معروفاً لدى الناس بحليف القرآن لكثرة تلاوته لكتاب الله عز اسمه.

شكل ذلك كله عوامل مساعدة في تكوين قاعدة شعبية عريضة، ورصيد كبير في قلوب الجماهير صنعت منه قائداً يمتلك الأهلية في تدبير الأمور بكل جدارة وحزم. وعلى أي حال فقد حظي زيد(رض) منزلة في القلوب وثقة واطمئناناً من أتباعه بحيث لو طلب منهم أن يقاتلوا كما فعل في نص المبايعة، فبايعوه ثقة منهم به على قتال الأعداء وبذل الأنفس في سبيل إعلاء كلمة الحق دونما حاجة الى أن يسألوا في قضية الاستئذان، وقد لا تخطر في بالهم أصلاً.

العمل بالتقية:

لسنا بصدد بيان مشروعية التقية والأدلة عليها من الكتاب والسنة والنصوص الدالة بوضوح على ذلك بحيث يعتبر الحكم فيها من ضروريات المذهب. ولأجل ذلك نجد أن الأئمة(ع) جميعاً لجأوا للعمل بها باستثناء الإمام الحسين(ع)، إذ من الواضح أن أحداً من المعصومين غيره لم يتحرك مثل حركته، بل كانت الثورات متعددة، والحروب في داخل البلاد الإسلامية وخارجها موجودة، وهم معرضون عنها لا يشاركون بأي شيء منها. حتى لو كان الثوار أو

المحاربون من أبناء عمومته كزرية الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، والذين تحركوا خلال العصرين الأموي والعباسي بكثرة حتى عُدَّ منهم في "مقاتل الطالبين" العشرات. إلا أن المعصومين (ع) لم يكونوا من بينهم بأي حال من الأحوال، بل كانوا يسلكون سلوكاً مغايراً لذلك تماماً عملاً بالتقية الواجبة التي يحسون بضرورتها التشريعية والواقعية عليهم.

وقد ذكر العلماء حول هذا المسلك بياناً مطوّلاً نختصره:

أن ما ورد في الشريعة بخصوص العمل بالتقية هو على نحو الرخصة لا العزيمة، أي دالة على الجواز وليس الوجوب. من هنا كان عمل أصحاب الأئمة والمعصومين عموماً، مع العلم أنهم كانوا عارفين بالأحكام متفهمين في الشريعة مرتفعين في درجات الإيمان. فعمّار بن ياسر عمل بالتقية حين طلب منه مشركو قريش الطعن بالإسلام ونبي الإسلام. وبذلك المناسبة نزلت الآية الكريمة: "ومن يفعل ذلك فليس من الله بشيء إلا أن تتقوا منهم تقاة"^{١٩٧}، في حين أن عدداً من الآخرين تركوا العمل بها ودفعوا حياتهم في سبيل ذلك كميثم التمار وسعيد بن جببر وحجر بن عدي وزيد بن علي الشهيد وغيرهم. ولو كانت التقية واجبة إلزاماً لكان حال هؤلاء وغيرهم على باطل، مع العلم أنهم لاشك على حق لأنهم متفهمون بالأحكام الإسلامية جزماً. ولاشك أنها، مع ذلك، مشروعة، فيتعين أن تكون مشروعة بنحو التخيير لا بنحو الإلزام. ومما دلّ على ذلك ما روي عن رجلين من أهل الكوفة أخذاً فقيلاً لهما: أبرئاً من أمير المؤمنين (ع)، فبرئ واحد منهما وأبى الآخر فخلّي سبيل الذي برئ وقتل الآخر. فقال الإمام الباقر (ع): أما الذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأما الذي لم يبرئ فرجل تعجل الجنة.^{١٩٨}

^{١٩٧} - سورة "آل عمران"، الآية ٢٨

^{١٩٨} - محمد الصدر، "أضواء على ثورة الحسين"، دار الأضواء، بيروت ١٩٦٦

نعم قد تكون التقية في بعض الموارد واجبة إلزاماً، فيما اذا توقف عليها هدف إجتماعي عام مهم، كالمحافظة على كيان الإسلام. وهذا ما يختلف باختلاف الظروف الزمانية والمكانية التي يُرجعُ فيها للإمام نفسه في تشخيص المصلحة واتخاذ الموقف على أساس ذلك.

الفصل السادس

ضرورة النهضة

- تمهيد
- مجتمع النهضة
- المجتمع الكوفي
- عناصر السكان
- عوامل إخفاق
- النتائج التي أعقبت النهضة

لم تمضِ على حالة التشيع أيامها الجميلة المشرقة بنور الحق حينما ارتفع
كابوس الظلم والجور عن كواهل محبي آل الرسول في زمن المرتضى (ع) نعموا
خلالها في ظل الخليفة بالحق، بالحرية في القول والعمل حتى فاجأهم ما هو
أدهى وأمر، بعد استشهاد أمير المؤمنين (ع) حيث غدا أمر الحكم خالصاً
للأمويين، أصبح فيه العصر عصر ظلم وظلام داج يلاحق كل من يُشكّ في انه
موال لآل علي (ع) تحت كل حجر ومدر. وتبرأ الذمة في كل من يروي فضيلة
ومنقبة في حق أبي تراب (ع).

لقد كان الإمام أمير المؤمنين (ع) حريصاً على أن تبقى روح النضال حية
نامية في الأمة لتبقى لها القدرة على النهوض في كل حين. وفي ظل هذه الأجواء
المتردية الحافلة بالمآسي والمشحونة بالآلام، كانت الثورة حتمية حيث حالة
الرفض والوقوف في وجه الحكم الأموي يتطلب سعيًا حثيثاً وعملاً نؤوباً من اجل
تكوين مجتمع ثوري، فكان لا بد من الثورة لاجتثاث هذه الشجرة الخبيثة من
أصولها. فكانت واقعة الطف الدامية الأليمة التي فتحت الطريق وكسرت كل
الأطر والحواجز النفسية التي تقف في وجه الثورة. حيث كان الإطار الديني الذي
أحاط به سلاطين الجور حكمهم الإستبدادي الفاسد، يحول بين الشعب والثورة،

فجاءت ثورة الحسين(ع)، وحطمت هذا الإطار، وكشفت الحكم الأموي على حقيقته، فإذا هو حكم جاهلي غير إسلامي ولا انساني.

وتوالت الثورات التي أجبتها ثورة كربلاء وألهمت ماء الحسين(ع) الزكية التي لا تنطفئ حرارتها إلى يوم القيامة. واستمرت تلك الثورات التي أدت إلى ضعضعة وتحطيم إمبرتهم المزعومة وكادت أن تزول وتكون خبراً بعد أثر، بفضل تلك الثورات والجولات التي صالت وجالت في ميادين إماراتهم الهشة التي قامت أعوادها على من قام الدين على كواهلهم، وارتوت شجرة الإسلام من دمائهم ، وكانت من تلك الثورات ثورة زيد بن علي(ع).

مجتمع النهضة:

لا بد لكل عملية تغيير تستهدف إصلاح المجتمع، من ركيزة تنطلق منها من عملية التغيير وقلب الوضع القائم المرفوض. وهناك دائماً ما يسمّى بالأسباب الخاصة او المباشرة للإندفاع في العملية الثورية. فما هي الأسباب التي أملت على زيد خوض غمار هذه الثورة التي يعلم سلفاً بأنها فاشلة عسكرياً؟

والذي يجري بنظرة فاحصة لدراسة الوضع الذي كانت تعيشه الكوفة، والظروف المأساوية التي كانت تحيط بها، والتي جعلها زيد الشهيد قاعدة لثورته، يستغرب من اختياره الكوفة مهداً لثورته التي كان من أهم أهدافها الاساسية تغيير الواقع المرير، وإراحة العباد من ظلم الطغاة، وإرجاع الحق المسلوب إلى اهله. ولكن نرى أن اختيار زيد الشهيد الكوفة منطلقاً لثورته لم يكن نابعاً من موقف ارتجالي وعفوي ومن دون دراسة، فإنه من المعلوم أن الكوفة كانت تتشبع لعلي

عليه السلام وتتناصره في حروبه، وبهذا أصبحت الكوفة موضع اهتمام للذين يجعلون من أهل البيت (ع) خصوماً لهم، ويعتقدون بأنه لا يستقر أمر الخلافة ما لم يتخذوا لها التدابير اللازمة للقضاء على كل أنشطتها العلمية والسياسية وكل ما من شأنه بث الوعي والاستعداد للتضحية في سبيل العيش الكريم. لذا نجد الدولة الأموية تهتم بأمر إخضاع الكوفة وأهلها أيما اهتمام، وتحاول التوصل إلى إخضاعها بالقوة والترهيب تارة وبالترغيب تارة أخرى عن طريق تعيين ولاة عليها لا رحمة في قلوبهم، ولا وازع ديني يردعهم عن الفتك وإراقة الدماء أمثال الحجاج الذي ولاه عبد الملك على الكوفة، وزيايد بن أبيه، وعبيد الله بن زياد، وخالد القسري، ويوسف بن عمر وغيرهم من البغاة الدمويين الفجرة.

فقد رسم الأمويون لأنفسهم خطة خاصة لمعاملة أهل العراق، وهي خطة تقتضي بأن ينظر إليهم كأعداء يجب معاقبتهم، وإنقاص أعطياتهم وحرمانهم من الفيء، ومن كثير مما كان يتمتع به أهل الشام. كما أنهم اتخذوا سياسة تعيين ولاة أقوياء، وإدخال القطع العسكرية الشامية فيه وإقامة حكومة حربية.^{١٩٩}

وقد ولي هشام بن عبد الملك على الكوفة يوسف بن عمر وهو الشخص الذي اشتهر بقسوته وفظاظته ووحشيته وموت الحسّ الإنساني في داخله، حتى أنه خاطب أهل الكوفة: ولقد سألت أمير المؤمنين (يقصد هشاماً) أن يأذن لي فيكم، ولو أذن لي لقتلت مقاتليكم وسبّيت ذراريكم. ولأجل كل ذلك كان من الطبيعي أن يتبلور الدور الطبيعي الذي كان يقوم به الثائرون الذين عاشت فيهم روح كربلاء وجعلت من دماء الحسين (ع) الزكية وقوداً يضيء دروب الثائرين يستضيئون بنوره الوهاج، في مواجهة تلك التدابير التعسفية. وبسبب هذه

١٩٩- ثابت اسماعيل الراوي، "العراق في العصر الأموي"، ص ١٦١-١٧٠.

الثورات والإعتراضات المتواصلة كان الحظر مفروضاً على الكوفة حيث أصبحت تمثل فتيلاً موقوتاً قد يتفجر بين لحظة وأخرى، وتقض مضاجعهم.

اختار زيد بن علي الكوفة قاعدة لنهضته كما اختارها قبله جده أمير المؤمنين علي(ع) واتخذها عاصمة ومقراً لخلافته الحقّة، ولإدارة شؤون الدولة الإسلامية وإرساء قواعد العدل والمساواة بين الناس. والعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه(ص) وحمل الناس على ذلك. "وقد بذل الإمام أمير المؤمنين(ع) جهوداً جبارة في سبيل توعية أهلها على الكثير من الحقائق التي كان لا بد لهم من التعرف عليها، ومن ذلك مناشدته للناس بحديث الغدير في رحبة الكوفة، وفي صفين وإخباراته الغيبية الكثيرة لهم ومنه إخباره بمصير أهل النهروان^{٢٠٠}. ومع ذلك فلم يكن في الكوفة خمسون رجلاً يعرفونه حق معرفته، وحق معرفة إمامته كما عن الإمام الصادق(ع)، وإنما يحاربون معه وفاءً بالبيعة التي كانت له في أعناقهم"^{٢٠١} فلم يكن ذلك نابعاً من رسوخ العقيدة وتفاعلها مع واقع الحياة التي تفرض اتخاذ المواقف على أساسها، بل كانوا شديدي المراس، صعبى الإنقياد، وهذه ربما خصيصة فيهم عانى(ع) منها الكثير، كما ظهر ذلك في كلامه وخطبه.

يقول(ع) في الخطبة ٩٧: "ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشجا من مساع ريقه. أمّا والذي نفسي بيده ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراهم الى باطل صاحبهم، وإيطائكم عن حقّي. ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي. استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا. وأسمنتكم فلم تسمعوا،

٢٠٠- ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج ١٠ ص ١٣
٢٠١- جعفر مرتضى العاملي، "الخوارج سياسياً وتاريخياً"، ص ١٨ و ١٩ سنة ١٤٠٣ هـ.

ودعوتكم سرّاً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا أشهود كغياب، وعبيد كآرباب! أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها. وأحتكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سباً ترجعون الى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم. أقوّمكم غدوة وترجعون الى عشيّة، كظهر الحنيّة، عجز المقوّم، وأعضل المقوّم. أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه. لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم!

يا أهل الكوفة، مُنيتُ منكم بثلاثٍ واثنين: صُمّ نوو أسمع، وبكمّ نوو كلام، وعميّ نوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء! تربت أيديكم! يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلّما جُمِعت من جانب تفرّقت من آخر، والله لكأنّي بكم فيما أخالكُم: أن لو حمس الوغى، وحمي الضراب، قد انفرجتم عن إبن أبي طالب إنفراج المرأة عن قلبها. وإنّي لعلّى ببيّة من ربّي، ومنهاج من نببيّ، وإنّي لعلّى الطريق الواضح ألقطه لقطاً".

تُنبئ هذه الكلمات لدى الوقوف عليها بمدى التبرّ منهم، وعصيانهم وعدم انقيادهم، وتكشف من خلال بعض المفردات عن حالهم ووصفهم بأوصافٍ وكنائياتٍ تصوّر العجز والدّناءة في العمل. هكذا كان حال الأغلبية بطبيعة الحال كما يأتي بيانه عن الوضع الديموغرافي للكوفة، والتي يظهر من إطلاقها هي وما حولها من قرى ومدن كما كان شائعاً استخدامه. فيقال انه في زمن الإمام (ع) كان في الكوفة حدود مليون قاطن. ولعله المراد هي وما حولها.

فالكوفة وإن كان اتخذها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه مقراً ومركزاً لخلافته، إلا أنها لم تكن صافية مخصصة في تشييعها ولم تتفاعل معه تفاعلاً يسمح لها بالرؤية الصحيحة، ولم يكن أهلها يسمعون ويطيعون أوامر الإمام(ع) كما كانوا يتمسكون بسنة عمر بن الخطاب. "وعندما أراد أمير المؤمنين(ع) عزل شريح القاضي، فلم يتيسر له ذلك، لأن أهل الكوفة قد قالوا له: لا تعزله، فانه منصوب من قبل عمر، وإنما بايعناك على أن لا تغير شيئاً مما قرره أبو بكر وعمر" ٢٠٢ وكذلك عندما أراد(ع) لأن ينهائهم عن صلاة التراويح فنادوا: واسنة عمراه. ومما قاله(ع) عندما بايعوه، وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاءه رجل من خثعم، فقال له الامام علي(ع): تباع على كتاب الله وسنة نبيه؟ قال: لا، ولكن ابايحك على كتاب الله وسنة نبيه وسنة أبي بكر وعمر، فقال علي: ويلك، لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنة رسوله لم يكونا على شيء من الحق. فأبى ربيعة بن أبي شداد الخثعمي، إلا سنة الشيخين، وأبى علي(ع) أن يبايعه إلا على سنة الله وسنة نبيه، ونظر إليه الإمام(ع) فقال: أما والله، لكأنني بك قد نفرت مع هذه الخوارج في هذه الفتنة، فقتلت، وكأنني بك قد وطأتك الخيل بحوافرها، قد شذخت وجهك. فلحق بالخوارج، فقتل يوم النهروان. قال قبيصة: فرأيت يوم النهروان قتيلاً، قد وطأت الخيل وجهه وشذخت رأسه، ومثلت به، فذكرت قول علي(ع) وقلت: لله درّ أبي الحسن! ما حرك شفتيه قط بشيء إلا كان كذلك. ٢٠٣

202- راجع رجال المامقاني ج ٢ ص ٨٣ سطر ١١ عند ترجمته لشريح القاضي

203- الطبري، "تاريخ الأمم والملوك" ج ٤ ص ٥٦، مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٥٨ هـ.

ويقول(ع) وهو يشكو مما آلت إليه الأمور: ما هي الا الكوفة، أقبضها وابسطها، إن لم تكوني الا انت تهب أعاصيرك، فقبحك الله، اللهم اني قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئمونني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني.

وفي مقام آخر يقول(ع): لوددت أنني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرّت ندماً وأعقت سدماً، قاتلكم الله! لقد ملّتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان.^{٢٠٤}

المجتمع الكوفي، هل كان معسكراً للجند؟

يعتبر المجتمع الكوفي من اكثر المجتمعات تقلباً - آنذاك - فهو مزيج من أخلاط من الناس على مختلف انتماءاتهم وقومياتهم، فهو مجتمع متعدد الألوان والاهواء والمشارب. وحتى يتسنى لنا معرفة الأسباب الواقعية التي أدت الى الهزيمة التي منيت بها نهضة زيد، وكون هذا المجتمع وتركيبته الديموغرافية والجيوسياسية والإيدولوجية له صلة متينة بواقع الأحداث، فلا بد من دراستها بعمق وشمولية. هذا المجتمع بالقول: "إن أهل الكوفة آنذاك نموذج لسطحية الإيمان في الأمة ولتفريغ السلوك الإسلامي المجتمعي من مضمونه وفعاليته مع الإكتفاء بالعبادات الفردية المنعزلة عن التأثير في الدولة والمجتمع".^{٢٠٥}

لابد من الحديث عن طبيعة هذا المجتمع، فانه المرأة الذي تتعكس عليه الأحداث الهائلة، التي لعبت دوراً خطيراً في تاريخ الاسلام، وأن نتبين العناصر التي سكنت الكوفة، وننظر الى طبيعة الصلات الإجتماعية فيما بينها، والحياة

²⁰⁴ - "تهج البلاغة"، شرح الشيخ صبحي الصالح، دار الهجرة قم ١٤١٢، الخطبة ٢٥ و ٢٧ ص ٦٦ و ٧٠

²⁰⁵ - نعيم قاسم، "عاشوراء مدد وحياة"، ص ٧٠

الاقتصادية التي كانت تعيش فيها، فإن البحث عن ذلك يلقي الضوء على أسباب فشل النهضة في جانبها الميداني العسكري، كما يلقي الأضواء على التذبذب والانحرافات الفكرية التي مُني بها هذا المجتمع، والتي كان من نتائجها ارتكابه لأبشع جريمة في تاريخ الإسلام، وهي إقدامه على قتل ريحانة رسول الله (ص).

ومن الظواهر الاجتماعية التي يمكن اعتبار المجتمع الكوفي متفرداً فيها، وهي ظاهرة غريبة، تتمثل في كون هذا المجتمع يعيش حالة من التناقض الصريح مع حياته الواقعية، فهو يقول شيئاً ويفعل ضده، ويؤمن بشيء ويفعل ما ينافيه. والظاهرة السلبية الأخرى السائدة في ذلك المجتمع تتمثل في شيوع الغدر والتذبذب، وقد وصفهم أمير المؤمنين بقوله: "أسود رواغة، وثعلبة رواغة". وقال فيهم: "إنهم أناس مجتمعة أبدانهم، مختلفة أهواءهم، وأن من فاز بهم فاز بالسهم الأخبى، وأنه أصبح لا يطمع في نصرتهم ولا يصدق قولهم".

لقد كان الجانب العملي في حياتهم هو التقلب والتردد والتخاذل. وقد غروا زيد بن علي الثائر العظيم فقالوا له: إن معك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك بأسياقهم. ولما أعلن الثورة هبط عددهم إلى مائتين وثمانية عشر رجلاً. وقد نصح داود بن علي زيدا بأن لا ينخدع بأهل الكوفة وكانوا ينكثون البيعة بعد البيعة.

ومن الظواهر الغريبة الأخرى التي عُرفَ بها المجتمع الكوفي هي الانهزامية وعدم الصمود أمام الأحداث، فإذا جَدَّ الجَدَّ ولَّوا منهزمين على أعقابهم. وكذلك أيضاً التأثير بالدعايات من دون فحص ووقوف على واقعها. وقد استغل الأمويون هذه الظاهرة أيام "مسكن" فأشاعوا في أوساط الجيش العراقي أن

الإمام الحسن صالح معاوية، وحينما سمعوا بذلك ماجوا في الفتنة وارتطموا في الاختلاف، فعمدوا إلى أمتعة الإمام فنهبوها، كما اعتكوا عليه فطعنوه في فخذة.

هذه بعض مظاهر الولاءات السياسية في الكوفة، وهي تكشف عن ضحالة ذلك المجتمع، وانهياره أمام الأحداث. فلم تكن له إرادة صلبة ولا وعي سياسي أصيل، وقد جرّوا بذلك الويل لأنفسهم، فدمّروا قضاياهم المصيرية وتكروا لجميع حقوقهم، وفتحوا المجال للطغاة أن تتحكم فيهم وتصب عليهم ألواناً من العذاب وضروباً من التتكيل.

أمّا مقولة أن الكوفة كانت مركزاً للأجناد والعسكر، فإن في ذلك مجانبة للحقيقة. صحيح أن الكوفة في أساس بنائها وتمصيرها إنما كان لإيواء الجند على تغور الدولة الإسلامية وبلاد المسلمين، ولكن هذا كان في بداية الأمر وتحديداً سنة ١٧ للهجرة ولم يكن الحال كذلك بعد مرور ما ينوف على قرن من الزمن. كما أن ذلك لا يبرر الخذلان حتى لو كان فيها عساكر موالية وغير موالية.

عناصر السكان:

كانت الكوفة أممية قد امتزجت فيها عناصر مختلفة في لغاتها ومتباينة في طباعها وعاداتها وتقاليدها، فكان فيها العربي والفارسي والنبطي وقد سادت في قبائل المجتمع العربي في الكوفة الروح القبلية مما كان يسهل في عملية التفریق والاختراق فيهم. ولم يكن المجتمع الكوفي يدين بدين واحد، وإنما كانت فيه أديان متعددة، كالاسلام والمسيحية واليهودية.

أمّا شيعة الكوفة التي تدين بالولاء لأهل البيت(ع)، فقد كانوا بمعظمهم تشيع عاطفيّ لا عقائدي وقد جرّدهم الامام الحسين(ع) من اطار التشيع وصاح بهم يا شيعة آل ابي سفيان. والحق أن الشيعة بالمعنى الصحيح لم تكن إلا فئة نادرة في ذلك العصر، وقد التحق بعضهم بالإمام الحسين(ع) واستشهدوا معه، كما زج الكثيرون منهم في ظلمات السجون.²⁰⁶

هذه الجولة تعطي الملامح العامة والخصائص التي تميز بها مجتمع الكوفة عموماً. وتقيد أن إطلاق أهل الكوفة لا يعني شيعة أهل البيت بالخصوص، وإن كنا لا ننتظر من النصاري أو من المذاهب الأخرى الموالية للسلطة خوفاً أو طمعاً، أن تناصر الثائرين على الحكومات الجائرة، وتساندهم في مواجهة ظلمهم واضطهادهم.

هل كان شيعة أهل البيت(ع) في كل المراحل هكذا؟ الظاهر ومن خلال خطب الإمام علي(ع) أن حالهم كان في تغير. ففي بعضها كان يذم، ولا ندري إذا كان(ع) يقصد بذلك شريحة منهم بالخصوص على وجه معين، أم يقصد الأغلبية بسبب من تخاذلهم وتبرمهم، ولا شك أنه كان فيهم الخُلص والأوفياء الذين بذلوا مهجهم في سبيل نصرته.

وفي أي الأحوال، فإن الإمام(ع) في خطبة له لأهل الكوفة، إبان استنفار أهل البصرة وتعبئتهم قال: يا أهل الكوفة أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق ومجيبياً إلى جهاد المحليين، بكم اضرب المدبر، وأرجو إتمام طاعة المقبل،

²⁰⁶- باقر شريف القرشي، "حياة الإمام الحسين(ع)" دار البلاغة، بيروت، ج ٢ ص ٤١٩ (بتصرف)

وقد بعثت الى أهل البصرة فاستنفرتهم، فلم يأتني منهم غير ثلاثة آلاف ومائتين، فأعينوني بمناصحة سمحة خلية من الغش.²⁰⁷ فأجابوه على السمع والطاعة.

ومعلوم إن حرب الجمل كانت أولى حروب الردّة التي شنها الناكثون وتلاههم القاسطون والمارقون. فكانوا في أوج قوتهم، ولم تنهكهم الحروب، ولم يسأموا بعد ولم يملوا. وبذلك يمكن أن تُفسّر أقوال الإمام علي(ع) وخطبه في الذم والمَلل والسأم لهم فيما بعد، في الحروب التالية، مع معاوية والخوارج.

ويبدو أن الأمر كان كذلك في عصر زيد، من خلال النتائج التي ظهرت في نهاية المطاف، فإنه لم يرغب عنه كل ذلك الإرث المتراكم الذي لم يكن مفاجأة بالنسبة له. فقد خبر كل ذلك وأعدّ العدة على هذا الأساس، فإننا إن لم نقل أنه قد أخطأ في التوقيت لا سيما أن الظرف التاريخي لخروجه كان في زمن الذروة من القوة وبسط النفوذ شبه الكامل للأُمويين وشدة سيطرته وبطشه وهيمنته، فيمكن القول انه أراد إحداث فجوة يمكن من خلالها النفوذ ولو آنياً لتعطيم الحاجز النفسي الذي سيطر على العامة من الناس، وإن هذا الحاجز يمكن اختراقه أو هزّه، ولإعلام السلطة الحاكمة إن المعارضة لن تُعَدَم، وعلى أمل أن تخلق ممانعة ولو على المدى المستقبلي. البعيد لكل أشكال المهادنة مع كل سلطان جائر عبر الأجيال القادمة.

وإلاّ فما هو تفسير الخروج في هذا الوقت بالتحديد، وفي هذه الفترة خاصة في عهد هشام بن عبد الملك المعتبر ثالث ساسة بني أمية بعد معاوية وعبد الملك بن مروان؟ قد وُصِفَ الوضع العام في زمن هشام من قِبَلِ المؤرخين بالاستقرار

²⁰⁷ - ابن قتيبة الدينوري، "الإمامة والسياسة"، دار الاضواء، بيروت، ج ١ ص ١٦٥

التام. ونكروا انه لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام ولا أعظم قدراً ولا أعلى صوتاً منه، دانت له البلاد وملك جميع العباد وأديت له الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس والترك والإفرنج والزنج والسند والهند.^{٢٠٨}

وهناك من يقول أن زيداً كان يعتقد أن الخطأ الذي وقعت فيه الكوفة لا يمكن إن يتكرر مرة أخرى، وأنه قد غاب عنه أنه لو تجددت ذات الظروف التي برزت في تلك الحالات لمارست الكوفة ذات الموقف ولتلوّنت بتلاوين تبرّر فيها الإنسحاب عن طاعة القيادة الشرعية كما حصل مع الإمام الحسن (ع) والإمام الحسين (ع). وعليه فإن الذي كان يظهر أيضاً أن زيداً تصوّر إن الكوفة أخذت درساً من خلال تجربتها في مواقفها من أهل البيت، وإن ستين عاماً من السنين القاسية على أهل الكوفة، كانت كافية في تصحيح الرؤية وتشديد العزيمة. وبالتالي فإن النتيجة جاءت على غير ما حسب لها زيد، فقد جاء موقف الكوفة امتداداً لتلك المواقف الاستثنائية السلبية.^{٢٠٩}

لذلك يرى هؤلاء أن السبب الأساس في عوامل الفشل يكمن من الناحية الاستراتيجية في مجال التخطيط لإنجاح العمل، وتراهم يميّزون في مراحل مبكرة فيما بين العلويين والعباسيين ويستنتجون أن "الحركات العلوية" عموماً قد اتخذت شكلاً ثورياً علنياً، تحشد الجيوش وتعيّ الفئات، وتواجه القوات الأموية في ساحات القتال، وهذا ما أدّى الى تكبدها خسائر كبيرة منيت بها جراء هذه السياسة، ويعتقدون أن هذه الحركات لو أنها لجأت الى العمل بطريقة تعبوية سرية، لكانت حققت نتائج مختلفة تماماً عما حدث.

²⁰⁸ - ابن قتيبة، "الإمامة والسياسة"، دار الاضواء، بيروت، ج ٢ ص ١٤٦
²⁰⁹ - نوري الحاتم، "زيد بن علي ومشروعية الثورة"، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، ص ١٤٤

ويرى هؤلاء أن النجاح الذي حققته "الحركة العباسية" فيما بعد نجم عن كون نشاطها أَسْم بطابع السرية إن كان في دعوتها أو في تحركاتها، حيث كانت تتحسّس الخطى، وتمضي بروية متجنّبة المسالك الوعرة، وهي تحمل شعارات خادعة تخفي في داخلها نوايا السيطرة والاستئثار، والتظاهر بعلوّية الدعوة لكسب الجماهير المتعاطفة مع العلويين. ويخلصون إلى القول بأنه كان لهذه الحركة ما أرادت بسبب نهجها هذا.

إن كلاماً كهذا يُقدّم لنا زيد بن علي كفتى عُزٍّ مغامر لا يفقه من أمور السياسة والناس وطبائعها شيئاً، فيسقط عنه علمه وإدراكه، ويحوّل حركته إلى حركة لا تبغي سوى هدفٍ واحدٍ ألا وهو تقلّد زمام الأمور في الدولة، ويلغي هذا الكلام الدور التعبوي والإستنهاضي لحركته ولمختلف الحركات الثورية التي قام بها منتسبون لآل البيت وباعت بالفشل بالمنظور العسكري، مغيباً لما حققته من إنجازات على المستوى التعبوي وإظهار الحجة واستمرار انتقاد شعلة الثورة التي كانت قد اتّقدت باستشهاد الإمام الحسين (ع) وآل بيته وأصحابه في كربلاء.

كما أن كلاماً كهذا لاشك أنه ينطلق من منطلقات تدّعي مخالفة زيد بن علي لرأي إمام عصره المعصوم، وهو كلام مردود وسبق أن ناقشناه في هذا البحث وبينّا موقف الإمام الصادق (ع) من نهضة زيد وممن قتله وخذله، وبالتالي فإن كانت قراءة زيد لواقع الكوفة خاطئة، فلا ريب في أن قراءة الإمام المعصوم لن تكون على هذا الوجه. وهذا ما يؤكد أن زيد بن علي قام بنهضته وهو على دراية بما سيصيبه وبأنه هو المصلوب في الكناسة، وبالتالي فإنه كان يرى في نهضته أهدافاً هي غير تلك التي يضعها له مؤرخ من هنا أو محلّ من هناك. وتاماً كما يرى المؤرخون والمحللون الإسلاميون نجاح الإمام الحسين (ع) في تحقيق أهدافه

من جراء استشهاده، وأن دمه الشريف قد انتصر على سيف قاتله الباغي، فإن زيد بن علي نجح في تحقيق أهدافه وأن دماؤه ودماء كافة الشهداء الذين سقطوا في ميادين المواجهة مع الإستبداد الأموي على مختلف الجبهات وعلى امتداد فترة التسلط الأموي، هي التي مهدت لانتصار الثورة على هذه العصبية الجاهلية، وهي الثورة التي تغذت بدماء وبمظلومية أهل البيت (ع) إلا أنها عادت لتتحرف وتسيطر عليها عصبية جاهلية جديدة هي العصبية العباسية التي ستعطي لهذه الثورة وللدولة التي نجمت عنها إسمها بعد زمنٍ على انتصارها وليس قبل اندلاعها.

لذلك، فإن الكلام عن تمييز بين حركات "علوية" وأخرى "عباسية" في مراحل مبكرة، يتضمن مغالطة تاريخية تؤدي إلى انحرافات في التحليل والإستنتاج من الواجب تداركها وتجنبها. فحتى لحظة سقوط دولة بني أمية كانت حركات المعارضة المسلحة تكاد تكون مقتصرة على الدعوة إلى آل البيت (ع) من دون أن يكون أي شرح فيما بين علويين وعباسيين، وبالتالي فإن كافة الحركات المسلحة التي خاضها المسلمون ضد الإستبداد الأموي أدت وظيفتها في خدمة نجاح الثورة التي سميت فيما بعد بالثورة العباسية، وإن كانت أخفقت في منع تحول الدولة التي نجمت عن هذه الثورة إلى دولة إستبدادية جديدة لأسباب لا مجال للخوض فيها هنا.

عوامل إخفاق النهضة:

يُعيد معظم الذين تناولوا خروج زيد سبب الإخفاق العسكري الذي لاقته حركته إلى خذلان أهل الكوفة له وتقاعسهم عن الوفاء بالعهود والمواثيق التي

كانوا يعطونها له ويقطعونها على أنفسهم، ولكن إذا ما اعتبرنا بأن زيداً كان عالماً بما هي عليه حال أهل الكوفة من نكثٍ للعهود وتكرٍ لأولياء الأمر ما لم يكن لهم مصلحة مباشرة بالولاء، نكتشف بأن زيداً ما كان بوسعهِ ان يفعل غير الذي فعل، ولم يكن بإمكانه اختيار قاعدة أخرى لتحركه، فكانت الكوفة نفسها مركز انطلاقته بالرغم من كل تلك الأوضاع التي كانت تعيشها.

ويبدو أنه كان من المحتم عليه القيام والخروج بالرغم من إخبار الإمام الباقر (ع) له بمصيره. ولا نعتقد بأن وضع الدولة الأموية في تلك المرحلة حيث كانت تعاني كثيراً من حالات التمرد والثورات عليها من مختلف فئات المجتمع وفي كافة المناطق، لا نعتقد بأن مثل هذا الوضع قد أغرى زيداً بالخروج متأملاً تحقيق النصر العسكري على الأمويين كما يشير بعض المحللين، بل على العكس من ذلك، فكما أشرنا سابقاً فإن الدولة الأموية في عصر هشام كانت في أوج جبروتها. إلا أن علمَ زيدٍ بتكليفه إذا ما قرناه بإخبار الإمام (ع) بأنه سوف يُقتل في الكوفة تحديداً، يلغي كل احتمال بأن فكرة تحقيق النصر العسكري بنفسه ولنفسه كانت تراوده، فالتكليف بالجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مشروطاً بأن تكون كافة شرائط النصر والفوز على العدو متوفرة ومتحققة مسبقاً، وهو لاشك يعلم بأن الصراع مع الإستكبار والإستبداد وقوى الباطل عموماً، لا يمكن أن تقتصر على جولة واحدة، وهو الذي يعلم من جدّه رسول الله (ص) أن الجولة الفصل مع قوى الباطل والجور ستكون في آخر الزمان بقيادة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف حيث سيملاً الدنيا عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. وإذا كان القول بضرورة توفير الشرائط الكاملة للنصر قبل الخروج بالسيف، لَكُنَّا قلنا بأنه ما كان على النبي (ص) أن يقود المسلمين الى المواجهة مع المشركين في وقعة أُحد، أو ما كان على الإمام

الحسين(ع) أن يقود أهل بيته وأصحابه الى المواجهة في يوم عاشوراء. وهذا المنطق هو الذي يقود الى القول بأنه بدون العلم بتحقيق شرائط النصر يصبح الخروج بالسيف من قبيل رمي النفس بالتهلكة وبالتالي يصبح المطلوب السكوت والسكون في قبال التجنّيات وهتك المقدسات!! فمن حيث المبدأ العام وفي كل الأحوال ما من أحد بوسعه ان يضمن النتائج لأي تحرك يهدف الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنّما هناك تكليف، وتهيئة وإعداد، والتوفيق والتسديد من الله عزّوجل.

وواضح أن زيدا إنما قام ولم يقم الإمام(ع) لعدم تحقق شرائط قيام الإمام بنفسه وعدم ملائمة الظروف لذلك، لا لأنهم كانوا يعتقدون حرمة الخروج عليهم. لذا لا بد من حمل روايات حرمة مخالفة الجماعة أو نكث صفقتهم على التقية.²¹⁰ ونقصد من عدم تحقق شرائط القيام أولوية المصالح العامة للإسلام والمسلمين التي يقدرها الإمام، والإمام يعرف تكليفه، وهو الذي يحدد تكليف الأمة على ضوء مصالحها وتحقيق أهدافها وليس كما يفعل بعض الكتاب اليوم في تحليلاتهم وما يخلصون إليه من نتائج تصل أحيانا الى حدّ التخطئة. فبقاء الإمام لصون الشريعة ومواجهة الانحراف الفكري وتربية الأمة، مصلحة عليا، قد تكون مقدّمة على القيام والإستشهاد كما فعل الإمام الصادق(ع) إزاء خروج زيد، أو يكون القيام والإستشهاد أولى كما فعل الإمام الحسين(ع) الذي رأى أن المصلحة وحفظ الدين يقتضي التضحية ففعل. وقد حسم الإمام الصادق(ع) أمر مشروعية الخروج على الظالم بالقول: "لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود"²¹¹ أي أنه(ع) ربط ما بين خروج الإمام وتوفّر الظروف الذاتي للخروج.

²¹⁰ - راجع "أصول الكافي" ج ١ ص ٤٦٨

²¹¹ - الكليني، "روضة الكافي"، كتاب الإيمان والكفر، دار الاضواء بيروت، ج ٨ ص ٢٥٠

• - الصحيح أن وفاته (ع) كانت سنة ٩٥.

إن ثورة زيد، وإن فشلت بحسب الحسابات المادية، ولم تحقق نصراً عسكرياً مباشراً، ولم تؤدي الى تغيير الواقع المرير إلى حالٍ أحسن مما كان عليه قبل انطلاقها، ولكنها أسهمت في الكثير من الجوانب الايجابية التي سنبينها عما قريب إن شاء الله تعالى.

"ويرى البعض إن السبب في عدم النجاح عدم خروج الإمام زين العابدين (ع) (المتوفى سنة ٩٠ * هـ). ولعل مراده إن ترك الإمام (ع) للخروج الذي عدّه سبباً في عدم نجاح الثورة إن الإمام (ع) لم يرَ صلاح الظروف وانها ليست مؤاتية للقيام بعمل ما من شأنه ان يسهم في تغيير الواقع، لذا كان عدم خروجه سبباً للفشل. بينما ينسبه كل من المسعودي والاصفهاني إلى تخاذل أهل الكوفة".^{٢١٢}

ويتأتى هذا الحكم ممّا بات شائعاً حول أهل الكوفة من تخاذل وتفرّق كلمة، فكل من تناول ذاك المجتمع بالتحليل أفاض بوصف هذا الجانب. وقد قيل حديثاً فيهم: "لقد كان قادة المجتمع وعامة أفراده إذ ذاك يقعدون عن أي عمل إيجابي لتطویر واقعهم السيء بمجرد ان يلوح لهم ما قد يعانون في سبيل ذلك من عذاب، وما قد يضطرون الى بذله من تضحيات. وكانوا يقعدون عن القيام بأي عمل إيجابي بمجرد أن تحقق لهم السلطة الحاكمة بعض المنافع القريبة، ولم يكن هذا خلق السادة، بل كان خلق عامة الناس أيضاً، لذا رأينا تخاذل مجتمع بأسره عن نصره قضيته حين أوقع ابن زياد بمسلم بن عقيل "رض".^{٢١٣}

²¹² - سميرة الليثي، "جهاد الشيعة" ص ٥٢

²¹³ - محمد مهدي شمس الدين، "ثورة الحسين (ع)"، دار التعارف، بيروت، ص ٢٠٢

كذا كانوا ومازالوا يصفون مجتمع الكوفة وبيالغون في تقديمه على أنه مجتمع يتردى في السحوق والسقوط والهوان، وامتنع المؤرخون عن تسجيل أي مآثرة للكوفيين جديرة بالتقدير، وكأن من انتحى نحوها حين مُصِّرت، إنما تتوأها لبيث فيها روح الشقاق، أو يزرع في أرجائها بذور النفاق ويخبئ بين فجاجها جرائم الفساد، لذلك لما أُنعت وبسقت أغصانها لم يشهد فيها غير الانثيال عن الحق وأهله، والميل إلى الجور. وقد يكون من أقسى دوافع الشيعة في هجائهم لأهل الكوفة، هو يومهم مع الإمام الحسين(ع)، فقد جاعوا بما هو أدهى وأمرّ مما جاؤوه مع زيد أو غيره. فبعد دعوتهم له:

أن أقدم علينا يا بن محمد لك الدهر عبد والزمان غلام
فلما حلّ بين أظهرهم قلبوا عليه وقابلوه بأسنة الرماح وشفار السيوف
فكانت هناك مجزرة لآل الرسول، وعصابة الايمان، فخلدوها صحيفة سوداء الى
يوم الأشهاد، وبعد ذلك غدرهم بزيد الشهيد.

ومما يكشف لنا عن هذه الحالة المتردية كثير من الخطب، كخطبة أم كلثوم حيث قالت: "يا أهل الكوفة، يا أهل الختر والخذل، ألا فلا رقات العبرة، ولا هدأت الرنة إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ألا وهل فيكم إلا الصلّاف والشنف وملق الإماء وغمز الأعداء".²¹⁴

لكننا بالمقابل نجد أن الأئمة(ع) تكلموا أيضاً عن فضل الكوفة حيث كانت مركزاً لخلافة الإمام علي(ع). فقد ورد في مدحها روايات نذكر منها قوله(ع): "وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله بشاغل أو رماه" وقوله(ع):

²¹⁴- أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، "بلاغات النساء"، منشورات الشريف الرضي، قم، ص ٣٨

"نعمت المدرة"، وقوله (ع): "هذه مدينتنا ومحلّتنا، ومقر شيعتنا" وقوله (ع): "أنه يُحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً وجوههم على صورة القمر".
 وقول الإمام الصادق (ع): "اللهم ارم من رماها وعاد من عادها"^{٢١٥}
 وروى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (ع) أنه يخرج مع القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً.^{٢١٦}

إلى غير ذلك من الروايات الماثورة عن أئمة أهل البيت (ع) في فضل الكوفة. وما ذلك إلا لأنها كانت مهداً للتشيع. وإلى الدور الذي اضطلع به فيما بعد أهلها في بث الفكر الشيعي "الذي هو المصدر الأسمى لتعاليم الإسلام المفاض منهم (ع) باعتبارهم مصدر كل المعارف والعلوم النافعة والأفكار الراقية، والأخلاق الفاضلة الكريمة".^{٢١٧} فلأجل ما قام به هؤلاء من نقل تعاليم الأئمة (ع) إلى الأقطار الإسلامية وحفظ أحاديثهم (ع) ونقلها إلى الأجيال كما هو معروف من كثرة المحدثين الكوفيين استحققت الكوفة الثناء وكأنهم (ع) بذلك يخبرون بإخبارات غيبية عن دور الكوفة والكوفيين في الأجيال القادمة.

هذا ولم يكن حال ثورة زيد وحدها عدم الظفر، بل هناك الكثير من الثورات التي اعتقت فاجعة كربلاء كانت كذلك إلى ما بعد ثورة زيد وما تلاها من ثورات كثورة الحسين بن علي صاحب فخ التي حظيت بإمضاء^{٢١٨} الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام.

²¹⁵ - ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، ج ٣ ص ١٩٧ و ١٩٨.

²¹⁶ - عباس القمي، "الكنى والألقاب"، ج ١ ص ٦٦ مكتبة الصدر طهران ١٤٠٩.

²¹⁷ - جعفر مرتضى، "التاريخ والإسلام"، ج ١ ص ٨٥ جماعة المدرسين قم.

²¹⁸ - الكليني، "الكافي"، ج ١ باب ما يفضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة ج ١٨ ص ٤٢٧،

وراجع "الكفاح المسلح" للسيد الحائري، ص ٩٥.

ويرى عدد من الباحثين إن السبب في فشل الحركات الزيدية الكثيرة التي توالى على مدى أكثر من قرن من الزمن، رغم سعة نفوذها على مختلف الأصعدة، وفي مختلف المجالات، ورغم سيطرتها التامة على الأمور سياسياً وإعلامياً وثقافياً وعاطفياً، يتمثل في كون هذه الحركات غير ذات أصالة فكرية، أو بنية عقائدية راسخة تنطلق من الروح وتتبع من الوجدان، وإنما كانت تعتمد على ذلك المد العاطفي الهائل، وعلى ذلك الوعي الثقافي الجاف الذي لم يصل إلى حد مزج العاطفة بالفكر، والفكر بالوجدان لينتج موقفاً رسالياً تخاض من أجله اللجج وتبذل دونه المهج، وهم يبنون على ذلك عكوف الأئمة (ع) عن خوض المجازفة في ظروف كهذه، لأن معنى ذلك هو أن ينتهي أمرهم (ع) وبسهولة ويسر تماماً كما كان الحال بالنسبة للزيدية.²¹⁹ إلا أن هذا التعميم والإطلاق أكان في طبيعة علاقة القائمين على سلطان الجور بالفكر الإسلامي الأصيل، أو كان في موقف الأئمة (ع) من قيامهم وخروجهم على مغتصبي السلطة والمستبدين بالأمّة، وما حققته مجمل تلك الإنتفاضات والثورات والتحركات المختلفة من حالة تعبوية أسهمت في بلورة خط التشيع في ضمير ووجدان العامة في مقابل خط الخضوع لسلطان الجور، بما في ذلك من تحقيق الوظيفة الأساسية من خلال الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلقاء الحجة، إن هذا التعميم والإطلاق يفقد البحث علميته، في وقت يمكن للبحث أن ينحو منحى آخر يتم خلاله إكتشاف الحالة التكاملية فيما بين حركة الأئمة (ع) التعبوية والتوجيهية الفكرية والثقافية والدور السياسي النهضوي الذي كانت تضطلع به تلك الثورات والتحركات.

وبعد، فإننا إذا استسلمنا للتفسير القائل بأن دعوة أهل الكوفة للإمام الحسين (ع) ثم خذلانهم له ليس إلا لضعف العقيدة في نفوسهم في ذلك الوقت،

²¹⁹ - مقدمة كتاب "جهاد الشيعة"، ص ٧ بتصرف.

وبأنهم تتملكهم الرغبة في حب السلامة والميل إلى الدّعة، وقابليتهم للإغراء، إن استسلامنا لهذا التفسير يضعنا أمام إشكالية عصمة الإمام التي لا يخالجنا أي شك فيها والتي تؤكد لنا بأن الإمام عليه السلام كان على معرفة مسبقة بما هم فيه وبما هو مقدم عليه، بيد أن تكليفه الإلهي بأن يخط بدمه الشريف ودماء أهل بيته وأصحابه خط مقاومة الاستبداد وتأسيس الانتماء للإسلام وتعاليمه وإلقاء الحجة على الناس أجمعين، هو الذي دفعه إلى الاستشهاد، وهو الذي دفع إلى تغليب عناصر الخنوع والهوان بأهل الكوفة في تلك اللحظة.

وفي المحصلة النهائية نستخلص ما يلي:

أ- إن المدح والثناء تارة، والذم والتقريع تارة أخرى، إنما يكون بلحاظات وحيثيات متعددة، فورود كثير من خطب الإمام(ع) بلهجة قاسية، بالرغم من سعة صدره ورحابة قلبه الممتلئ حباً ورحمة، يدلّ بشكل حاسم على معاناة الإمام(ع). وورود بعض الروايات المادحة، فهي من جهة عامة، ومن جهة ثانية لا تتنافى مع الأخبار الأخرى المقابلة، وذلك لاختلاف النظر واللاحظ.

ب- اتهام الكوفة بالخذلان، لا يقصد به على إطلاقه كديدن لأهلها، فقد تكون لها بعض الخصوصيات، حيث كانت محط تركيز الحكام وإهتماماتهم بها لأهميتها، لذا كان يطلق عليها وعلى البصرة: العراقيين. ومعلوم ما كان يمارس ويفرض عليها على ما ذكرناه سابقاً. ولاشك إنه ساهم في المآل التي آلت إليه. لكنه كان محل انتقاد ورفض من كثير من الأئمة(ع). غير إنها كانت صورة عن كل بلد وعن كل مجتمع في ذلك الزمان، فهي ليست متفردة بذلك دون غيرها من البلاد بهذه المثالب.

ت- لتراجع الجمهور عن نصره زيد الكثير من الأسباب التي ترتبط بخصوصيات الوضع الذي كان قائماً في ظل الاستبداد الأموي الذي عبّر عن

نفسه باشتداد العصبية الأموية حوله وقدره هذه العصبية على ضبط عصبية مضر بمعظمها تحت ريادةها، وهو ما أتاح إنتاج نظام حكم تقلد الأمور بيد من حديد، بل بالنار والحديد، إضافة الى قدرته على تشكيل مؤسسة دينية تبريرية دأبت على وضع الأحاديث الكاذبة لتبرير الخضوع للحاكم الجائر. وقد خاض النظام الإستبدادي بهذه المؤسسة حرباً ثقافية وفكرية ضد الإسلام والسنة النبوية الشريفة لحرفها عن الإسلام الأصل ولتبرير الإستبداد بعد أن حشد لها كل إمكاناته المادية لشراء الضمائر ولبث التفرقة في صفوف عامة الناس. وهذا ما دفع بالأئمة (ع) على إيلاء المسألة الفكرية والثقافية في تلك المرحلة الأهمية القصوى لعلمهم بأن الإسلام مُستهدف ليس بمن يتولى الحكم والولاية فقط، بل وبنظام الحكم نفسه، وأيضاً بكل ما جاء به رسول الله (ص) من قيم ومبادئ ومن مكارم الأخلاق.

النتائج التي أعقبت النهضة:

مهما كانت الأحوال والظروف المحيطة بتلك الثورات التي قامت بين الحين والآخر، والتي نجم عنها الكثير من المآسي وأهدرت فيها دماء زكية كثيرة، إلا أنها حملت في نتائجها الكثير من الإيجابيات، لا سيما نهضة زيد وما تمخضت عنه. من تلك النتائج تأجيج الروح الجهادية التي كانت عاملاً في الإحتفاظ بالإرادة الرافضة لكل أشكال الظلم وصنوف الإرهاب، وبعثت العزة في نفوس المؤمنين، وكسرت حواجز الخوف، وأبقت شعلة رفض الخنوع للمستبد متقدة، مما أتاح للثائرين في المراحل المتتالية الإسترشاد بها والسير على الطريق الذي خطه زيد بدمائه من أجل إحقاق الحق وإعادة أمانة رسول الله (ص) إلى أهلها ببذل كل نفيس في سبيل ذلك دونما تردد.

روى الشيخ الصدوق "قده" عن أبيه عن محمد العطار عن الأشعري عن عبد الله بن محمد، عن علي بن زياد عن الحلبي، قال: "قال أبو عبد الله (ع): إن آل أبي سفيان قتلوا الحسين بن علي صلوات الله عليه فنزع الله ملكهم، وقتل هشام زيد بن علي فنزع الله ملكه، وقتل الوليد يحيى بن زيد رحمه الله فنزع الله ملكه"^{٢٢٠}. ولم تعمّر دولة بني أمية بعدها عمر رجل واحد مديد الأجل. فلم يتم لها بعد مصرع الحسين نيف وستون سنة" وكان مصرع الحسين هو الداء القاتل الذي سكن في جثمانها حتى قضى عليها، وأصبحت ثارات الحسين نداء كل دولة تفتح لها طريقاً إلى الأسماع وانقلوب"، "ولم تنقُض ست سنوات على مصرع الحسين حتى حاق الجزاء بكل رجل أصابه في كربلاء، فلم يكد يسلم منهم أحد من القتل والتكيل مع سوء السمعة ووسواس الضمير... ولإصابة هذه الحركة في نتائجها الواسعة دخل في روع بعض المؤرخين أنها تدبير من الحسين رضي الله عنه، توخاه منذ اللحظة الأولى وعلم موعد النصر فيه. فلم يخامر الشك في مقتله ذلك العام، ولا في عاقبة هذه الفعلة التي ستحيق لامحالة بقائليه بعد أعوام. فقال ماربين الألماني في كتابه (السياسة الإسلامية): إن حركة الحسين في خروجه على يزيد إنما كانت عزمة قلب كبير عزّ عليه الإذعان وعزّ عليه النصر العاجل، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته، ويحيي به قضية مخدولة ليس لها بغير ذلك حياة"^{٢٢١}

وروي عن أبي عبد الله (ع)، أنه قال: "إن الله عز ذكره أذن في هلاك بني أمية بعد إحراقهم زيدا بسبعة أيام"^{٢٢٢} "وكان ذلك في أيام الوليد بن يزيد الفاسق

²²⁰ - المجلسي، "بحار الأنوار"، دار إحياء التراث العربي، ج ٤٦ ص ١٨٢

²²¹ - العقاد، "أبو الشهداء"، منشورات الشريف الرضي، قم، ص ١١٧

²²² - الكليني، "روضة الكافي"، الدار الإسلامية، بيروت ١٤١٣، ص ١١٥، و"تفسير العياشي"، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ج ١ ص ٣٢٥

الذي أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة^{٢٢٣} ولم يدم ذلك الحكم طويلاً، حيث كان يحمل منذ ولادته بذور الزوال والإنهيار.

وقد عبرت الرواية بالعدد "سبعة" مع إن حكم الأمويين أكثر من ذلك^{٢٢٤}، حيث تعاقب على الحكم بعد هشام أربعة: الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الوليد بن عبد الملك، ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم الملقب بمروان الحمار، وبهم انتهى الحكم الأموي البغيض.

ويمكن توجيه ما عبرت به الرواية من أن زوال ملك بني أمية كان قد أنشأ الله تعالى به بعد سبعة أيام من إحراقهم زيدا، بأن العرب كانت تستعمل السبعة، والسبعين في المبالغة بالشيء، فيكون المعنى في الرواية: أن هلاك هذا الحكم بات قريباً ولن يستمر طويلاً. والتعبير بذلك كناية عن الإيذان بقرب الزوال، وإن كان يحتاج إلى مرور زمن مقدمة تدريجية لذلك. وهناك شواهد تجيز لنا افتراض ذلك، فالشواهد في كلام العرب على هذا الإستعمال كثيرة جداً نذكر منها ما في كتاب الله عز وجل: "ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله"^{٢٢٥}

وقوله "سبعة" ليس لانهصارها في سبعة وإنما الإشارة إلى المدد والكثرة ولو بألف بحر، والسبعة خصصت بالذكر من بين الأعداد لأنها عدد كثير يحصر

²²³ جلال الدين السيوطي، "تاريخ الخلفاء" ص ٢٥٠ منشورات الشريف الرضي قم.

²²⁴ كان انتهاء الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية على انقاضها سنة ١٣٢ فيكون قد استمر حكم الأمويين

بعد استشهاد يزيد حوالي عشرة أعوام.

²²⁵ - سورة "لقمان"، الآية ٢٧.

المعدودات في العادة فاستعملت السبعة في كل كثير ولا يراد السبعة في خصوصها، وقوله (ص): "المؤمن يأكل في معي، والكافر يأكل في سبعة أمعاء" إشارة إلى قلة الأكل وكثرته من غير إرادة السبعة بخصوصها، ويحتمل أن يقال إن لجهم سبعة أبواب بهذا التفسير.^{٢٢٦}

"والسبعة والسبعين والسبعمائة في القرآن وفي الحديث، والعرب تضعها موضع التضعيف والتكثير كقوله تعالى "كمثل حبة انبتت سبع سنابل"، وكقوله تعالى "إن تستغفر لهم سبعين مرة"، ومن أمثال العرب السائدة: أخذه أخذ سبعة".^{٢٢٧} وقول المعصوم (ع): "وإني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة"، ووضح أنه من الشواهد المراد بها الكثرة لا العدد.

وفي حديث الحق تعالى: "ولعنتي تبلغ السابع من الورى... وفيه دلالة على سراية اللعن في الأعقاب".^{٢٢٨} إذا كانوا يتبعون الخطى نفسها والمنهاج ذاته.

ويمكن إبراز النكتة في هذا الكلام توجيهاً للرواية بأن الإنز في هلاك بني أمية لا يعني تحديده بزمان معين ما دام العرب تستعمل السبعة للمبالغة، بل يعني أن إرادته تعالى بزوال هذا الحكم، وأن الإنز بهلاكهم صدر بعد إحراقهم زيدا بسبعة أيام، فيكون صدور الإنز في خصوص هذه الأيام السبعة، وما يحتاجه الهلاك من مدة زمنية معينة يكون مطلقاً.

226- الفخر الرازي، "التفسير الكبير"، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ج ٢٥ ص ١٥٧ و ١٥٨

227- ابن منظور، "لسان العرب"، مادة "سبع" ج ٨ ص ١٤٦ دار الفكر بيروت

228- فخر الدين الطريحي، "مجمع البحرين"، المكتبة المرتضوية، ج ٤ ص ٣٤٣ و ٣٤٤، وراجع "تفسير

الميزان" ج ١٦ ص ٢٢٢ و "تفسير الكاشف" لمحمد جواد مغنية، ج ٦ ص ١٦٧

وفي مطلق الأحوال، لم يكن المراد الجمود على حرفية عددية، وترك المؤشرات على صعيد الواقع والتي كانت تشي بقرب الزوال، منذ الحدث الكربلائي العظيم الذي ضعزع أسس البنيان الذي قام أصلاً على جرف هار. فلقد رسم الدم الحسيني الحد الفاصل بين نهجين متنافرين مثلاً ولايزال الحق لإسلام محمد(ص) والباطل لإسلام أمية. وقد دقت شهادة الحسين إسفين الزوال في نعش إسلام السلطة. بالإضافة الى ما أحدثته تلك الشهادة من صدمة للأمة حركت فيها إرادتها اليائسة فاننفضت معلنة موت الحياة الذليلة، لتحظى بشرف الشهادة، آبية للضيم، وهي تؤسس بذلك أولى مداميك النصر الآتي ولو بعد حين.

في الواقع قد جرى البلاء عندما حمل الناس على البيعة. إذ على يد يزيد انتهى أمر بني سفيان. ولا شك أن الدولة الأموية انتهت يوم استشهد الحسين في ساحة كربلاء في العاشر من محرم سنة ٦١ ونزلت لعنة المسلمين جميعاً على البيت الأموي، وهي لعنة تحققت بالمذابح التي أنزلها بنو العباس بكل بني أمية.

وقد أتت هذه الثورة أكلها، فبقيام الشهيد زيد بن علي(ع) بحركته خارج حدود المدينة، قد حرف أنظار الحكم عن قطب رحي الدين ومحور فلك الإمامة والقيادة، بحيث تمكن الإمام الصادق(ع) من إداء دوره القيادي، مستفيداً من كل تلك الاجواء الإيجابية التي خلفتها ثورة عمه الشهيد، حيث أمكنته من نشر علوم آل محمد الحق.

إن هذه الحركة الشجاعة دلت على أن البيت الذي يبنى على التخائل والمهادنة مع الظالمين، أو الابتعاد عن السياسة والتوجس من العذاب والهول من

المصائب، لا يلد مثل زيد من الرجال في البطولة والشهامة والجرأة والإقدام فضلاً عن العلم والعبادة والتقوى!

ولو كان لأحد أثر في تربية زيد على كل تلك الصفات فليس إلا لأبيه الإمام الطاهر زين العابدين (ع) وإلا لأخيه الإمام الباقر (ع) اللذين علّماه الإسلام بما فيه من تعاليم الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودرّساه التاريخ بما فيه بطولات جده علي أمير المؤمنين (ع) وثورات جده الحسين (ع) وزقاه المجد والكرامة، ولقناه الإباء والحرية.²²⁹

كانت هذه نبذة يسيرة تناولت شخصية عظيمة من عظماء التاريخ قلما وُجِدَ لها نظير، جمع فيها بين العلم والزهد والتقوى والورع والجهاد، فكان ذلك مما خولّه أن يكون من الأبدال الذين خلّد التاريخ ذكراهم، فتقصينا خلال هذا العرض اليسير ما لاقاه هذا الرجل من الظلمات في الحياة وبعد الممات.

نصر او هزيمة:

في سياق الكلام عن الأسباب والنتائج، أخلص الى الإستفادات التالية:

١- تعبئة الأمة على أقصى روحية في العطاء، بحيث تبدأ بالبحث عن أقصى الشهادة قبل أن تتدرج في عطاءاتها، حتى لا تبقى خائفة وجلّة أو مترددة بالشهادة القصوى. وبمعنى آخر: ثورة كربلاء عبّأت باتجاه الإستشهاد ولم تُعبّئ باتجاه النصر العاجل، وعندما تعبّأت الساحة باتجاه الشهادة، وتبغى حلماً عظيماً وتسديداً إلهياً في أن تحصل على شهادتها، عندها، وفي أثناء السعي للقيام بالواجب، قد يحصل الناس على شهادتهم وقد يحصلون على نصر الله

²²⁹ - محمد رضا الجلاي، "جهاد الإمام السجاد (ع)" ص ١٥١.

تعالى. أما الإنسان الذي يتوقع المكافأة ولا يتوقع البلاء، يفشل ويقع في عقبات وعثرات أثناء الطريق. فهناك فوز أخروي يؤدي عادة الى فوز دنيوي في أغلب الحالات، ولكن إذا لم تساعد الظروف، فالفوز الأخروي مضمون اما الفوز الدنيوي فهو غير مضمون، وهو أمر واضح وغاية في الوضوح. ولكن هناك أهداف كبيرة، لا تتحقق بشكل دفعي، لأنها ليست آنية، الأمر الذي يوحي بحصول الفشل بشكل بارز على أكثر من مستوى. وهذا ربما هو نظرة سطحية تلامس الظاهر فقط دون أدنى تعمق في دراستها وفهمها في مداها البعيد الأرحب.

٢- كسر هيبة الظالم والفساد سواء كان حاكماً متغترساً يحكم المسلمين أو عدواً يواجههم، كائناً من كان هذا الظالم في موقعه. فالواقع الذي عاشه المسلمون آنذاك هو واقع الإستسلام للحاكم والخوف منه والخضوع له، سواء برروا هذا الأمر بتبريرات شرعية معتبرين أن طاعة اولي الأمر الذين هم الحكام مؤمنين كانوا أو ظلمة، هي واجبة بحسب فهمهم وتحليلاتهم التي عذروا أنفسهم من خلالها حتى يكونوا مع يزيد، أو كان السبب هو دنيا فانية أو مصالح ضيقة آنية ارتضوها لأنفسهم. فهؤلاء كانوا خائفين أو مستسلمين او معينين للحاكم الظالم.

٣- أتت هذه الثورات والانتفاضات وعلى رأسها ثورة الإمام الحسين (ع) ضمن هذا الواقع لتسنّ للمسلمين سنةً لن يضلوا بعدها، خطّها عليه السلام بدمه الشريف ودماء أنصار الإسلام المحمدي، لتؤكد إمكانية الخروج على الحاكم الجائر ولتسقط مقولة قدسية الحاكم أكان براً أو فاجراً، فالقداسة إنما تأتي من الحرص على إقامة شرع الله وسنة نبيه وتقوى الله والعمل الصالح، فمن ادعى سلطة بإسم الإسلام لاتقيم حدود الله، فلا ريب ان إدعاءه باطل، لأن

حكومة الإسلام لا تُعَدُّ للفاسدين والمفسدين. وقول الله تعالى واضح في هذا المجال: "لاينال عهدي الظالمين".^{٢٣٠}

يقول الفخر الرازي عند تفسيره للآية: الآية تدل على عصمة الأنبياء من وجهين:

الأول: إنه ثبت أن المراد من هذا العهد (الإمامة)، ولاشك أن كل نبي إمام، فإن الإمام هو الذي يؤتم به، والنبي أولى الناس، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقاً، فبأن تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاسقاً فاعلاً للذنب والمعصية أولى.

الثاني: هذا العهد إن كان هو النبوة، وجب أن تكون لاينالها أحد من الظالمين، وإن كان هو الإمامة، فكنذلك لأن كل نبي لابد وأن يكون إماماً يؤتم به، وكل فاسق ظالم لنفسه، فوجب أن لا تحصل النبوة لأحد من الفاسقين. والله أعلم.

وقال في موضع آخر: فإن قيل: ظاهر الآية يقتضي انتفاء كونهم ظالمين ظاهراً وباطناً، ولايصح ذلك في الأئمة والقضاة. قلنا: أما الشيعة فيستدلون بهذه الآية على صحة قولهم في وجوب العصمة ظاهراً وباطناً، وأما نحن فنقول: مقتضى الآية ذلك، إلا أننا تركنا اعتبار الباطن فتبقى العدالة الظاهرة معتبرة.^{٢٣١}

ولكن من يسأل الرازي، وهو المفسر لكتاب الله تعالى المتضلع في هذا الفن، لماذا ترك ما دلت عليه هذه الآية من اعتبار العدالة ظاهراً وباطناً واكتفى

230- سورة "البقرة"، الآية ١٢٤
231- "تفسير الرازي"، ج ٤ ص ٤٣

بالعدالة الظاهرية؟! "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"^{٢٣٢} مع اعترافه بدلالاتها على ذلك؟ ولكن "ستكتب شهادتهم ويسألون"^{٢٣٣}

وعليه يجب إسقاط الظالم وإسقاط مشروعيته، وهي مسؤولية شرعية وليس عملاً طوعياً، فقد خطب الإمام الحسين (ع) في جماعة الحر الرياحي عندما وصل في الطريق إلى "البيضة" - وهي إحدى المحطات في مسيرة الإمام إلى كربلاء - مبيناً تكليفهم: "أيها الناس، إن رسول الله (ص) قال: من رأى سلطاناً جائراً محلاً لحرمة الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله".^{٢٣٤}

إن هذه التربية تساعد الأمة في أن لاتستسلم لأي ظالم يتسلط عليها في المستقبل، وهذه قاعدة من قواعد الإنتصار على الباطل في أي زمان.^{٢٣٥}

إن طرق التولي المتقدمة في العهود الأولى لم تقدم للأمة إلاّ مزيداً من الويلات والفتن والدّماء، فاستخلاف أبي بكر لعمر شجع معاوية على استخلاف يزيد وأصبح الإستخلاف سنة متبعة في الدولة الأموية والعباسية والعثمانية، أما الشورى التي عمل بها عمر فإنها كانت بلاءً على المسلمين كما اعترف معاوية بذلك قائلاً: لم يشئت بين المسلمين ولا فرق أهواءهم إلاّ الشورى التي جعلها

²³² - سورة "البقرة"، الآية ١١١

²³³ - سورة "الزخرف"، الآية ١٩

²³⁴ - كمال الحيدري، "العصمة"، قم، ط ١، ١٤١٧هـ، ص ٣٣

²³⁵ - نعيم قاسم، "عاشوراء: مدد وحياة"، ص ١٤٢ بتصرف.

عمر في ستة نفر^{٢٣٦} وإن ذلك كان سبب كل فتنة وقعت، وتقع الى أن تنقضي الدنيا كما قال ابن أبي الحديد المعتزلي.

لقد أساءت تلك الأحداث للإسلام حتى في نظر غير المسلمين، واستمر الصراع على الخلافة والسلطة وأريقت الدماء وزُهِقَت الأرواح واستبيحت الأعراض وهُدِرَت الأموال على الملذات وعلى شراء الضمائر، وإلى خلق الفتن بين أبناء الأمة وطورد أهل البيت (ع) وحوصروا، فلم تجن طرق تولي الخليفة إلا مزيداً من الدمار والنشئت، ولو أن الأمة أطاعت أهل البيت (ع) لكانوا لها سفينة النجاة حقاً، ولما حدث ما حدث من مأس على طول التاريخ.

لقد كانت تلك الثورات نتيجة لذلك الواقع المرير مع كل ما فيه من انشقاق وفرقة ومخالفة صريحة للنصوص الواردة عنه (ص) إذا رأوا مصلحة في غيرها. وتدخلت السياسة واختلقت الأحاديث وزورت الحقائق حتى التبس الأمر على كثير من المؤرخين، فلم يتبينوا الحقائق، بعد أن وجدوا ترثاً هائلاً في المناقب والفضائل لهذا أو ذاك. واستسلم الكثيرون من الصحابة والتابعين للأمر الواقع، فأقروا إمامة الفاسقين والجائرين خوفاً أو طمعاً. غير أن ذلك الواقع لم يدعن له كل التابعين فلم يقرّوا ولاية لظالم ولم يهانوا سلاطين الجور فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. وهذه صورة من الواقع التاريخي، ولم تكن صورة تاريخية من الماضي البعيد مختلفة في ركائزها ومنطلقاتها عما عشناه ونعيشه اليوم من صور البطولات التي أدتها المقاومة الإسلامية التي استندت الى كل ذاك التراث الكبير الذي اخترن كل معاني الإباء والنضحية المنبثق من مدرسة أهل البيت (ع)

236- شهاب الدين الحسيني، "تعددية الإجهاد وتولي الإمامة"، دار الهادي، بيروت ٢٠٠١، ص ١٤٣

الذي واجه مسيرة الإنحراف الى الآن، فلا يختلف زمان عن آخر إلا من وجهة تأتّي الظروف الموضوعية لأي واجب يراد القيام به، من إحقاق حق ودفع باطل.

وفي ختام بحثنا هذا، الذي ما سعينا فيه سوى بهدف توضيح ما التبس في بعض المسائل التي تطرقنا لها، أملنا ان نكون قد أوفينا الموضوع حقه، حيث لاندعي الكمال فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى، كما لا ندعي أن البحث في المسائل المطروقة قد أُقِل بل أنه يستوجب المزيد من النقاش والبحث وصولاً الى توضيح المزيد من الحقائق التي قد تكون مازالت ملتبسة بفعل ما أصاب عملية التدوين من تزوير وتشويش عليها.

ولا يبقى علينا سوى أن نسأل الله سبحانه وتعالى وحدة الصف وجمع الكلمة لإعلاء كلمة الله لتبقى هي العليا فوق كل اعتبار وفي كل آن ومكان، وأن يهدنا سواء السبيل ويرفع مقام الشهداء الذين أفنوا أعمارهم للذود عن الدين الحنيف على مدى العصور وفي مختلف الأصقاع والأمصار، فالوشيجة الباقية هي وشيجة هذا الدين، مصدر كرامتنا وعزتنا واعتبارنا، وسبيلنا لمرضاة الله سبحانه وتعالى الذي لا إله إلا هو لاشريك له، وله الحمد من قبل ومن بعد، وهو المستعان ومسدد الخطى ومنير سبيل الهدى، فنعم المولى ونعم المعين.

المصادر والمراجع

(تم ذكر تاريخ وفاة المؤلف للمساعدة في معرفة زمن الصدور)

القرآن الكريم

نهج البلاغة

- ١- ابن طاووس (ت ٦٩٣ هجري) "فرحة الغري"، منشورات الشريف الرضي، قم، بدون تاريخ
- ٢- ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هجري) "الإمامة والسياسة"، دارالأضواء، سنة ١٤١٠ بيروت
- ٣- ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هجري) المعارف منشورات الشريف الرضي قم .
- ٤- الأصفهاني أبو الفرج (ت ٣٥٦ هجري) "مقاتل الطليين" دار الكتاب، ١٣٨٥ هجري، قم
- ٥- ابن طاووس رضي الدين (ت ٦٦٤ هجري) "الملاحم والفتن" المكتبة الحيدرية النجف ١٣٨٢هـ
- ٦- ابن عساکر (ت ٥٧١ هجري) "تهذيب تاريخ دمشق"، دار أحياء التراث العربي، ١٤٠٧ بيروت
- ٧- الأربلي (ت ٦٩٣ هجري) "كشف الغمة"، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ
- ٨- الأصبهاني، "رياض العلماء"، مطبعة الخيام، قم
- ٩- أبو القاسم الخزاز، "كفاية الأثر"، مطبعة الخيام، ١٤٠١ قم
- ١١- ابن خلدون، "المقدمة"
- ١٢- الأردبيلي (ت ٩٩٣ هجري) "جامع الرواة"، بدون تاريخ
- ١٣- ابن سعد (ت ٢٣٠ هجري) "الطبقات" دار أحياء التراث العربي ١٤٠٥ بيروت
- ١٤- ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦ هجري) "شرح نهج البلاغة"، دار أحياء التراث العربي، ١٣٨٥ هجري بيروت .
- ١٥- أبو الحسن الندوي، "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢ بيروت
- ١٦- أبو نصر البخاري، "سر السلسلة العلوية الشريف الرضي، قم
- ١٧- ابن الأعمم الكوفي (ت ٣١٤هـ) "الفتوح"
- ١٨- أبو خلف الأشعري القمي (ت ٣٠١ هـ) "المقالات والفرق" ١٣٦١ هـ، طهران
- ١٩- أحمد بن عبد الله القلقشندي، "مآثر الأنافة في معالم الخلافة" (ت ٨٢١ هـ) الكويت ١٩٨٥م
- ٢٠- ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) تنكرة الخواص مؤسسة أهل البيت (ع) ١٤٠١ هـ بيروت .
- ٢١- أحمد أمين المصري . ضحى الإسلام . دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .
- ٢٢- ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) "مناقب آل أبي طالب"، بدون تاريخ
- ٢٣- السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٢هـ) "معجم رجال الحديث"، نشر آثار الشيعة، قم
- ٢٤- ابن منظور (ت ٧١١ هـ) "لسان العرب"، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ
- ٢٥- أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٠ هـ) "بلاغات النساء" منشورات الرضي، قم

- ٢٦- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، "وفيات الأعيان"، منشورات الرضي، ١٣٦٤ هـ، ش، قم
- ٢٧- أبو جعفر الإسكافي (ت ٢٤٠ هـ) "المعيار والموازنة ١٤٠٢ بيروت
- ٢٨- ابن عبد ربه (٣٢٨ هـ) "المقد الفريد"، دار أحياء التراث العربي، ١٤٠٩ بيروت
- ٢٩- ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ)، "الفصل في الملل والأهواء في النحل"، دار المعرفة، ١٤٠٦ هـ، بيروت
- ٣٠- أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) "المنتظم"، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ بيروت
- ٣١- ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) "الكامل في التاريخ"، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ بيروت
- ٣٢- ابن شعبة الحراني (القرن الرابع الهجري)، "تحف العقول"، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤
- ٣٣- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) "البداية والنهاية"، مكتبة المعارف، ١٤١٠ بيروت
- ٣٤- بسام مرتضى، "قيام الثائرين: دراسة حول الفكر الثوري الشيعي"، دار الهادي، بيروت ٢٠٠٣
- ٣٥- البحراني (ت ١١٨٦ هـ) "الحدائق الناضرة"، جماعة المدرسين، قم
- ٣٦- البيلانري (القرن الثالث) "أنساب الأشراف"، دار التعارف، بيروت
- ٣٧- البيهقي (٤٥٨ هـ) "السنن الكبرى"، دار المعرفة، ١٤١٣ بيروت
- ٣٨- البخاري (٢٥٦ هـ) "صحيح البخاري"، دار المعرفة، بيروت
- ٣٩- باقر شريف القرشي، "حياة الإمام الحسين (ع)"، دار البلاغة، بيروت
- ٤٠- التهانوي، "قواعد في علوم الحديث"
- ٤١- التستري (ت ١٤١٥ هـ)، "قاموس الرجال"، مركز نشر الكتاب، ١٣٨٩ طهران
- ٤٢- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) "تاريخ الخلفاء منشورات الرضي ١٤١١ هـ قم .
- ٤٣- جعفر مرتضى، "الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)"، قم
- ٤٤- جعفر مرتضى، "الخوارج سياسياً وتاريخياً"، ١٤٠٣
- ٤٥- جعفر مرتضى، "الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)"، دار الهادي، بيروت، ١٤١٥ هـ
- ٤٦- جعفر مرتضى، "التاريخ والإسلام"، جماعة المدرسين، قم
- ٤٧- جعفر السبحاني . الملل والنحل جماعة المدرسين قم .
- ٤٨- جعفر كاشف الغطاء، (ت ٣٧٣ هـ) "أصل الشيعة وأصولها"، مؤسسة الإمام علي (ع)، قم، ١٤١٥ هـ
- ٤٩- الجاحظ (القرن الثاني الهجري)، "البيان والتبيين"، مكتبة الخانجي، ١٣٩٥ مصر
- ٥٠- د. حسن محمد تقي الحكيم "الوصية والإمامة"، دار الزهراء، بيروت
- ٥١- حسين النوري (ت ١٣٢٠ هـ)، "مستدرك الوسائل"، مؤسسة آل البيت (ع) قم
- ٥٢- حسين همداني، "الأمر بالمعروف"، قم
- ٥٣- الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، "وسائل الشيعة"
- ٥٤- الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ)، "مقتل الحسين (ع)"، مكتبة المفيد، قم
- ٥٥- الخوارزمي، "المناقب"، جماعة المدرسين، قم، ١٤١١ .

- ٥٦- الدينوري (٢٨٢ هـ)، "الأخبار الطوال"، منشورات الشريف الرضي، قم
- ٥٧- الدولاوي، "الذرية الطاهرة"، جماعة المدرسين، قم
- ٥٨- الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، "سير أعلام النبلاء"، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢، بيروت
- ٥٩- الذهبي، "تاريخ الإسلام"، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧، بيروت
- ٦٠- الرازي التميمي (٣٢٧ هـ) .
- ٦١- رياض محمد حبيب الناصري، "الواقفية"، المؤتمر العالمي للإمام الرضا(ع)، مشهد، إيران
- ٦٢- زين الدين النباطي العاملي (ت ٨٧٧ هـ) "الصراط المستقيم"، المكتبة المرتضوية، ١٣٨٤
- ٦٣- الزركلي، "الأعلام"، دار العلم للملايين سنة ١٩٨٩ م، بيروت
- ٦٤- زيد الشهيد، "مقدمة غرائب القرآن" لمحمد رضا الجلاي، مكتب الأعلام الإسلامي ١٤١٤هـ قم
- ٦٥- زين الدين الجبعي العاملي - الشهيد الثاني (ت ٩٦٥)، "الروضة البهية في شرح اللمعة المشقية"، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣، بيروت
- ٦٦- د. سميرة الليثي، "جهاد الشيعة"، منشورات الشبيستر، قم
- ٦٧- سليمان سحتاني، "قاطمة لزهراء وتر في غمد"، دار المرتضى، بيرزت، ط٢، ١٩٩٠
- ٦٨- شمس الدين بن معد الموسوي (ت ٦٣٠ هـ)، "إيمان أبي طالب" سيد الشهداء(ع)، قم، ١٤١٠ هـ
- ٦٩- الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)، "الملل والنحل"، الرضي ١٣٦٧ هـ.ش.، قم
- ٧٠- شوقي ضيف، "الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية"، دار المعارف بمصر
- ٧١- صالح الورداني، "أهل السنة شعب الله المختار"، ترينكو للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٧
- ٧٢- الصدوق(ت ٣٨١ هـ)، "عيون أخبار الرضا(ع)"، منشورات جهان، طهران، بدون تاريخ
- ٧٣- الصدوق، "الأمالي"، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٠ هـ
- ٧٤- الصدوق، "التوحيد"، جماعة المدرسين، قم، بدون تاريخ
- ٧٥- صبحي الصالح، "شرح نهج البلاغة"، دار الهجرة، قم
- ٧٦- الطبرسي (ت ٥٦٠ هـ)، "أعلام الوري"، دار الكتب الإسلامية، بيروت، بدون تاريخ
- ٧٧- الطبرسي، "الإحتجاج"، مطابع النعمان، ١٣٨٦ هـ، الذنف الأشرف
- ٧٨- الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، "اختيار معرفة الرجال"، ١٤٠٤ هـ
- ٧٩- طه حسين، "علي وبنوه"، دار المعارف بمصر، الطبعة التاسعة مصر
- ٨٠- عباس محمود العقاد، "أبو الشهداء الحسين بن علي"، الشريف الرضي، قم، ١٤١٣
- ٨١- عبد الله العلايلي (ت ٢٠٠٠ م)، "الإمام الحسين"، دار مكتبة التريية، بيروت
- ٨٢- عبد الرحمن النحلوي، "أصول التربية الإسلامية"، دار الفكر، دمشق ١٩٩٥ م
- ٨٣- علي الميلاني، "تفحات الازهار"، قم، ١٤١٤ هـ.
- ٨٤- عبد الرزاق المقدم الموسوي (ت ١٣٩١ هـ)، "زيد الشهيد"، منشورات الرضي، قم.
- ٨٥- عبد الحسين شرف الدين، "المراجعات"، مكتبة الجامعة بغداد ١٣٦٥ هـ.
- ٨٦- عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ) "الكنى والألقاب"، مكتبة الصدر، طهران ١٣٦٨ هـ.ش.

- ٨٧- عبد الحميد بن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) "شذرات الذهب"، دار الفكر، ١٤٠٩ بيروت
- ٨٨- عبد السلام الترماتيني، "أزمنة التاريخ الإسلامي"، ١٤٠٢ الكويت
- ٨٩- علي سليم سليم، "تحصين النفس"، دار المحجة البيضاء، بيروت ٢٠٠١
- ٩٠- عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٢هـ)، "الغدير"، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٦هـ.ش.
- ٩١- عبد الله بن جعفر الحميري، (القرن الثالث)، "قرب الإسناد"، مؤسسة آل البيت، ١٤١٣ قم
- ٩٢- العبدلي، "تهذيب الأنساب"، مكتبة السيد المرعي، قم
- ٩٣- علي خان الحسيني (١١٢٠هـ) "رياض السالكين"، جماعة المدرسين، ١٤١٥ هـ، قم
- ٩٤- علاء الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٠)، "كنز العمال"، مؤسسة الرسالة، بيروت
- ٩٥- فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، "مجمع البحرين"، المكتبة المرتضوية، بدون تاريخ
- ٩٦- الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، "القاموس المحيط"، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٢
- ٩٧- الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) "التفسير الكبير"، مكتب الإعلام الإسلامي، قم
- ٩٨- القهبائي، "مجمع الرجال"، طبع اسماعيليان، قم، بدون تاريخ
- ٩٩- كمال الحيدري، "العصمة"، ط١، ١٤١٧، قم
- ١٠٠- الكلبي، جمرة النسب، مكتبة النهضة العربية، بيروت
- ١٠١- الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ) الكافي ٠ دار الأضواء ط أولى ١٤١٣ هـ بيروت
- ١٠٢- الكوفي، تفسير فرات الكوفي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، بدون تاريخ
- ١٠٣- الكشي، محمد بن عبد العزيز، مؤسسة الاعلمي، كربلاء المقدسة بدون تاريخ
- ١٠٤- السيد كاظم الحائري، الكفاح المسلح
- ١٠٥- السيد محمد حسين فضل الله، "تأملات في أفاق الإمام الكاظم(ع)"، دار التعارف
- ١٠٦- السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي، إيمان زيد بن علي، و، مطبعة المعارف بغداد، و، ١٣٤٤ هـ
- ١٠٧- محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين"، دار التعارف، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- ١٠٨- محمد مهدي شمس الدين، "حركة التاريخ عند الإمام(ع)"، مؤسسة نهج البلاغة، ١٤٠٣ قم
- ١٠٩- محمد مهدي شمس الدين، "الإجتهد والتجديد"، المؤسسة الدولية للنشر، بيروت ١٩٩٩
- ١١٠- المسعودي (ت ٣٤٥)، "مروج الذهب"، دار الهجرة، ١٤٠٩ قم
- ١١١- المجلسي، (ت ١١١١هـ) "بحار الأنوار"، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٣
- ١١٢- المجلسي، "مرآة العقول"، دار الكتب الإسلامية
- ١١٣- الشهيد مرتضى مطهري، "التكامل الاجتماعي للإنسان"، دار الهادي، ١٤١٥ بيروت
- ١١٤- محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، "الشيعية في الإسلام"، مؤسسة البعثة، طهران
- ١١٥- محمد حسين الطباطبائي، "تفسير الميزان"، الاعلمي، بيروت
- ١١٦- محمد جواد مغنية (ت ١٩٧٧م.)، "تفسير الكاشف"، دار العلم للملايين، بيروت
- ١١٧- محمود أبو رية، و أبو هريرة، مطابع دار المعارف ١٩٦٩ م، مصر

- ١١٨- محمود أبو رية، "أضواء على السنة المحمدية"، قم
- ١١٩- محمد صالح الظالمي، "من الفقه السياسي في الإسلام"، القاهرة ١٣٩٤هـ
- ١٢٠- محمد عمار، "رسائل العدل والتوحيد"
- ١٢١- محمد أبو الفضل إبراهيم، "أيام العرب في الإسلام"، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩ م
- ١٢٢- الميردامار، "شرح الصحيفة السجادية"، مطبعة الخيام، ١٤٠٦هـ ، قم
- ١٢٣- المامقاني، "تنقيح المقال"، مؤسسة آل البيت(ع)، قم
- ١٢٤- السيد محمد صادق الحسيني الروحاني، "فقه الصادق (ع)"، دار الكتاب، ١٤١٣ قم
- ١٢٥- محمد بن جمال الدين مكي العاملي، الشهيد الأول(ت٧٨٦هـ)، "القواعد والفوائد"، مكتبة المفيد قم
- ١٢٦- محمد بن الحسن الصغار، بصائر الدرجات، مكتبة السيد المرعشي، ١٤٠٤ قم
- ١٢٧- محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٨هـ ش
- ١٢٨- مؤمن الشيلنجي، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (القرن الثالث)
- ١٢٩- محمد شاكر الكنتي (ت ٧٦٤هـ)، "قوات الوفيات"، دار صادر بيروت، بدون تاريخ
- ١٣٠- د. محمد حسن نقي الحكيم، "مقدمة إثبات الوصية المنسوبة لزيد الشهيد"، دار الزهراء
- ١٣١- المفيد (ت ٤١٣هـ)، الإرشاد مؤسسة الاعلمي، بيروت
- ١٣٢- المفيد، "الاختصاص"، جماعة المدرسين، قم
- ١٣٣- المفيد، "الأمالي"، جماعة المدرسين، قم
- ١٣٤- المفيد، "الجمال"، مكتب الأعلام الإسلامي، ١٤١٣هـ ، قم
- ١٣٥- مرتضى العسكري، "معالم المدرستين"، مؤسسة البعثة، ١٤١٢ طهران
- ١٣٦- محمد رضا الجلاي، "جهاد الإمام السجاد (ع)"، ١٤١٣ قم
- ١٣٧- المنتظري، الشيخ حسين، "ولاية الفقيه"، بدون تاريخ
- ١٣٨- المسعودي، "التنبيه والاشراف"، دار الصاوي، القاهرة بدون تاريخ
- ١٣٩- المروزي الأزورقاني، "الفخري في انساب الطالبين"، مكتبة السيد المرعشي قم
- ١٤٠- محمد أبو زهرة، "الإمام زيد"، القاهرة
- ١٤١- محسن الامين (ت ١٩٥٢م)، "أعيان الشيعة"، دار التعارف، بيروت
- ١٤٢- المقرئزي(ت ٨٤٥هـ)، "الخطط المقرئزية"، مكتبة الثقافة الدينية
- ١٤٣- المنقري(ت ١٢١٢هـ)، "وقعة صفين"، مكتبة السيد المرعشي، قم، ١٤٠٣
- ١٤٤- محمد علي عابدين، النوافع الذاتية لأنصار الحسين(ع)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت

١٩٨٠

١٤٥- محمد بن أحمد القرشي، معالم القرية (ت ٧٢٩هـ)، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦ م

١٤٦- د. محمد طي، الإمام علي ومشكلة نظام الحكم

١٤٧- المزني (ت ٦٥٤هـ)، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ بيروت

- ١٤٨- محمد بن الحسن، الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، "وسائل الشيعة"، دار إحياء التراث، ١٤١٢ بيروت
- ١٤٩- محمد بن جرير الطبري، (٣١٠هـ)، تاريخ الامم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة
- ١٥٠- محمد باقر الصدر (ت ١٩٨١)، "فك في التاريخ"، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٥
- ١٥١- محمد حسن ترحيني، "الأحكام في علم الكلام"، دار الامير للثقافة والعلوم، بيروت، ١٩٩٣
- ١٥٢- نعيم قاسم، عاشوراء مدد وحياة، دار الهادي بيروت، ٢٠٠٢
- ١٥٣- نجم الدين العمري، "المجدي في أنساب الطالبين"، مطبعة سيد الشهداء قم
- ١٥٤- النجفي، "تاريخ الكوفة"، دار الاضواء بيروت
- ١٥٥- النجاشي (ت ٤٥٠هـ)، "رجال النجاشي"، جماعة المدرسين، ١٤١٣هـ قم
- ١٥٦- النوبختي، "فرق الشيعة"، المكتبة المرتضوية، النجف الاشرف
- ١٥٧- القاضي النعمان بن محمد المصري (ت ٣٦٣هـ)، "مُرح الاخبار" جماعة المدرسين قم
- ١٥٨- الحاكم النيسابوري، "المستدرک"
- ١٥٩- نوري جعفر، "علي ومناؤه"، دار المعلم للطباعة، ١٣٩٦ القاهرة
- ١٦٠- نوري حاتم، "زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت" (ع)، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم
- ١٦١- السيد هاشم معروف الحسني (ت ١٤٠٣هـ)، "الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ"، دار الكتب الشيعية، بيروت
- ١٦١- هاشم معرف الحسني، "الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة"، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨م
- ١٦٢- الوائلي (ت ٢٠٧هـ)، "المغازي"، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ١٤٠٥هـ
- ١٦٣- اليعقوبي، "تاريخ اليعقوبي"، دار الصادر، بيروت

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول: عهد الامويين	٢٥
مكانة بني امية	٣٥
معاوية الخارج على القانون	٣٦
السياسة الاموية	٤٠
الأحوال العامة للمدينة ومكة في العصر الأموي	٤٧
إلفات نظر	٤٩
الفصل الثاني: زيد من هو	٥١
زيد في سطور	٥٣
زيد الشهيد عند الشيعة	٥٤
عصر زيد السياسي والإجتماعي	٥٧
في الأسباب والبواعث	٦٠
لماذا لايجوز الخروج على الحكام؟	٦٥
أسباب خروجه	٦٧
الحدث القهري	٧٠
الفصل الثالث: الروايات الواردة فيه	٧٣
الروايات الواردة في مدحه	٧٥
روايات الذم	٧٨
الفصل الرابع : موقف زيد من أبي بكر وعمر	٨٩
سبب تسمية الرافضة	٩٧

١٠٤	 علاقة الزيدية بزيد
١٠٦	 تعريف بالزيدية
١١٥	 نفي تلمذته على واصل بن عطاء
١٢٣	 المعتزلة
١٢٤	 التشيع والإعتزال
١٢٦	 مؤلفات زيد
١٢٧	 المعتزلة والزيدية
١٢٩	 بين الإمامية والزيدية
١٣٣	 الفصل الخامس:
١٣٥	 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٣٩	 هل ادعى زيد الامامة؟
١٤٩	 الروايات الواردة في اعتقاده بالأئمة(ع)
١٥٢	 هل كان زيد مأذوناً
١٥٦	 العمل بالتقية
١٥٩	 الفصل السادس : ضرورة النهضة
١٦٢	 مجتمع النهضة
١٦٧	 المجتمع الكوفي، هل كان معسكراً للجنود؟
١٦٩	 عناصر السكان
١٧٤	 عوامل إخفاق النهضة
١٨٢	 النتائج التي أعقبت النهضة
١٨٧	 نصر او هزيمة؟
١٩٣	 المصادر والمراجع
١٩٩	 فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ